

الطبعة
العربية الأصلية

www.rewity.com
By Dalvia

بريدار

رواية

مؤلف الرائعة العالمية «الخيمياني»

پاولو كويلو



شركة المطبوعات والتوزيع والنشر

أول سؤال تطرحه بريداً.. سؤال بسيط للموهلة الأولى لكنه الأخطر حين يتعلق الأمر بالإنسان وقدره.

لم تفتح بريداً حباًئها فكانت تبحث عن الأغرب واستدرجها السحر وطقوسه.. لكنها كانت تدرك في قراراتها أن ما تبحث عنه كان أبعد من السحر وأعمق منه كثيراً.

اتجهت إلى المجوسسي المساكن في الأفاصي وفي أجواء ممزوجة بالرهبة وحب الاطلاع تعلّمت الكثير وغارت للتلفي وبكا التي أدخلتها في تجارب لم تكن آمنة فقط.

بريداً أجواء أسيرة لما فيها من غربة في الطرح وفي أشكاله؛ وتتضمن بحثاً دائماً عن المعرفة. لكن تفتت أفكار خطيرة تكشف بعضاً من أسرار الحياقة وتفسّر قواهر مرّت بنا ووفقنا أمامها مراراً ولم نستطع تفسيراً لها أو فهماً لكنها.

هل نحن روح واحدة توزعت على كل هذه الأجساد؟

ISBN 978-9953-88-238-3



9 789953 882383

شارع جان دارك - بداية الوهاد

ص.ب: 8378 - بيروت - لبنان

تلفون: 911135-722-72-872

تلفون فاكس: 9111982419-722-008-721907

tradebooks@all-prints.com
www.all-prints.com



بريدا

پاولو كويلو

ترجمة،

عزة طويل

انطوان باسيل

تدقيق لغوي: روجي طعمة



شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

نُشر في الأصل بالبرتغالية، بعنوان: *Brida*
نُشرت هذه الطبعة بالاتفاق مع سانت جوردي وشركاء برشلونة،
اسبانيا بوصفها عن باولو كويلو
موقع باولو كويلو على الإنترنت،
<http://www.paulocoelho.com>
Blog باولو كويلو: www.paulocoelho.com

مقدمة الكاتب لسلسلة رواياته الصادرة بالعربية

© ١٩٩٠ جميع الحقوق محفوظة لباولو كويلو.
© حقوق النشر بالعربية محفوظة

كان أحد كبار متصوفي الإسلام يَحْتَضِر، وسوف تدعوه هذا
حسن، عندما سأل تلميذ من تلاميذه،

- «من كان معلّمك أيها المعلم؟»

أجاب: «بل قل المئات من العُلمين. وإذا كان لي أن أسفيهم
جميعاً، فسوف يستغرق ذلك شهوراً عدة، وربما سنوات. وينتهي بي
الأمر إلى نسيان بعضهم».

- «لكن، ألم يكن لبعضهم تأثيرٌ فيك أكبر من تأثير
الآخرين؟»

استغرق حسن في التفكير دقيقة كاملة، ثم قال:

«ثلاثة، في الواقع، تعلّمت منهم أموراً على جانب كبير من
الأهمية».

«أولهم كان لصاً. فقد حدث يوماً أنني نُهِت في الصحراء، ولم
أتمكن من الوصول إلى البيت إلا في ساعة متأخرة جداً من الليل.
وكنت قد أودعت جاري مفتاح البيت، ولم أملك الشجاعة لإيقاظه
في تلك الساعة. وفي النهاية، صافقت رجلاً طلبت مساعدته، ففتح
لي قفل الباب في لح البصر».

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي
شركة المطبوعات للتوزيع والنشر في كل



شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

شارع جان دارك - بناية الوهاد

ص. ب.: ٨٢٧٥ - بيروت لبنان

تلفون: ٣٥٠٧٢٢ - ٧٥٠٨٧٢ - ٩٦١ ١

تلفون + فاكس: ٣١٢٠٠٥ - ٣٥٣٠٠٠ - ٩٦١ ١

email: tradebooks@all-prints.com

website: www.all-prints.com

الطبعة الثانية ٢٠١١

ISBN: 978-9953-88-238-3

Copyright © 1990 by Paulo Coelho

تصميم الغلاف: داني عواد

الإخراج الفني: بسمة تقي

«أثار الأمر إعجابي الشديد، ورجوته أن يعلمني كيف فعل ذلك، فأخبرني بأنه يعتاش من سرقة الناس. لكنني كنت شديد الامتنان له، فدعوته إلى المبيت في منزلي.

«مكث عندي شهراً واحداً. كان يخرج كل ليلة، وهو يقول: سأذهب إلى العمل. أما أنت، فتأوم على التأمل، وأكثر من الصلاة. وكنت دائماً أسأله عندما يعود، عما إذا كان قد غنم شيئاً. وجوابه يتخذ، على الدوام، منوالاً واحداً لا يتغير: «لم أوفق في اغتنام شيء هذا المساء. لكنني، إن شاء الله، سأعاود المحاولة في الغد.

«كان رجلاً سعيداً. لم أره يوماً يستسلم للباس جزاء عودته صفر اليدين. من بعدها، خلال القسم الأكبر من حياتي، عندما كنت أستغرق في التأمل يوماً بعد يوم، من دون أن يحدث أي شيء، ومن دون أن أحقق اتصالاً بالله، كنت أستعيد كلمات ذلك اللص: «لم أوفق بشيء هذا المساء، لكنني، إذا شاء الله، سأعاود المحاولة في الغد». كان ذلك يمنحني القوة على المتابعة.

- «ومن كان المعلم الثاني؟»

- «كان كلباً. فقد حدث أن كنت متوجهاً إلى النهر لأشرب قليلاً من الماء، عندما ظهر هذا الكلب. كان عطشاً أيضاً. لكنه، عندما اقترب من حافة النهر، شاهد كلباً آخر فيه. ولم يكن هذا غير انعكاس لصورته في الماء.

«دب الفزع في الكلب، فتراجع إلى الوراء وراح ينج. بذل ما في وسعه لئيبعد الكلب الآخر، لكن شيئاً من هذا لم يحصل بالطبع. وفي النهاية، قفز الكلب، وقد غلبه الظمأ الشديد، أن يواجه الوضع، فألقى بنفسه في النهر. وكان أن اختفت الصورة هذه المرة.

توقف حسن قليلاً، ثم تابع:

- «أخيراً، كان معلمي الثالث ولداً. فقد حدث أن رأيته يسير في اتجاه الجامع، حاملاً شمعة بيده، فبادرته بالسؤال: هل أضأت هذه الشمعة بنفسك؟ فرد علي الصبي بالإيجاب. ولا كان يقلقني أن يلعب الأولاد بالنار، تابعت بإلحاح: اسمع يا صبي، في لحظة من اللحظات كانت هذه الشمعة مطفأة. أتستطيع أن تخبرني من أين جاءت النار التي تشعلها؟

ضحك الصبي، وأطلقاً الشمعة، ثم ردّ يسألني: وأنت يا سيدي، أتستطيع أن تخبرني إلى أين ذهبت النار التي كانت مشتعلة هنا؟

«أدركت حينها كم كنت غيبياً. من ذا الذي يشعل نار الحكمة؟ وإلى أين تذهب؟ أدركت أن الإنسان، على مثال تلك الشمعة، يحمل في قلبه النار المقدسة للحظات معينة، لكنه لا يعرف إطلاقاً أين أشعلت. وبدأت، منذ ذلك الحين، أسير بمشاعري وأفكاري إلى كل ما يحيط بي، إلى الشجوب والأشجار والأنهار والغابات، إلى الرجال والنساء. كان لي، طوال حياتي، الآلاف من المعلمين. وبث أثق بأن النار سوف تتوهج عندما أحتاج إليها. كنت تلميذ الحياة، وما زلت تلميذها. لقد استقيت المعرفة وتعلمت من أشياء أكثر بساطة، من أشياء غير متوقعة، مثل الحكايات التي يرويها الكباء والأمهات لأولادهم.

تبين لنا هذه القصة الجميلة المفتتحة من موروث التصوف في الإسلام، أن إحدى أقدم الطرق التقليدية، التي اعتمدها الإنسان لنقل معرفة جيله، كانت القصص والروايات. وفي ما يتعلق بي، كانت الثقافة العربية إلى جانبي خلال معظم أيام حياتي، تبين لي أموراً لم يستطع العالم، الذي أعيش فيه، أن يفقه معناها. واليوم، أستطيع للمرة الأولى، أن أزد على الكزمة بمثلها، وأنا أرقب كتبي تنشرها «شركة المطبوعات للتوزيع والنشر - لبنان، في المنطقة نفسها التي

كثيراً ما أثارت فضيلتي. وإنني ممنان للناشر السيد تحسين الخياط لما أبداه من حماسة لجعل أعمالي هي متناول قراء العربية، من خلال ترجمتها، ترجمة اتسمت بالجدية، بعد حصوله مني، وفقاً للأصول المعتمدة، على حقوق النشر.

وأود أخيراً، أن أتوجه بالشكر إلى الوكيل - للشاركة والصديقة، سوزان ناصيف، التي جعلت بحماستها، هذا الحلم ممكناً. ذلك أنني ما كنت، من دونها، لأستطيع إشراك هؤلاء الناس، الذين أحمل لهم الإعجاب الشديد، بمكتونات قلبي.

پاولو كويلو

www.rewity.com
By Dalyia

... أو لية امرأة لها عشرة دراهم أن أضاعت درهماً واحداً،
ألا توقد سراجاً وتحكس البيت وتفتش باجتهاد حتى
تجده.

وإذا وجدت تدعو الصديقات والجارات فائلة افرحن معي
لأنني وجدت الدرهم الذي أضاعته.

إنجيل لوقا ٨ - ٩، ١٥

www.rewity.com
By Dalyia

إلى ن.د. دل. الذي حقق المعجزات... وإلى كريستينا، إحدى
هذه المعجزات... وبرينا

www.rewity.com
By Dalyia

تنبیه

في كتابي «مذكرات مجوسي»^(٥)، استبدلت باثنين من تعاليم رام، ممارسات حسنة تعلمتها أيام عملت في حقل الدراما. وبالرغم من أن النتائج جاءت مماثلة حرفياً، فإنني تلقيت ثانياً صارماً من معلمي، الذي قال لي، «قد تكون ثمة طرق أسهل وأسرع، لكن هذا لا يهم، فالأهم هو أن الحكمة ينبغي ألا تتغير».

لهذا، فإن الطقوس الواردة في «بريدا» هي نفسها الطقوس التي أتبعته لعقود من الزمن عبر حكمة القمر، وهي حكمة مميزة، تتطلب خبرة وممارسة، علماً بأن ممارسة تعاليم مثل تلك الحكمة من دون مرشد، تُعدّ خطرة، غير مستحسنة وغير ضرورية. كما أنها قد تعوّق البحث في الروحانيات.

پاولو كويلو

(٥) «مذكرات مجوسي»، هو العنوان الأصلي لرواية «حاج كومبوستيلا»، قبل أن يقرّر كويلو تغيير عنوانها.

تمهيد

تعودنا الجلوس حتى ساعات متأخرة من الليل في أحد مقاهي لورد. كنت حينها حائجا على طريق روما القديمة، تلزميني أيام رحيل كثيرة لكي أكمل بحثي عن موهبتي. كان اسمها بربينا أوفرن، وهي قيمة على أحد امتدادات تلك الطريق.

ذات ليلة، سألتها إن تأثرت يوماً، ولا سيما عند بلوغها أحد تلك الأديرة التي تشكل جزءاً من درب الكوكبة التي يسلكها المطلعون على الأسرار الكونية في البيرينيه.

- لم أزر البيرينيه يوماً.

تفاجأت، فقد كانت رغم كل شيء تنفتح «بموهبة».

- «كل الطرق تفضي إلى روما».

هكذا قالت، مستعينة بمثل قديم لتفهمني أن «الواهب قد توقف أينما كان».

- لقد سلكت طريقي عبر إيرلندا.

خلال لقاءتنا المتتالية، روت لي قصة. وحين انتهت سألتها إن كان بإمكانني أن أكتبها يوماً. أنهت موافقتها البهنية، لكنها تابرت على وضع العقبات. طلبت إلي عدم ذكر الأسماء الحقيقية،

وسألت من هم القراء المحتملون لكتابي، وكيف يمكن أن تكون ردود أفعالهم.

- ليس لدي أي فكرة، لكنني أعتقد أن لديك أسباباً أخرى جعلتك تختلفين هذه الشكالات كلها.

- أنت محق، فهذه حكاية شخصية، ولست متأكدة من أنها سنأتي بإفادة لأي كان.

بريدا، هذا الخطر سنجتازه معاً يفيد نصٌ قديم من التعاليم أن كل شخص يمكن أن يتخذ أحد موقفين، إما أن يبني، وإما أن يزرع. البناة قد يستغرق عملهم أعواماً، لكنهم في النهاية ينجزونه، ثم ينتبهون إلى أن الجدران التي بنتها أيديهم تطوقهم، فالحياة تفقد معناها بمجرد توقف البنان.

وهناك أيضاً أولئك الذين يزرعون. فهم يصممون في وجه العواصف، وكل ما في المواسم من تقلبات، ونادراً ما يرتاحون. الحقول تنمو بلا توقف، بعكس الأبنية. وهي، في الوقت الذي تتطلب اهتماماً مستمراً، تجعل من الحياة في عيني فلاحها مغامرة رائعة.

يعترف الفلاحون بعضهم ببعض، فهم يدركون أن كل تبنية تحمل في تاريخها نمو العالم بأكمله.

الكاتب

إيراندا

آب/أغسطس ١٩٨٣ - آذار/مارس ١٩٨٤

صيف و خريف

www.newcity.com
By Dalvin

بادرت: أريد تعلم السحر

حملق الحوسي فيها كانت ثرئدي جبراً، عتيقاً وقميصاً
عائياً، وفي عيبها تلك النظرة المتحنية التي تغطي الوجوه الخجلة،
ولا سيما في غياب أي حاجة إليها

فكراً، لا بد أنني أبغ من العمر ضعف سنه لكنه أدرك، برغم
ذلك أنه قبالة شق روحه.

- اسمي هريدا اعذري لاني لم أقدم بعسي. لقد طال انتظارني
لهذه اللحظة، وها إني أكثر نوثراً مما تصورت.

- لم ترين تعلم السحر؟

- لأنه قد يوصلني إلى إجابات عن بعض تساؤلاتي حول الدنيا،
وكي أمتلك الطاقات السحرية، وحتى أتمكن أيضاً من الرجوع في
الزمن والطواف في المستقبل، إن كان ذلك ممكناً

لم تكن تلك المرة الأولى التي يروره فيها أحدهم وفي جعبته
تساؤلات مماثلة، وهو الذي عرف معلماً مرموقاً في مجال النعاليم،
تبني تعليم العديد من الفتية، مؤمناً بأن العالم بأسره سيتحول إن
تمكن من تعبير من حوله. لكنه ارتكب خطأ، ولا ينبغي أن
يخطئ العلمون

- ألا تعتقدين أنك ما رلت شابة؟

• أنا في الحادية والعشرين فإذا رغبت في تعلم الباليه،
لاعتبروني هزلة!

أشار إليها المجوسي لتتبعه مضيا عبر الغابة، يتوسطهما الصمت.
شرع هو يراقب ظلال الأشجار تطول وتراوِج الاتجاهات بعجلة،
مدقوعة بسحب نفوس في الأفق، وراح يفكر، إنها جميلة، لكنها
تبلغ من العمر نصف ما أبلغ، وأدرك أن معنى ذلك عذاب أليم.

صمت ذاك الرجل إلى جانبها أصجرها، فهو لم يكلف نفسه
حتى التعليق على ملاحظتها الأخيرة. كانت أرض الغابة رطبة،
تسورها أوراق الأشجار المنثارة هي أيضاً لمنتها حركة الطلال
معلبة بنو الليل. فالضلام سيحل ويستنفي ولا مصباح في حورتهما
خاطبت بربنا نفسها، علي الوثوق به إيماني بأنه يستطيع تعليمي
السحر يحتم علي أن أثق بأن في إمكانه توجيهي عبر الغابة

أكملاً سيرهما كان مكانه بهيم، عابرا من جانب إلى آخر،
محولاً اتجاهه حتى في غياب كل ما يعرفل مسيرته اجتازا مراراً
دروباً دائرية، مازين في البقعة نفسها مرات ثلاثاً وأربعاً

وضعت احتمال أنه يمتحنها، كانت مصفحة على اختيار
التجربة حتى النهاية، محاولة إقناع نفسها بأن كل ما كان
يحصل، بما في ذلك الدروب الدائرية، ليس فيه ما يثير الريبة، وهي
التي اجتازت مسافة طويلة جداً نعلق كبير أمل على لمائتها
المجوسي. دويلين تبعد أكثر من ٩٠ ميلاً، والباصات التي تصل إليها
مرهقة جداً، ومواعيد انطلاقها غير محددة. وجب عليها أن
تستيقظ باكراً لتبدأ رحلة تستغرق ثلاث ساعات، لتصل بعدها إلى

القرية، فتسال من تقابلهم عن مكانه، مصطرة إلى توصيح حاجتها
إلى رجل في مثل غربته.

وبعد عشاء طويل، أخبرها أحدهم في أي موضع من الغابة يحل
عادة خلال النهار، محذراً إياها من أن المجوسي قد سبق أن حاول
إغواء إحدى فتيات القرية

فصكرت في سرها، لا بد من أنه رجل مثير. كانوا ينوغلان
صعوداً، فإذا بها تأمل لو أن الشمس تترنث متقاعسة في السماء
كانت خائفة من التعثر فوق الأوراق الرطبة

لماذا هذه الرغبة الشديدة في تعلم السحر؟، سألها

شزت بربنا لكسر حاجز الصمت، وأعادت عليه إجابتها السابقة.
لكنها لم تقبعه.

• قد تكون رغبتك هذه عائدة إلى كون السحر غامضاً خفياً،
أو لأنه يوفر إجابات لم يتوصل إليها سوى القلائل، على مدى
حيواتهم، أو ربما لكونه يستحضر الماضي الرومانسي.

لم تجب بربنا، لأنها لم تكن تعرف بما تجيب. كانت قلقة من
ردّ قد لا يروق للمجوسي، فتمنّت لو يعود إلى صمته.

بلغا أخيراً قمة تلة، بعد أن عبرا الغابة بأكملها هناك، كانت
الأرض صخرية، خالية من أي نبات، لكن حطر الانزلاق عليها
كان أقل، فسهلت عليها خطواتها برفقة مرشدتها المجوسي.

جلس عند أعلى نقطة، وطلب إليها القيام بالنزل.

• جلس آخرون في هذا المكان من قبل. هم أيضاً جاءوا طالبين
تعلم السحر، لكنني قنمت كل التعاليم اللارمة. أعدت إلى

الإنسانية ما أعطتني إياه واليوم، أريد أن أبقى وحيداً. أتسلق الجبال وأعنتني بالنباتات وأناحي ربي.

رنت بريدًا، هذا ليس صحيحاً

اجابها مستغرباً، ما الذي ليس صحيحاً؟

- قد تكون رغبتك في مباحة ربك صائفة، لكن من المؤكد أن ادعاءك ابتغاء الوحدة، ليس كذلك.

بذمت بريدًا على قولها فغفوتها دفعتها إلى تلك الكلمات، ولم يعد من مجال لتصحیح خطئها قد يكون ثمة أشخاص يبتغون الوحدة. وقد تكون حاجة النساء إلى الرجال أشد من حاجتهم إليهن.

لم يبد على الجوسي أي انزعاج حين أجاب:

- سأطرح عليك سؤالاً، وعليك الترام الصراحة الفصوى في إجابتك. وإن قلب الحقيقة، فلك ما تطلبين. لكن إذا لجأت إلى الكذب، فلا تعودني إلى هذه الغابة أبداً.

تهتت بريدًا برنيح فكل ما عليها قول الحقيقة ليس إلا كما أنها لطالما اقتصرت أن للمعلم مطالب عدة يبقى لكل طالب أن يحققها لكي يقبل مريداً.

وبينما كانت عيماہ مسؤرتين فيها، قال، الممرص أنسي بذات تعلیمك ما أعرفه الممرص أنسي أريتك الكوبين التواربين اللجن يحيطان بما، وفنتت إلى الملائكة، وإلى حكمة الطبيعة، وأرشدتني إلى حبايا حكمة الشمس وحكمة القمر، وجاء يوم، فصنت فيه وسط البلدة لشراء بعض الأطعمة وقابلت حبك المنتظر هناك. في وسط الشارع....

فكرت بينها وبين نفسها، ما كنت لأعرف كيف أميزه، لكنها فزرت أن تلزم الصمت. وها هو سؤال الجوسي يعدو أصعب مما تصوّرت

- بيتابه الشعور نفسه، فيتوخه بحوك، يستدرجكمما الحب. تشابرين على دروسك معي. خلال النهار، ألقنتك حكمة الكون، وأثناء الليل، بعلمك حكمة الحب. ثم يأتي يوم، لا يعود فيه بإمكان هاتين الحكمتين أن تتعايشا، فيجب عليك الاختيار.

نلتى الجوسي للحظات فبعد أن طرح سؤاله، اعتراه الخوف من جواب الغابة. فوصلها إلى الغابة في ذاك العصر، غنى نهاية مرحلة في حياة كل منهما أدرك ذلك، لأنه عارف التعاليم وبنات المعلمين. كان بحاجة إليها، تماماً كحاجتها إليه. لكن، كان لديه شرط وحيد، أن تجيب عن سؤاله بصديق تام.

استجمع شجاعته، وقال، أجيبي الآن بممتهى الصراحة هل ستخفين عما تعلمته حول كل الإمكانيات والأسرار التي يكشفها لك عالم السحر، من أجل البقاء مع حبك المنتظر؟.

بظرت بريدًا بعيداً كانت الجبال والغابات تمتد حولها، وفي الأسفل أنوار البلدة تسطع شيئاً فشيئاً، معلنة تحلق العائلات حول موائد العشاء هؤلاء كانوا يعملون بكثاً وأمانة، ويخافون إلههم، ويسعون إلى مساعدة أخيهام الإنسان ذلك كله لأنهم عرفوا الحب، فعدا لحياتهم معنى هؤلاء فهموا كل ما يدور في هذا الكون من دون أن يسمعوا حتى بحكمتي الشمس والقمر.

قالت، لا أرى أن بحثي في الروحانيات يمكن أن ينافس سعائتي الشخصية

كان لا يزال محذفاً إلى عينيها حين ألق عليها أحبيبي هل
ستتخلين عن كل شيء من أجل ذلك الرجل؟

أحشت بريدنا برغبة جامحة في البكاء. فالسؤال لم يكن سؤالاً،
بقدر ما كان دعوة إلى خيار، هو أصعب ما قد يواجهه المرء في
حياته سبق لها أن تأملت في هذا الخيار مراراً، وهي التي شعرت
بوما بأن لا شيء في الدنيا يفوقها أهمية. لقد عاشت كثيراً ومع
كلّ منهم خيل إليها أنها وجدت الحب. لكنها في كلّ مرة،
كانت تشهد تلاشيه كلّ لحظة. خبرت بريدنا الكثير، لكنها لم
تجد أعقد من الحب وأكثر التباساً منه. وها هي اليوم معرمة بشاب
يكبرها قليلاً، يدرس الفيزياء، وبملك نظرة إلى الحياة مغايرة كلياً
لنظرتها مرة أخرى، أمنت بالحب ووثقت بمشاعرها، لكن خيبتها
التكررة أفقدتها ثقتها بكل شيء. ومع ذلك، فكانت في مواجهة
أعظم رهانات حياتها

استمرت في تفادي نظرات الجوسي التي تحاصرها شربت في البلية
والأصواء المتلألئة المبعثة منها مذ وجد الإنسان، وهو في سعي
مستمر إلى فهم الكون من خلال الحب.

نطقت أخيراً، ستخلين عن كل شيء.

لا يمكن لهذا الرجل المائل أمامها فهم ما يختلج في قلوب البشر
فهو امتلك الطاقة وأترك خفايا السحر، لكنه لم يخبر البشر شعره
أشيب، وبشرته أحرقته خيوط الشمس، ولديه قوام من تعود
الدروب الجبلية الصعبة جاذبيته لافئة، وعينه تبوحان بجوهر
تختبه مشاعر البشر العاديين.

هي أيضاً خاب أملها، لكنها لم تستطع كذباً

- اضربي إليّ -

أحشت بريدنا بالخجل، لكنها استجابت

- فلت الحقيقة سأكون معلماً لك.

حلّ الظلام الموعود. كانت النجوم تتلألأ في سماء غاب عنها القمر
أمضت بريدنا ساعتين تخبر الجوسي قصة حياتها، محاولة التفتيح
عن الحقائق التي قد تبرز اهتمامها بالسحر، باحت له بكل ما
تحتربه ذاكرتها من رؤى طفولة، إلى هواجس ومباحاة باطنية
لكنها عبتاً حاولت. فكل ما في الأمر أنها وجدت نفسها مدفوعة
بحاجتها إلى المعرفة، لذا أخذت دروساً في علم التنجيم والنارو
والأعند السحرية.

- بالكاد تغد هذه لغات، كما أنها ليست الوحيدة. فالسحر
ينطق بكلّ لغات القلب.

- لذا، ما هو السحر؟

بالرغم من الظلام، فإن بريدنا شعرت بانصراف الجوسي عنها.
كان غارقاً في أفكاره، شارداً في السماء، يستشّ إجابة ربما

قال أخيراً، هو جسر، يخولك عبور العالم المنظور إلى ما وراء
المنظور، ويمسكك دروس العالمين وعبرهما

- وكيف السبيل إلى عبور ذلك الجسر؟

- بالاهتداء إلى الطريق، ولكلّ منا طريقه

- هذا ما جئت سعيّاً إلى اكتشافه

فصر الجوسي قائلاً، أمامك طريقان، حكمة الشمس التي
ترشدك إلى الأسرار من خلال الفضاء والعالم الذي يحيط بنا،

وحكمة القمر التي تعتمد الزمن وكل ما تحتبسها ذاكرة
الزمن.

فهمت بريدنا فحكمة الشمس تتمثل في الليل والأشجار، وفي
الرحلة التي نستحود على جسدها، وفي السحوم المتناثرة في السماء،
وحكمة القمر تنجسد في ذلك الرجل الذي يقف قبالتها الآن، حاملاً
حكمة الأسلاف مشرفة في عينيه

كانه فرا أفكارها، علق المجوسي، لقد سلكت طريق حكمة
القمر، لكسي لم أكن يوماً لأعلمها، بل أعلم حكمة الشمس.

رئت بريدنا، وقد أربكتها بجمة الرقة التي استشعرتها في صوت
المجوسي،

إذا، اقل إلي حكمة الشمس.

سأقل إليك كل ما تعلمته لكن لحكمة الشمس دروب
عدة، وعلى المرء الإيمان بقدرة كل شخص على تعليم نفسه
كانت بريدنا على حق، فقد ردد صوت المجوسي بجمة فيها من
الحيو واللغة ما أروعها بدلاً من أن يُطمئننا

أنا وثقة من قدرتي على فهم حكمة الشمس.

حوّل المجوسي نظره عن السحوم ليركزه في الشابة أدرك أنها لم
تكن جاهرة بعد لتلقي حكمة الشمس، وإن عليه هو تلقيها
إياها. ثمة مريدون يفتقون معلمهم.

قبل أن تبدأ حصتنا الأولى، أريد تدكيرك بأمر واحد: حين
تجدين طريقك، عليك ألا تخاف. عليك التحلي بما يكفي من
الشجاعة لارتكاب الأخطاء. الخيبة، الهزيمة، اليأس، أدوات يستخدمها
الله لإرشادنا إلى الطريق.

- غريبة هذه الأدوات، فهي غالباً ما تأتي المرء عن النابعة.

أما المجوسي، فكان يعني الباعث وراء هذه الأدوات، وقد سبق أن
أختبرها بالجسد والروح.

أصرت بريدنا، علمني حكمة الشمس.

طلب إليها المجوسي أن تكتب على الصخرة وتسترخي.

- لا حاجة إلى إغماس عينيك. انطري إلى العالم من حولك.
شاهدي ما تستطيعين، وافهمي قدر ما تستطيعين، فحكمة الشمس
تجلى معرفة سرمدية مع كل خطوة.

لئلا بريدنا تطلب معلمها، برغم شعورها بأنه يتقدم بسرعة بالغة
هذا درس الأول والأهم، ابتكره منصوب إسباني أدرك معنى
الإيمان، وكان سعة سان خوان دي لا كروز

تغرس للمجوسي في وجه الفتاة تعلوه اللهفة والإصرار. تمنى في
قلبه أن تفهم تعاليمه، فهي رفيقة روحه، وإن لم تكن قد أدركت
ذلك، وإن تكن لا تزال شابة يسحرها هذا العالم، بما فيه من أشياء
وبشر.

معي. وهي تجربة ما كانت لتعد سببة، لولا تلك المطرة الغريبة
في عيبيه

يا لغباء افكاري. ففي حضن بحثها عن الحقيقة، عن درب
المعرفة، وجدت نفسها تامل في المرأة الجردة داخلها حاولت إراحة
هذه الأفكار، وعندها اندحكت حكم من الوقت فد مصى على ترك
الجوسي لها في وحدتها

بدأ الحوف يتسأل إليها، ولا سيما في ظل تلك الآراء المتصارعة كلها،
التي سمعتها عن الجوسي. فالبعض اعتبره نقدر المعلمين، في يده
تحويل اتجاه الريح واحترق السحب بسطوة التفكير مفردة. وهي
أعاجيب الفتفت بها بريدنا تماماً كغيرها

وبرغم ذلك، فقد أكد لها آخرون، ممن حصروا الصفوف نفسها
وتلفوا الدروس عيبيها، وبفوا على هذب عالم السحر، أنه مجرد
مشعوذ حدث أن استغل قدراته لتدمير أحدهم بعد أن وقع الجوسي
في حب روجته لنا، حكم عليه بالطوف في الغابات المتوحدة.

فكرت بريدنا، ربما كانت الوحدة هي التي جعلته أكثر
جموا عاوتها الرجفة معلية بنحية هلع وبالرغم من يفاعتها،
كانت تدرك الإساءة التي قد تخلفها الوحدة في النفس البشرية،
والتي تردد شدة مع التقدم في العمر. كما أنها قابلت أناسا فقدوا
وهج الحياة لعجزهم عن استكمال صرعهم مع وحدتهم، فاستحالوا
في النهاية صحايا إدمانهم عليها هؤلاء، بمعظمهم، أممو، بعالم بعيد
عن الوقار، لا هالة له ولا مجد فيه، وأمصوا أمسياتهم ولياليهم
بناقشون بإسهاب أخطاء الآخرين. هؤلاء بلغت وحدتهم فضاة الكون
الذين نثرت أحكامهم مع الرياح الأربع، لتبلغ كل من بهمة
الإصغاء. لكنها خضت الجوسي بأن مشيت عقله

عبر الصلاد، تنبعت بريدنا طيف الجوسي بتراجع نحو الغابة
مختفيا وراء ظلال الأشجار إلى يسارها. كان الحوف يتملكها جزاء
بقائها وحيدة هالك، لكنها حاولت الاحتفاظ بهدونها ذلك كان
درسها الأول، وعليها عدم إظهار ثوتها.

قبلني تلميذة له، ولا يمكنني أن أختب طيه غمرها شعوز
بالرضا، لكنها عجبت لسرعة حدوث كل شيء. لم تشكك بريدنا
يوماً في قدراتها، وكانت فخورة بنفسها وبالذافع وراء رحلتها
كانت متأكدة من وجود الجوسي في مكان قريب، يرافق
تحركاتها وردود أفعالها، متفخفاً قدرتها على تعلم درسها الأول.
أوصاها بالشجاعة، وعليها التحلي بها، رغمًا عن صور تلك الأفاعي
والعقارب التي شقت طريقها عبر الصخرة حيث تعيش. رجما نحو
مخيلتها فالجوسي سيعود بعد قليل ليتلو عليها درسها الأول.

كانت بريد تحث أناسها، تردد لنفسها: أنا امرأة قوية، محكمة
الإرادة. لقد حارت تميراً بوجودها في الغابة مع ذاك الرجل الذي
أحبه البعض، وهابه البعض الآخر. استعانت لحظات العصر الذي
أمصياه معا، ولا سيما تلك اللحظة التي استشعرت خلالها برقة
تنساب في صوته

لعله وجد بي ما يثير اهتمامه، أو رغب حتى في ممارسة الحب

هجاء، علا صوت في الجوار. فخرت بربنا من مكانها. شعرت بصريات قلبها تنسابق وتنتلاطم في صدرها. ببخرت كل الثقة التي حاولت التمسك بها بطرت حولها، لكنها لم تجد شيئاً اجتاحتها موجة من الرعب عصفت بكيانها، وتملكت جسدها كله

فكرت في ضرورة أن تتمالك نفسها، لكنها لم تجد إلى ذلك سبيلاً راحت الأفاعي والعقارب وأنشبح الطمولة تتماقر أمام عينها وصل بها الرعب إلى حد لم تعد معه تستطيع تمالك هدوئها مثلت أمامها صورة أخرى، صورة ساحر حبار تعاقد مع الشيطان على تقديمها ذبيحة له.

زعقت قائلة، من أنت؟ لم يعد يحسبها الانطباع الذي تولده عند أحد. أرادت فقط الخروج من الغابة.

لم نجب أحد.

كزرت، أريد الخروج من هنا ساعديني

لا أحد، سوى الغابة وصحيفها الغريب. تمكن منها الخوف، فأصابها دواز شعرت معه بأنها دهب في غيبوبة. لا يمكنها ذلك. لقد تيقنت من أنه ليس في الجوار، ومن المؤكد أن الغيبوبة لن تجدي نفعاً. لذا، ينبغي لها أن تسيطر على نفسها

جعلتها أفكارها هذه تدرك أن جزءاً منها بصارع للتحكم في رمام الأمور خاطبت نفسها، لا ينبغي أن استجد بأحد فصرخاتها قد تجلب سكا الغابة الآخرين. وهؤلاء غالباً ما يكونون أخطر من أي حيوان بري. راحت تحدث نفسها برفق، لدى إيماني، إيماني بالله وبملاك الحارس الذي فاني إلى هنا، وبلازمي مع كل خطوة أخطوها. لا أعرف شكلاً له، لكنني وثقة بأنه قريب.

كلماتها الأخيرة كانت مقطوعاً من إحدى التراتيل التي حفظتها

في طفولتها منذ سنوات لم تخطر في بالها هذه الترتيلة التي لغتها إياها جنتها المتوفاة منذ زمن قريب وبمجرد تمنئها أن تكون مع جنتها، شعرت بحضور محبب. كانت بربنا قد بدأت تميز قارفاً شامعاً بين الخوف والخطر.

إنه يقطن بقعة السرار في الأعلى....

عادت الترتيلة من أولها، كلمة بكلمة، لكان جنتها تنلونها أمامها الآن. طلت ترند الأبيات لبعض الوقت. وبرغم خوفها، غمرها بعض الهدوء. لم يكن أمامها خيار: فإما أن تسلم أمرها له وللا كها الحارس، وإما أن تستسلم للناس.

شعرت بوجود ملاك حارس وفكرت، هي سزها، على الإيمان به. لا يمكنني أن أقصره، لكنه حاضر. سوف يحيطني طوال الليل، لنسي لن أجد طريق العودة وحدي. هي صفرها، كانت بربنا تستيقظ في الليل مدعورة، فيحملها والدها إلى المائدة يربها البدة حيث يعيشون. برج على محادثتها عن حراس الليل، عن بائع الحليب الذي يتجول في الخارج ليوصل «بصاعته»، وعن المراس الذي كان يعمل لسلك في صنع خبزهم اليومي. كان والدها يحاول طرد الأشباح التي ملأت ليلها، ليحل محلها أوثك الذين يحرسون ظلام الليل. يقول، ليس الليل سوى جزء من النهار

ليس الليل سوى جزء من النهار، أي إنها تستطيع أن تأمن للظلمة تماماً كما تأمن للور. دعها الظلام إلى استدعاء ذلك الملاك الحارس. ينبغي أن تثق به. وهذه الثقة هي ما يسقى الإيمان. لم يتمكن أحد من فهم الإيمان يوماً، لكن ها هي تختبره، نخوص غماره في أحلك الليالي. لا سبب لوجوده سوى اعتقادها به. هكذا هي للعجرات تكون لن يؤمنون بها. هجاء، أدركت ما كان يحصل.

فكرت، لقد قال المجوسي شيئا عن النرس الاول. شعرت. حبيبها بأنها
فهمت ما يجري، الملاك الحارس وجد لأنها أمست به. بدأ التعب يحل
ببرينا بعد ساعات التوتر الطويلة. حاولت الاسترخاء، ومع كل
لحظة تمر، كان براودها شعور أقوى بالعناية

كأنت تتحلّى بالإيمان. وهو ما سيمع العقارب والافاعي من
العيش في العابة مجنّدا الإيمان سيقفي ملاكها الحارس متيمظا
برعي وحشتها

أرخت جسدها على الصخرة، وعطت في يوم ساكن وعميق

كان السهار قد حلّ حين استيقظت ببرينا، والشمس قد أرخت
سنانرها الذهبية على كل شيء. شعرت ببريد خفيف. ثيابها شبه
بالية، لكن العبطة غطت روحها، لأنها أمست الليل بساعاته وحيدة
في الغابة.

بحثت عن المجوسي في كل مكان، بالرغم من يقينها من أنها
لن تجده. لا بد من أنه يجول في الغابة الآن محاولا مخاطبة القادر،
متسائلا ربما إن تمنعت تلك الغتاة التي حضرت لربارته في الليلة
العائنة، بما يكفي من الشجاعة لتعلم أول نعاليم الشمس.

خاطبت ببرينا الغابة، لقد تعلمت عن الليل الحالك أركت أن
البحث عن الله ليل حالك، وأن الإيمان ليل حالك. وليس في ذلك في
الحقيقة ما يثير الدهشة، ذلك أن كل يوم يمر عليها هو بالمسبة
إليها ليل حالك. ليس لاحتما أن يتنبا بأحداث اللحظة القادمة، ومع
ذلك ربما يصي قلما، لأنها تمتلك الثقة، ولأنها تتحلّى بالإيمان

أو ربما لأنها ببساطة لا تدرك ما في اللحظة القادمة من غموص.
لا يهم، فكل ما يصيبها أنها فهمت.

فهمت أن كل هنية حياة فعل إيمان.

وأن في استطاعة المرء أن يملأها عقارب وثعابين، أو أن يشحبها
فترة رعائية خصبة.

فهمت بريدنا أن الإيمان لا يفشّر، فهو ببساطة لبّل حالك ليس أمامها سوى أن ترفسه، أو أن يقبله.

عابت بريدنا ساعتها فأدركت أن النهار سيمضي. كان عليها اللحاق بالباص والسمر لساعات ثلاث، والتعكير في حجة مقبلة تتلوها على حبيبها فمن المؤكد أنه لن يصدق قصة إمصاتها ليلة كاملة بمفردها وسط الغابة

صرخت في وجه الأشجار، حكمة الشمس في غاية الصعوبة! لم أكن أتوقع أنني سأصطر إلى تعلم نفسي!

حولت نظرها نزولا نحو البلدة. رسمت مسيرة العودة عبر الأحراج وانصرفت. رمت نظرة أخيرة على الصخرة، وصرخت مودعة بهرح

• ثمة شيء آخر. أنت رجل مثيز للاهتمام.

مشكنا على جذع شجرة هرمة، راقب الجوسي الفتاة تنواري حلف الغابات لقد أضفى إلى محاوفاها، وأنصت إلى بحبيها طوال الليل وقد ساورتها نفسه أن يلاقيها ليحصنها، ليمترعها من دعرها، وليخبرها أنها ليست في حاجة إلى هذا النوع من التحدي.

أفرجه أنه لم يفعل. وشعر بالفخر لأن تلك الفتاة، رغم كل حيرتها الشابة، هي رفيقة روحه

في وسط دباب. مكتبة متخصصة في مسائل السحر والتنجيم بقصنها الناس بموجبه من معارفهم، ذلك أن صاحبها لا يستعين بالدعاية في الجرائد والمجلات، ولكم تسعده خبرة ربائه ودقتهم

ورغم ذلك، فإن التجرب يعج دوما بمرتاديه. سمعت به بريدنا، وتمكنت مؤجرا من الحصول على عنوانه من أستاذ مادة الترحال الفضائي التي كانت تملأ دروسا فيها. فصلت بريدنا ذات عصر بعد دوامها، المكتبة، وأعجبت بالمكان. وبعد ذلك اليوم، وهي تفتنم كل وقت فراغ للاطلاع على المكتب دون شراء أي منها، بسبب بسيط هو أنها مستوردة، وبالبالي باهظة الثمن. كانت تنصفحها، تتأمل رسوم بعضها، متلفعة غريزيا ببديات المعرفة المترسمة. تجربتها مع الجوسي، جعلتها أكثر تعقلا. شعرت بأنها ستعاني بنفسها لأنها عاشت تجارب كان في وسعها فهمها من الأساس. أحشت بأن شيئا مهما سيموتها، وبأنها ستظل تكرر التجارب نفسها مرارا، إذا ما تاهرت على ما هي عليه. لكنها لم تكن تملك شجاعة لتغيير. كان عليها أن تصارع باستمرار هكي تنبئ صديقها، حنبرت الليل الحالكت. وتأكدت من أنها لا ترغب في اتخاذ جسرا لها. ورغم شعورها بالحيرة، أدركت عجزها عن تجاوز نفسها

المكتب أكثر أميا، والرفوف تفيض بسخ من أبحاث مخطوطة منذ مئات السنين في مجال لم تجرؤ سوى قلة على إثرائه. وعبر

صفحات تلك المكتبة، تبرز أسرار السحر والنجيم، وتبلو مستهزئة
باليهود الفاتصة تستغرقها الأجيال في سبيل هتك غموضها.

كان لدى بريد سبب وجيه آخر يدفعها إلى زيارة المكتبة، هو
مراقبة الربائن. أحياناً، كانت تدعي القراءة في أطروحة خيميائية
معقدة لتمتع في مراقبة النساء والرجال الذين يرتادون المكتبة
هؤلاء في الغالب يكبرونها ساء، هم يعرفون ما يريدون وينوونهم
دوماً نحو الرف الصحيح كثيراً ما حاولت تخيلهم في خلواتهم. بدا
بعضهم حكيماً للغاية، وقادراً على إيقاظ قوى وقدرات لا يعرف
منها القاصون شيئاً. آخرون بدوا في محاولة يائسة لاستحصار إجابات
بسوها منذ زمن، إجابات لا معنى للحياة من دونها.

لاحظت أيضاً أن الربائن المداومين يتجاذبون دوماً أطراف الحديث
مع المالك كسو. يثيرون موضوعات عجيبة كمراحل القمر،
وخصائص الأحجار، والسطح الصحيح للمصطلحات الشعرية.

تحلت بريد ذات مساء، بما يكفي من الشجاعة لمخاطبة المالك
كانت عائدة من عملها في أحد الأيام التي يكون فيها كل شيء
على ما يرام. خطر لها أن تفيد قدر المستطاع من حشيت طالعها،
واستفانها الجيد للموضوع، فافتتحت الحديث قائلة،

أعلم بوجود مجتمعات سرية.

كانت تعرفه شيئاً

بالكاد رفع المالك عينيه عن حساباته، ورمقها بنظرة ملؤها
العجب

أكملت مترددة وقد احبطت عريمتها، كتبت برقمة الجوسي
في قولك وقد أحبرني عن حلقة الليل، وعلمني أن طريق
الحكمة تعني عدم الخوف من ارتكاب الأخطاء

نجحت بريد في اجتلاب إصغاء المالك إلى حديثها، فلا بد أنها
معبدة، وإلا لما تكبد الجوسي عناء تعليمها

أخيراً، رد الرجل قائلاً، إن كنت تعلمين أن الطريق سمثل في
حلقة الليل، فلم إذن، تحتاجين إلى المكتبة؟

أدركت بريد أنها أخطأت بتذكر الجوسي، فأجابت: لأنها ليست
الطريق التي أريد

لقى المالك نظرة متفحصة على المرأة الشابة المائلة أمامه فبرغم
امتلاكها موهبة، واضحة، فإن من دوعي الاستغراب أن يخصص لها
الجوسي كل ذاك الوقت لا بد أن في الأمر شيئاً ما قد يكون
كلامها مختلفاً، إذ أنها تحدثت عن حلقة الليل.

قال، غالباً ما ترورين المكتبة. أراك تدخلين فتقرون بعض
المكتبة لم تعالرين دون أن تشتري شيئاً. أجابته، وقد شعرت
برغبة في متابعة الحديث لأنها غالباً لكنني قرأت كتباً عدة
وحضرت صفوفاً

راحت تنلو عليه أسماء معلميه، متعمدة إثارة الريد من الإعجاب
لديه.

لم تجر الأمور مجتد، كما توقعته، فمد فاطعها المالك لينذهب
إلى خدمة ربوب آتى مستفسراً عن وصول كتاب كان قد طلبه،
يصور مواقع الكواكب على مدى السنوات المئة القادمة.

عابن أكياسا كانت موضوعه تحت صندوق المحاسبة، فتبينت
بريداً أن فيها طوايع من جميع أنحاء العالم.

كانت تردد توتراً ومعالاً، بعد أن اختفى كل أثر للشجاعة

لديها كان حبارها الوحيد هو الانتظار حتى تحقق الربون من وصول كتابه الصحيح. ودفع ثمنه، وتسلم الباقي، ثم غادر. التفت المالك حبيبها إلى بريدنا من جديد، فمالت وقد اجباحت الدموع عينيها، لا أعرف كيف أكمل.

سألها الرجل، ماذا تجدنين؟

أجابت، ملاحقة ما تؤمن به.

كان هذا الرذ الوحيد الممكن، فقد أمضت بريدنا حياتها في السعي وراء معتقداتها. مشكلتها الوحيدة أنها كانت تؤمن بشيء جديد كل يوم.

كتب المالك اسماً ما على الورقة التي كان يدون حساباته عليها، ثم مرق القصاصة التي كسب فوقها، وتركها للحطاط في يده. قل، سأرشدك إلى عنوان.

- في زمن ما، كان الناس يجلبون في التجارب السحرية أحداثاً طبيعية لتلك، لم يكن للكهنة وجود، ولا أحد يهتم بسبر أغوار السحر وخفاياه.

لم نعرف بريد إن كان يشير بحديثه إليها.

سأل، هل تعرفين ما السحر؟

- جسر يصل بين العالم المبطور والعالم اللامبطور.

مذ إليها يده وفيها القصاصة. كان قد دؤن عليها رقم هاتف واسمها، وبجكا.

خطفتها بريدنا منه، ثم شكرته وغادرت. حين وصلت إلى الباب، التفتت إليه وقالت،

أعلم أيضاً أن السحر يتحدث بلغة عنة، حتى لغة أصحاب

الكتابات الذين يتظاهرون باللؤم، في حين أنهم في غاية الكرم والطف.

قبلته من بعيد وغادرت. أبعد المالك بصره عن حساباته، ووقف متأملاً محله. لقد علمها الجوسي تلك الأشياء كلها بسبب ما، فمن المؤكد أن موهبتها وحدها ليست سبباً مقنعاً لاهتمامه بها. لا بد من أن ثمة دافعا أقوى، وهذا ما ستكشفه وبك.

كان وقت الإقبال قد حان. لاحظ صاحب المكتبة مؤحراً أن نوعية رباته قد تغيرت، فغلوا أصغر سناً. ه قد تحققت نبوءة جميع تلك الكتب التي تعج بها الرفوف، فقد بلغت الأمور تعود إلى مجاريها.

يسمى عن بوق رفيع. ذكر بريدنا بمجلات الهندسة والديكور التي كانت تعابها في ركن الصحف.

فكرت لا بد أن هذا كله كلف ثروة.

قامت ويكا بمرافقتها عبر الغرفة الواسعة، وأوصلتها إلى فسحة فرشت باريكتين إيطاليتين مصنوعتين من الجلد والفضة، تتوسطهما طاولة زجاجية ذات أرجل فولاذية قصيرة.

تكلمت ويكا أخيراً قائلة، أنت لا ترلين في مطلع صباح.

وجلت بريدنا أن ترد إجابتها المعتادة حول الباله لن يجلبها نغما، فلم تعلق، متفربة ما سيحدث من المرأة، ومتسائلة ما الذي أتى بديكور في مثل هذه الحدانة إلى مبنى عتيق كهذا ومرة أخرى، اهتز تصورهما الرومانسي للبحث عن المعرفة قالت ويكا، لقد اتصل بي. وفهمت بريدنا أنها تلفح إلى صاحب المكتبة.

جئت لبحث عن معلم، أريد اتباع طريق السحر

تأملت ويكا في المتاة المائلة أمامها من المؤكد أنها تمتلك موهبة ما، لكن لا بد من كشف ما جعل مجوسي قولت يوليها تلك الأهمية كلها، فالوهبة وحدها ليست كافية لو أنه حديث للعرفة بالسحر، لكان تجلي موهبتها لنهره لكن سنوات عمره جعلته يدرك أن كلا ما يمتلك موهبة كان المجوسي حكيما لا تصله مثل هذه اللابسات.

وقعت ويكا وتوجهت إلى أحد الرفوف، فسحبت منه ورق اللعب للفصل لديها

- هل تجددين توزيع الأوراق؟

نومات بريدنا برأسها. فقد سبق أن تابعت دروساً قليلة جعلتها

يقع المبنى القديم في وسط البلدة، في مكان لم يعد يؤمه سوى السياح الذين يحثون إلى بعض من رومانسية القرن التاسع عشر على بريدنا الانتظار لأكثر من أسبوع لتعال موافقة ويكا على ربارتها، وها هي تفه الآن في مواجهة عمارة رمادية غامضة، تضارع لتكبح لهمتها كان المبنى تماما كما تصورته، المكان الملائم لسكن رواد المكتبات.

لم يكن فيه مصعد تسلقت بريدنا السلالم متباطئة في محاولة لتوفير بعض من نفسها حتى بلوغها الطابق المشود وحين وصلت، فرعت جرس الباب الوحيد الذي وجنته

علا صوت سباح من الداخل. مز بعض الوقت قبل أن تفتح الباب امرأة رشيدة وأنيقة تبدو عليها ملامح الجدية

قالت بريدنا، لقد اتصلت قبل أن أتى.

أشارت إليها ويكا لتدخل وجنت نفسها في غرفة معيشة مطلية بكاملها بالأبيض، ترتبها جناريات من الصن الحديث مورعة في كل مكان، لوحات معنقة على الجدران، ومحفونات وأنوي أرهار مرصوفة على الطاولة. علقت على الحائط، ستائر بيضاء ترشح نوراً صافياً.

كانت الغرفة مقسمة بلكاء، بحيث تتسع لبعض الأثاث وطاولة طعام ومكتبة تتراص فيها الكتب كل ما في العرفة

تذكر أن الورق الذي تحمله السيدة هو ورق تارو مولف من ثمان وسبعين ورقة. كانت قد تعلمت طرائق عدة لرصفها، فاسعنتها فرصة التباهي بمعرفتها

رغم ذلك، أبقت المرأة الورق بين يديها. خلطت الأوراق ووزعتها مقلوبة على الطاولة الزجاجية من دون أن تعتمد ترتيباً معيناً، متبعة في ذلك طريقة مغايرة لما تعلمته بريدنا في دروسها. لم تثر حرج وبكا من مكانها، وشرعت تتأمل الأوراق للحظات. تمتمت بعدها بصع كلمات بلغة غريبة، ثم قلبت ورقة واحدة فقط

كان رقم الورقة ٢٣، ملك سباتي.

قالت: ستحطين بحماية جيدة من قبل رجل قوي قادر ذي شعر داكن اللون.

لا صديقها كان قويا او قادرا، ولا لجوسي كان شعره داكنا بل رمادي. كانها قرأت أفكارها، علقت وبكا، لا تفكري في المظهر الخارجي، بل في رفيق روحك.

سألت بريدنا باستغراب: ماذا تفصلين برقيق روحك؟

كانت المرأة تفرص احتراما غريبا مختلفا عن ذاك الإحساس الذي شعرت به بريدنا تجاه اللجوسي أو صاحب المكتبة.

لم تجب وبكا. أخذت تخلط الأوراق من جديد، ثم وزعتها على الطاولة متبعة العشوائية نفسها، لكن هذه المرة كان وجهها ظاهراً في وسط الأوراق غير المشفة برر الرقم ١١، مجسدا امرأة تفتح فك الليث.

رفعت وبكا الورقة وطلبت إلى بريدنا أن يحملها، فامثلت من دون أن تفهم ما عليها فعله بالصبط - لطالما كان جانبك الأثوي هو المسيطر على مدى حيوانك السابقة.

- ماذا تفصلين برقيق روحي؟

كزرت بريدنا سؤالها كانت تلك المرة الأولى التي تتحدى فيها وبكا، برغم أن التحدي كان خجولا للعبة.

حافظت وبكا على صمتها لبعض الوقت عبر الشك أفكارها، فالجوسي ارتأى لسبب ما ألا يحدث بريدنا عن رفقاء الروح. «هراء»، قالت هي سزها، وطردت المعكرة من رأسها

- أول ما يتعلمه المرء، حين يتبع حكمة القمر هو فلسفة رفيق الروح، إذ من دون فهم هذه الفلسفة، لا يمكننا استيعاب انتقال المعرفة عبر الزمن.

تابعت وبكا شرحها في ظل صمت بريدنا وفلقها

- نحن خالدين لأن الله يتجلى فينا جميعا لذلك، نحيا حيوات عدة، ونموت مرارا بسبب من الجهول، ونهيم في اتجاه مجهول آخر يبغي أن تقبلي الحقيقة القائلة بأن ثمة مظاهر كثيرة في السحر، لم ولن نعيش لقد ارتأى الله خلقاً معيناً لبعض الأمور، ولا أحد يدرك سز ذلك سواء.

فكرت بريدنا، إنه ليل الإيمان الخالك. إذا، فهو جزء من حكمة القمر أيضا

تابعت وبكا، الحقيقة هي أن هذه الأمور نحصل فعلاً وحين يفكر الناس في التغمص، يواجهون دوما سؤالاً في غاية الصعوبة،

إذا كان البشر الذين قطعوا الأرض بداية معدودين، ثم غدا عندهم اليوم لا يحصى، فمن أين أتبعثت تلك الأرواح كلها؟

حبست بربنا أنفاسها، فقد راودها هذا التساؤل مرات ومرات. وأصافت وبكا بعد استراحة تلذذت خلالها بصمت الصبابة المتعطشة، الإجابة في غاية البساطة. في بعض حالات التقمص، تنقسم أرواحنا إلى جزءين، تماماً كما الكريستال والنجوم، كالحلايا والنباتات.

ينقسم الروح إلى زوجين، يتجزأ كل منهما إلى روحين آخرين، وهي غصون أجيال قليلة، تتبعثر أرواحنا في أرجاء الأرض.

كانت الأسئلة تنضرب في ذهن بربنا، لكنها قررت أن تطرحها واحداً بعد الآخر، فبدأت بما بدا لها الأهم،

- وهل من بين هؤلاء واحد على الأقل يعرف من يكون؟

لم تجب وبكا عن السؤال، بل تابعت:

نحن بشكل جزء مما يسميه الخيميائيون، الأنبياء موبدي، أي روح العالم. والحقيقة أن اكتفاء الأنبياء موبدي بالتجرف المحض، يعرر تكاثرها، لكنه يجعلها أضعف فأضعف. لهذا، في مقابل انقسامنا إلى جزءين، فإننا متكامل من جديد عندما نجد نصفنا الآخر عملية التكامل هذه تُطلق عليها تسمية «الحب»، ذلك أن الروح ينقسم دوماً إلى جزءين، أحدهما منكر والآخر مؤنث.

وبرد شرح ذلك في «سفر التكوين»، انقسمت نفس آدم إلى نفسين، فخلقت منه حواء.

فجأة، توقفت وبكا عن الكلام وجلست تمعن النظر في الأوراق المبعثرة على الطاولة

- ثمة أوراق كثيرة تنتمي جميعها إلى مجموعة الورق نفسها ولهم مغزى هذه الأوراق، نحن في حاجة إليها كلها، فهي جميعاً متساوية في الأهمية. والأمر نفسه ينطبق على اليموس، هابشر مترابطون، تماماً كأوراق هذه المجموعة..

في كل حياة من حياتنا، نتملكها حاجة غامضة إلى لقاء أحد رفاق روحنا فالحب الأعظم الذي فزق بين هؤلاء يسعد بالمشق الذي يجمع شملهم من جديد.

- لكن، كيف لي أن أميز رفيق روحي؟

ضجرت بربنا بأن هذا أهم سؤال طرحته في حياتها

صحكت وبكا هي أيضاً طرحت السؤال نفسه من قبل، بالهمة الشديدة عينا التي تراها في الصبية المائتة أمامها

- تميزينه من ضياء عيني. مذ وُجد البشر، وهم يأسون إلى حبهم الحقيقي من ضياء عيني. أما حكمة القمر، فتعتمد أسلوباً مختلفاً، نوعاً من الرؤى يرشدك إلى بقعة ضوء تعلق مكتف رفيق روحك اليسرى.

لم تفصح وبكا لربنا عما حال في رأسها فهي قد تتعلم يوماً رؤية تلك البقعة، كما أنها قد لا تفعل. وستأتيها الإجابة قريباً

أكملت وبكا، بولوح الأحطار... بالمجاهدة بالمشق، وبخيبة الأمل ومواجهة الوهم، من دور الاستسلام في السعي وراء الحب. وإذا تابرت على البحث، فسوف تتصيرين في النهاية

استعادت بربنا ما قاله الجوسي يوم تحدث عن درب السحر كان كلامه مشابهاً، ففكرت: ربما يتحلىثان عن الأمر عينه

شرعت ويكا في لمة الأوراق عن الطاولة، فعرفت بريد أن وقتها شارف على الانتهاء. لكن، كان لديها سؤال أخير:

- لو بممكن أن يلتقي المرء أكثر من شق روح واحد في الحياة الواحدة؟

«نعم»، ردت ويكا في سرها بشيء من الرارة. وحين يحصل ذلك، ينقسم القلب، فتأتي العاقبة أنا وعدب نعم، بممكن أن يلتقي ثلاثة شقائق أو أربعة، لأن شقائق أرواحا كثيرون ومشتتون. كانت بريد تصرح أسئلة صائبة، لكن، كان على ويكا أن تتجنب الإجابة عنها

«إن جوهر الخلق يتجسد في أمر واحد أوحد فقط، هو الحب. والحب هو القوة التي تجمع بين أرواحنا، بهدف تكتيف تلك التجربة المشتتة بين حيوات عدة، ولبعثرة بين أبناء العالم. عليها البحث في كل أرجاء الأرض، ذلك أننا لا نعلم أين يمكن أن تكون كل شقائق روحنا التي بدأت بالتجزؤ منذ الأزل. كانت مرتاحة، فإسما أيضاً سيكون سعاداً لكن، إن كانت تعاني خطباً ما، فسوف تعاني جزءاً من ألها، وإن تم ذلك في لاوعينا.

وبالرغم من ذلك كله، فإن الأهم يبقى أننا مسؤولون عن مصادفة أحد شقائق روحنا، على الأقل مرة واحدة في كل حياة، ذلك الشق الذي لا بد من أنه سيعترض مسيرتنا، حتى لو لم يتعد اللقاء لحظات، فهذه الهبئات تحمل معها حباً فيه من العطمة ما يكفي لأن يجعل لبينة أيام حياتنا معنى.

علا صوت من المطبخ جمعت ويكا الأوراق كلها، ونظرت مجلداً إلى بريد.

- في مقبورنا أن ندع بصمنا الآخر يموتنا من دون أن نعرف به أو حتى يعبوره. عندها، يجب علينا انتظار حياتنا اللاحقة كي يلتقيه من جديد. وبسبب أنانيتنا، سنحكم علينا بأبشع عذاب أوجلته البشرية لنفسها، الوحدة.

نهضت ويكا ورافقت بريد إلى الباب.

وقبل أن تودعها قالت له تأت إلى هنا لنسمعي عن توام روحك. لديك «موهبة» متى حذنتها، قد أتمكن من تلقينك حكمة القمر. أحسنت بريد بأنها استثنائية. كانت بحاجة إلى ذاك الاملاء فقد شعرت بأنها تكن لتلك الرارة إجلالاً لم تكنه إلا لقلائل.

«سأقوم بما في وسعي. أريد تعلم حكمة القمر».

ليكمل في سرها: لأن حكمة القمر لا تتصلب امضاء ليل في

أجالت ويكا. الآن، استمعي إلي، من اللحظة فصاعداً، اجلسي وحدك كل يوم في وقت محدد نخناربه، ووزعي أوراق التارو كما فعلت أنا اليوم. بعشوائية مطلقة لا نحاولي أن نفهمي كل ما عليك فعله تأمل الأوراق، وهي كفيلة بتعليمك كل ما تحتاجين إليه في الوقت الراهن.

أثناء هبوطها الدرج، راحت بريد تفكر: مجلداً، علي تعليم نفسي، كما في حكمة الشمس. ولم تثبته بريد إلى ما قالت له السيدة حول «موهبتها» حتى بلغت الباب. سوف تسألها عن هذه الموهبة خلال لقائهما القادم.

دُؤنت فيه الحكمة الإلهية البعيرت الأساسية التي ستصراً خلال رحلة الحياة. لكن من كتبوا هذه الحكمة، كانوا يتركون ميل اليشتر إلى التعلم من الرديلة عوضاً عن الفصيلة. لذا، رأوا في بعبه الورق وسيلة لسفل الحكمة عبر الأجيال. الورق ليهتكاز أوجنته الآلهة..

وفي كل مرة كانت توزع فيها الأوراق، كانت تكرر في سرها أن الأمر لا يمكن أن يكون بهذه البساطة. لقد تم تلقيبها طرائق معقدة وأنظمة دقيقة، لكن هذه الأوراق غير المسقة بدأت تشوش مطلقاً

في الليلة الثالثة، رمت بربنا الأوراق، على الأرض بغضب. خطر لها للحظة أن تصرفها الفاصب قد يحمل إلهاماً سحرياً ما، لكن النتائج لم تكن مرضية بالقدر نفسه، فكل ما حصلته بضعة طلال طردتها مجدداً، معتبرة إياها مجرد تهيؤات.

لم تبارح فكرة شق الروح، كل ذاك الوقت، ذهبها لثانية واحدة. في البداية، شعرت بأنها استعانت أيام المراهقة حين كانت تحلم بفارس أسير يعبر الجبال والاونية، بحثاً عن صاحبة الحذاء الزجاجي، أو لبوقطها بقبلته الجميلة النائمة

خاطبت نفسها بشيء من الدعاية، لقاء المصنف الآخر أمر لا وجود له سوى في حكايات الخيال. وقد شكلت تلك الروايات الخيالية تجربتها الأولى مع العالم السحري الذي تتحزق إلى سبر أغواره ولطالما تساءلت عن سبب إقصاء البشر أنفسهم عن ذاك الكون، اللهم، برغم البهجة القسرة التي بعثتها الطفولة في حياتهم.

ربما لم يرق لهم الإحساس بالبهجة.. رغم العجب الذي وجدته في فكرتها، دُؤنتها في معكرتها معتبرة إياها خاطرة «مبدعة».

طوال أسبوع كامل، كانت مريد تكرر نصف ساعة يومياً لتوزيع أوراق التارو على الطاولة في غرفة الجلوس. تخلصت إلى اليوم في العاشرة ليلاً وتستيقظ على رنين منبهها في الواحدة صباحاً، لتنهض وتحضر كوباً من القهوة، ثم تجلس متأمل في الأوراق. في محاولة لك رموز أحرفها الخفية.

في الليلة الأولى، تملكها اللهفة. كانت مفتحة بأن وبها كشميت لها بعض الطقوس السرية. لذا، حاولت أن ترصف الأوراق بالطريقة نفسها، مترقبة ظهور رسالة سحرية وبعد حوالي نصف ساعة من التأمل، كان جل ما لسته بضع رؤى شعرت بأنها ليست سوى ثمرة مخيلتها وما عدا ذلك، لم يحصل ما يستدعي اهتماماً عظيمًا

وفي الليلة الثانية، كزرت المحاولة. كانت وبها قد أحبرتها بأن الأوراق تفصح بنفسها عن رسالتها الخاصة. وبالنظر إلى ما تعلمته بربنا في صفوف التارو، فإن هذه قصة قديمة جداً، تعود إلى أكثر من ثلاثة آلاف عام، أي إلى ذلك العهد الذي كانت البشرية فيه أقرب إلى الحكمة الأصلية

تبدو الصور في غاية البساطة، امرأة تفتح فك الأسد، عربة يجرها حيوانان غريبان، رجل يجلس أمام طاولة تحلوها أشياء متنوعة. كانت قد تعلمت أن مجموعة الورق هي بمثابة كتاب

بعد أسبوع قصته بريدنا وفكرة شق الروح تستحوذ عليها،
تملكها شعورٌ مرعب، ماذا إذا اختارت الرجل الخطأ؟ وعندما
استيقظت في الليلة الثامنة للقيام بجلسة التأمل غير الجدية في
أوراق التارو، قررت أن تدعو صديقيها غداً إلى تناول العشاء في
الخارج.

اختارت مطعماً أسعاره مقبولة لأنها تعرف إصرار صديقها على
دفع الحساب، رغم أنه، كمساعد أبحاث يعمل مع بروفيسور في
الغريباء، يجني أقل بكثير مما تجنيه بريدنا في وصيفتها
كسكرتيرة. كان الطقس لا يزال صيفياً، فجلست إلى إحدى
طاولات الرصيف المحاذي للنهر

سأل لورنس مداعباً بطيبة: متى ستسمح لي الأرواح بمطارحتك
الحب من جديد؟

نظرت إليه بريدنا نظرة ملوها الحنان. لقد طلبت إليه ألا يقصد
شفقتها لمدة أسبوعين، ووافق رغم اعتراض ودي كان يكفئها
لتدرك مدى حبه لها. هو أيضاً كان يسعى، بطريقته، إلى فهم
أسرار الكون. وسيجب عليها القبول إذا ما طلب إليها يوماً أن تبعد
عنه لأسبوعين.

تناولا لعشاء على مهل، وهما يراقبان بصمت السفن تمر،
وبشاهدين لناس يعبرون الرصيف. أفرغاً رجاجة السيد الأبيض وجلب
أخرى بعد نصف ساعة، كان كرسيتاهما متلاصقتين ودرعاهما
متلاحمتين، ونظارهما تطوف في سماء الصيف للرصعة بالنجوم.

خاطب لورنس بريدنا وهو يداعب شعرها، انظري فقط إلى هذه
السماء. ما نراه الآن هو بالصيغ ما كانت لتكون عليه السماء قبل
آلاف السنين.

مكان قد شاركها في الفكرة نفسها يوم تعارفا، لكن بريدنا ارتأت ألا تقاطعه. فهذه طريقته في مشاركتها هذا العالم.

«نجوم كثيرة مثل هذه ماتت» لكن شعاعها لا يزال يملأ الكون. وأخرى ولدت بعيداً جداً ولم يصلنا شعاعها بعد.

- إننا لا أحد يعرف شكل السماء الفعلية؟

كانت قد طرحته عليه السؤال نفسه في لقائهما الأول. جميل استرجاع تلك اللحظات الممتعة

- لسنا يدري، فلنحس لندرس ما تمكنا رؤيته. وما نراه لا يعكس دائماً ما يوجد في الكون.

- أريد أن أطرح سؤالاً، متى نحن مصنوعون؟ من أين أتت هذه الذرات التي تتكون أجسامنا؟

نظر لورنس إلى السماء وأجاب:

- خلقت عندما خلقت هذه النجوم وهذا النهر، لحظة الوجود الأولى.

- إننا لم نصف شيء منذ لحظة الخلق تلك

- نعم، لم نتف إضافة شيء. كل شيء كان ينبذل، ولا يزال متحركاً لكن كل المواد الموجودة في الكون اليوم هي نفسها منذ مليارات السنين، لم تُصَفْ ذرة واحدة إليها

أخذت بريدنا تتأمل في حركة النهر والنجوم من السهل مشاهدة جريان النهر عبر الأرض، لكن تعدت رؤية النجوم تطوف في السماء، مع أنها كانت تتحرك.

بعد صمت طويل رافياً خلاله مرور إحدى السفن، قالت بريدنا أخيراً لورنس، اسمح لي بسؤال قد يبدو لك غريباً ولامطلقياً، هل

من الممكن فيزيائياً أن تكون ذرات جسدي قد كونت جسم شخص عاش من قبلي؟

حنق لورنس فيها بدهول.

- ماذا تقصدين؟

- ما قلته. هل هذا ممكن؟

- ربما وجدت في نباتات أو حشرات، كما أنها قد تكون استمالت جزيئات هليوم نهيماً في قصا، ما، على بعد ملايين الأميال من الأرض.

- لكن، هل يمكن أن تكون ذرات جسم قصي في جسمي وفي جسم شخص آخر؟

صمت للحظة ثم أجاب:

- نعم، هذا ممكن.

تناهى إلى مسمعهما صوت موسيقى أت من بعيد. كان مصدره مركباً يعبر النهر ورغم المسافة البعيدة، فإن ثمة لوحة ارتسمت أمام بريدنا، إطارها نافذة المركب المضاء. وفي اللوحة طيف بخار ذكرها اللحن بأيام المراهقة، وأعاد إليها ذكريات رقصات المدرسة، ورائحة غرفة نومها، ولون رباط الشعر الذي لطفاً استعملته في تسريحة ديل الحصان. ارتكت بريدنا أن سؤالها لم يخطر قط في بال لورنس، ونه الآن يتساءل أين كانت في جسده ذرات الحاربي المايكسي، أو لحم بركانية، أو لحيوانات من حقبة ما قبل التاريخ انقرضت في ظروف غامضة

تفكارها كانت في مكان آخر. جل ما أرايت معرفته إن كان هذا الرجل الذي يحضنها بحنان غامر، قد شكّل يوماً جزءاً منها

افترب الرورق منها وبنات الأنعام تما لا جو من حولها
انطعت الأحاديث على الطاولة الجاورة أيضا، فالكل متلهمون إلى
معرفة مصدر الموسيقى، لأنهم جميعاً حضروا حفلات الرقص في
الدرسة، وحلموا أحلاماً ترشح قصص محاربين وجن

- أحبك يا لورنس.

كانت بريدا مفعمة بأمل أن يكون في هذا الشاب العارف شعاع
النجوم، بعض من الشخص الذي كانته يوما

.ليس الأمر جيداً لا يمكنني القيام بذلك.

اعتلت بريدا سريرها ورمت بطرة، متعاطفة، على عتبة السجائر
التي تعلقو مصيدة السرير قررت أن تكسر جميع عاداتها، وأن
تدخن سيجارة قبل تناول طعام العطور

أمامها يومان قبل أن تلتقي وبكا مجد كات نعيم بها بدلت
قصارها خلال الأسبوعين الاربعة. توشلت كل أمل لديها في
تطبيق الطريقة التي تعلمتها من السيدة العاتية الغامضة في توزيع
الأوراق، وجهت لنلا تحبب أمها، لكن الأوراق رقصت أن تنكشف
عن أسرارها

كانت تتأبها رغبة في البكاء كلما انتهت من محاولة طول
الليالي الثلاث الماضية تعلقها شعور بالصعف والوحدة، وأحست بأن
فرصة عظيمة تفلت من بين يديها رأت مجد أن الحياة تمر
من الآخرين، فقد أعطيت كل الفرص لتحقيق شيئا ما، بكمها
كلما اقتربت من بلوغ الهدف، كانت الأرض تسحق وتبتلعها
تكرر ذلك في دراستها، ومع بعض الشبان، وأيضا في بعض أحلامها
التي احتفظت بها لنفسها دون مشاركة من أحد.

جاءتها صورة الجوسي، وربما تمكن من مساعدتها لكنها
قطعت على نفسها عهداً بعدم العودة إلى قولك، إلا إذا كان في
حببتها معرفة للسحر تكفي لمواجهة الجوسي من جديد.

وهذا ما يبدو لها الآن، أنه لن يحدث أبداً.

مكنت طويلاً في السرير، ثم قررت النهوض لتحضير الفطور. تمكنت أخيراً من استجماع العزم والشجاعة الكافيين لمواجهة يوم جديد لن يكون سوى «ليل حالك» على ما درجت أن تسفي نهاراتها منذ تجربتها في الغابة. حشرت بعض المهوة، استشرت ساعتها واستنتجت أن أمامها ما يكفي من الوقت.

توجهت نحو رف المكتب وبحثت عن قصاصة الورق التي قدّمها إليها صاحب المكتبة. فكرت موسية نفسها: لا بد من وجود سبل أخرى. فقد التقت الجوسي، ثم وبكا ومن الوكد أنها ستلتقي في النهاية ناك الشخص الذي يستطيع تلعبها السحر بطريقة نهمة.

لكنها كانت تعلم بأن حججها واهية.

فكرت محزنة في استسلامها للناس. قد تشارك الدنيا ذلك ربما، وتتوقف عن دعمها المستمر لها، لو قد يتجسّد في استنفدت جميع السبل الممكنة عبر الاستسلام منذ البداية في كل مرة من دون التقدم خطوة واحدة.

لكن هذه هي حالها، وها هي تشعر بالصعب يبال منها تدريجاً، وبقدرتها على التغير تصمحل شيئاً فشيئاً قبل سواب قليلة، كانت تصرفاتها هذه لتتبط عريمته، لكنها على الأقل كانت قادرة على القيام بتلك المبادرة البطولية في بعض الأحيان، أما اليوم فقد بدأت بالتأقلم مع أخطائها. كانت تعرف أشخاصاً آخرين عاشوا التجربة نفسها، وألموا أخطاءهم، وما لبثوا أن غدوا يروون إليها على أنها قصائل. وحين يحدث ذلك، يكون اللون قد فات.

خسر لها ألا تتصل بويكا وأن تختفي بكل بساطة لكن، ماذا

عن الكنية؟ شعورها الجرة لتقصدها ثانية فمالحكا لن يكون باللطافة نفسها عندما تراه من جديد. «سبق أن حدث ذلك، فقد سبب أحد تصرفاتي، المتهورة مع أحد الأشخاص، انقطاع التواصل مع كثيرين أحببتهم فعلاً، لم يكن في إمكاني تكرار التجربة، فهي تسلك درباً تقدر فيها العلاقات القيمة.

استجمعت رباطة جأشها، وطلبت الرقم الدّور على القصاصة أجابت وبكا على الاتصال.

- لن أتمكن من الحضور غداً.

- أجل، والسناك أيضاً لن يتمكن من المجيء.

للحظة، لم يكن لدى بريدا أي فكرة عما يمكن أن يعنيه ذلك. راحمة وبكا تلتزم من مشكلة تواجهها مع المجلي، وكيف أنها أتممت مرسلة مع أحدهم كي يأتي، ويصلح العطل، لكنه يتعجب في كل مرة، ثم استغرقت في قصة طويلة عن المباني القديمة المكنظة بجميع أنواع المشاكل، ورغم شكل عمارتها البالغ العظمة أحياناً وهي منتصف حديثها عن السباك، سالت وبكا،

- هل أوراق النارو أمامك؟

وسط دهشتها رفّت بريدا بالإيجاب. طلبت إليها وبكا أن تبسط الأوراق على الطاولة لأنها ستعلمها طريقة لمعرفة إن كان السباك سيحضر في اليوم التالي أم لا. استجابت بريدا رغم دهشتها المترايدة. هربت الأوراق وجلست تحلق إلى الطاولة بعينين خاويتين، في انتظار إرشادات وبكا عبر الهاتف. كابت الشجاعة لتفسر سبب اتصالها تخيو بشكل تدريجي.

ونمام إصرار وبكا على متابعة الكلام، قررت بريدا الإصغاء،
برحابة صدر، فربما صارتا صديقتين. وعينها يحفل أن يصبح
لدى وبكا من الجند ما يكفي لتضيء أمام بريدا طرقا تسهل لها
فهم حكمة المعمر

كانت وبكا تستقل من موضوع إلى آخر، وتقفز بين أطراف
الاحاديث، ناسجة خيوط ربط في ما بينها. فما إن أنهت موجة
التدمير من السباكين، حتى استرسلت في وصف جنلي دار بينها
وبين المسؤول عن المبنى حول مرثب الباطور. ثم انتقلت إلى الحديث
عن تقرير قرأته عن الباسيويات القديمة

علقت بريدا على كلام وبكا بهصع عبارات تأييد، معلنة
موافقتها على كل ما قالته المرأة، رغم توقفها عن الإصغاء. بال منها
الصخر بشكل رهيب، فهذه الحادثة في ساعة مبكرة من الصباح.
مع امرأة لا تكاد تعرفها، عن السباكين والمواطنين وأصحاب
الباسيويات، كانت أكثر الأمور التي احتيرتها في حياتها إثارة
لللمل. حاولت تسلية نفسها بالأوراق المفرودة على الطاولة، مكتشفة
تفاصيل صغيرة لم تنسبها إليها من قبل.

بين القبة والآخرى، كانت وبكا تسأل بريدا إن كانت تتابعها،
فتتمم بريدا، «نعم»، رغم شرودها على بعد آلاف الأميال تجوب في
الآفاق، وتطوف في أماكن لم يسبق لها أن زارتها يوما. كان كل
تفصيل على الأوراق يدفع خيالها أبعد، عبر تجوالها تلك

فجأة، كأنها تلج الحلم، أتركب بريدا أنها لم تعد تستطيع
سماع ما تقوله وبكا. صوت ما راح يهمس لها، صوت بدا باطنيا
لكيها تدرث أنه خارجي. هل تهممين؟ سألها. رقت بريدا بالإيجاب.
«هل تهممين؟» كرر الصوت الغامض من جديد.

لم يكن ذلك كله مهما. فأوراق التارو أمامها بدأت تظهر
مشاهد عجيبة، رجالا ذوي أجساد برونزية زيتية لا تعطيها سوى
أحرمة جلدية وبضعة أقنعة لينة، جعلتهم يبدوون أشبه برؤوس
صخرة لأسماك. راحت الفيوم تتسابق عبر السماء، لكان كل شيء
يتنازع بسرعة قياسية. فجأة، تحول المشهد إلى ساحة تحيط بها
أنبياء مهيب، فيها بضعة شيوخ يتعجلون في نقل الأسرار إلى
مجموعة من الضحية، كان أحد أشكال المعرفة المعروفة هي القدم
على وشك أن يصيح إلى الأبد.

وهي خصم ما بدا كأنه مناسبة احتمالية، صرح صبي برندي
ثيابا من القرون الوسطى، رد سبعة على ثمانية تحصل على رقمي
لنا الشبطين، ولقد وقعت الكتاب. رجال وساء سكارى ألقوا عليها
لبتامة سخرية تغير المشهد مجددا بحل محله البحر، ولتظهر
معابد منحوتة من الصخر. وما لبثت سحب سوداء أن بدأت تحجب
السماء، تثغبها ومضات برقي لامعة.

ظهر باب ثويل يشبه أبواب القصور القديمة، أخذ يبدو من بريدا،
فحدثت بأنها ستتمكن قريباً من فتحه

علا الصوت عودي.

«عودي»، كزر الصور عبر الهاتف. كن مصدره وبكا انزعجت
بريدا من مقاطعة وبكا تلك التجربة الاستثنائية التي كانت
تعيشها، فقط كي تصجرها بإبريد من الأحاديث حول المواطنين
والسباكين.

«لحظة واحدة، أجابت وهي تبحث بكل جوارحها عن ناك
الباب لكبه كان قد اختفى.

رقت ويكا، أعرف ما حدث معك. ذهبت بريدنا وفتابتها حالة من النحول. لم يكن في مقنورها استيعاب ما يحصل.

كزرت ويكا كأنها تجيب عن صمت بريدنا، أعرف ما حدث. بس أصيب شيئاً آخر عن السباك الذي حصر في الأسبوع الماضي وأصلح الاعطال كلها

وقبل أن تعلق السماعه، أكنيت لبريدنا أنها ستتطررها في الوعد المتفق عليه.

أقمت بريدنا الخط من دور أي كلمة وداع. وجلست مطوياً تتأمل حائط المطبخ قبل أن تستسلم لبكا، منشج. لكنه مريح.

حين جلسنا مجدد على الأرائك الإيطالية، عثمت ويكا على رعب بريدنا، كان ذلك مجزّد حيلة

أكملته أعرف ما يتناوبك من أحاسيس. في بعض الأحيان، نتحلى عن درب ما، لأننا ببساطة لا نؤمن بها وهذا سهل، فكل ما علينا فعله إثبات أن تلك الطريق ليست لنا لكن الأحداث التي تبدأ بالحصول، والإنهام الذي يأتيها خلال مسيرتنا، يبعثان فينا الخوف من المتابعة

قالت ويكا ليها لم تفهم يوماً لماذا يقضي جميع هؤلاء الأشخاص حيواتهم في هدم سبل لم يرغبوا حتى في اتباعها، بدلا من سلوك الطريق الوحيد التي ستوصلهم إلى مكان ما.

احتجت بريدنا، لا أصدق أن ما حصل مجزّد خدعة. بدأ ليها تخلّت عن غرورها واستخفافها، بعد أن كبر احترامها لويكا على نحو ملحوظ

لا، لا، رؤيتك لم تكن مجزّد خدعة، بل حديث الهائم فقط لقد عشنا ملايين السنين، تحدثنا خلالها فقط إلى الأشخاص الذين استطعنا رؤيتهم. وفي أقل من قرن واحد، غدا مفهومنا، الرؤية، والتحدث بمصطلحين. ونحن نعتقد أن الأمر طبيعي للغاية، فلا ننتبه إلى تأثيره العميق في ردود أفعالنا، ذلك أن أجسادنا لم تتأقلم بعد، والنتيجة العملية لذلك دخولنا في حالة تشبه، إلى حد بعيد،

بعض حالات من الغيبوبة السحرية. أثناء جلوسنا على الهاتف، يمتلئ عقلياً إلى موجة أخرى فيصبح أكثر استقبالية لإشارات العالم اللامنتظر.

أعرف ساحرات يحتفظن دوماً بقلم وورقة إلى جانب الهاتف، فيخربشن أثناء مكالمتهن أشياء تبدو في الظاهر حالية من أي معنى. وحين يفعلن الخطأ، يتنبهن إلى أن رسومهن ما هي إلا رموز تابعة لحكمة القمر..

• لكن، لم مكشفت لي أوراق التارو عن نفسها؟

هذه هي المشكلة الكبرى لدى كل من يبغى تعلم السحر حين يمتلئ في رحلتها، تكون لديها فكرة شبه واضحة عما يأمل إيجاده النساء غالباً ما يبحث عن رفيق روحهن في حين أن الرجال يسعون وراء السلطة. وكلا الطرفين لا يهتم فعليا بالتعلم، بل يطمح بكل بساطة إلى تحقيق الهدف المنشود.

• لكن طريق السحر - كما درب الحياة - لا تقضي إلا إلى الغموض، وستبقى كذلك إلى الأبد. فالتعلم يعني الاحتكاك بعالم لا نعرف شيئاً عنه. كي نتعلم، ينبغي أن نتحلّى بالتواضع.

عنقت بريد، كالفوم في الليل الخالك.

أجابت ويكا، لا تقاطعي، حمل صوتها ببرة انزعاج لم تتمكن من كبتها تماماً، لكن بريد علمت بأن ما قالت له لم يكن السبب. فكّرت: قد تكون غاصبة من الجوسي ربما أحبته يوماً، فهما في العمر نفسه تقريباً. ثم أجابت: أنا أسفة.

بدت ويكا متفاجئة بالفقر عيه من رد فعلها حين قالت لا بأس!

• كنت تخبريني عن أوراق التارو

• في كل مرة وزعت فيها تلك الأوراق، تولّد لديك تصوّر مسبق عما سيحدث. لم تسمح لي لها بأن تخبرك قصتها، بل حاولت أن تجعلها تؤكد لك ما اعتقدت أنك تعرفيه.

• أدركت ذلك أثناء محادثتنا الهاتفية. عرفت أيضاً أن هذه إشارات وأن الهاتف حليفي. لذلك استرسلت في حديث مصجر للغاية، وطلبت إليك أن تتأمل في الأوراق. لقد عشت غشاوة سببها الهاتف، بينما قادتك الأوراق إلى عالمها السحري.

اقترحت ويكا على بريد أن تظن ملياً في عيني من يصادف وجودها قريب، وهو يتحدث على الهاتف، فسوف تفاجأ بما تراه.

- حان الوقت للانتقال إلى الخطوة التالية

نهضت بريدنا والأفكار تجول في رأسها، فقد تطورت الأمور
بشكل سريع جدا وفجائي. كانت الحياة قد بدأت تشبه العيوم
التي ظهرت لها في الغيبوبة السحرية

أثناء تناول الشاي في مطبخ ويكا المنهش بحنانه وعمالية.
قالت بريدنا أريد أن أسالك شيئا آخر. أود أن أعرف لماذا لم تدعيني
أنتخلى عن الدرب.

فكرت ويكا، لأنني أريد معرفة ما وجدته الجوسني فيك، فصلا
عن موهبتك، لأن لديك موهبة ما.

- كيف تعرفين؟

- هذا سهل، من خلال أدبيك.

قالت بريدنا في سزها، من خلال أنني حكم أن ذلك مخيب
للأمال وأنا من حسب أنها تستطيع رؤية الهالة التي تحيط بي

- جميع الناس يتحلون بموهبة ما، لكن بعضهم - وأنا منهم
على سبيل المثال - تولد معه موهبة أكثر تطورا من الآخرين الذين
عليهم أن يصارعوا لتطويرها صاحب الموهبة تكون شحمة الله
صغيرة جدا وملتصقة بوجهه. لست بريدنا شحمتي لديها تلفانيا
كان كلام ويكا صحيحا

- هل تملكين سيارة؟

جابت بريدنا بالنفي.

إذ، استعدي لإبفاق ثروة على سيارات الأجرة. قالت ويكا وهي
تنهض من مكانها

لأن يكون حياً، وينبغي لك أن تحاولي يوماً الحفاظ على التواصل مع الحياة، فهي تفهم لغتك، وسيصبح للعالم معنى آخر في نظرك.

نهشت بريدنا رشاقة ويككا، فقدمناها نحلقان فوق الأرض من دون أن تصدر أي صوت نقرانيا. وصلنا إلى بقعة جرداء، تجاور صخرة ضخمة وبريدنا، المشغل بفكيرها لحصنها. بلا توقف، في كعوبة وصول تلك الصخرة إلى مكانها، تسببت إلى رماد الحريق للبحر في منتصف البقعة الجرداء.

كان المكان جميلاً، وشمس الاصيل الصيفية ساطعة تبت أشعة ذهبية دافئة، تعصلها ساعات عن الغروب. والطيور تشنق، والسيم الغليل يداعب أوراق الشجر. من مكانهما المرتفع، تمكنت بريدنا من تأمل الذي أفقياً وعمودياً.

أخرجت ويككا رداء من حقيبتها وارتدته فوق ملابسها، ثم وصفتها من الأنيق، بحيث تتعذر رؤيتها من البقعة

اجلسي
بنت ويككا مختلفة اختلافاً حذر بريدنا. أهو الزداء أم الاحترام العميق الذي بعته المكان في نفسها تجاهها؟

• علي أولاً أن أشرح ما سأقوم به. سوف أكتشف كيفية تجلي للوهبة فيك، لن أتمكن من البدء بتعليمك قبل أن أدرك ماهيتها طلبت ويككا إليها أولاً، أن تحاول الاسترخاء مستسمة لروعة المكان، تماماً كاستسلامها لأوراق التارو

• لقد بلغت رحلة السحر في إحدى مراحل حيوانك السابقة، لقد توصلت إلى ذلك من خلال الرؤى التي وصفتها لي.

أغلقت بريدنا عينيها، لكن ويككا سرعان ما امرتها بفتحهما.

مع حلول العصر، بلغت جبالاً تبعد حوالي ١٥ ميلاً جنوبي ديلين. تمتعت بريدنا بينها وبين نفسها، وهي تنقد السائق، كان في استطاعتنا قطع المسافة نفسها بالباص. كانت ويككا تحمل معها حقيبة وبعض الملابس.

قال السائق، بمكسبي الانتظار إذا أردتما، فمن الصعب إيجاد سيارة أجرة للعودة في هذه المنطقة. نحن في وسط اللامكان.

لا تفلقي، أجابت ويككا، محاولة بعث الطمأنينة في قلب بريدنا، فلنحصل ثامناً على ما نريده.

ألقى السائق نظرة غريبة عليهما وأطلق مبتعداً. كانا واقفتين في بقعة حرج يمتد حتى أسفل أقرب الجبال إليهما. بادرت ويككا، اطلبي الإذن لولوج الغابة، فأرواح الغابات حينئذٍ بدأت العادات التي تنم عن ذوق رفيع

طلبت بريدنا الإذن.

بدأ لها أن الحياة تبت فجأة في الغابة التي لم تكن حتى اللحظة سوى غابة عادية.

راحنا تسيران عبر الأشجار، فقالت ويككا أرمي الجسر الذي يفصل بين العالمين، المطور واللامطور. كل ما في، الكون قابل

- الأماكن السحرية جميلة دوماً وتستحق تأملها. الشلالات والجبال والغابات، كلها أماكن تميل لأرواح الأرض إلى السكن. والصحك فيها، ونقصاً إلى محادثة الإنسان. أنت في مكان مدمر وهو يصهر لك العصفور والرياح. اشكركي الله على تلك على الطير والرياح، وعلى الأرواح التي تقطن هذه العابة. وبقي دوماً على الجسد الذي يفصل بين العالمين.

ما يرح صوت ويحكاء يبعث الاسترخاء في نفس بريدنا التي تمنحها في تلك اللحظة إجلال شبه ديني

- حدثتُك مؤخراً عن أحد أعظم أسرار السحر، شق الروح حياة المرء كلها على سطح الأرض. تلخص بالبحث عن نون روحه ويمكن أحد الادعاء أنه يسعى وراء الحكمة أو المال أو السلطة. لكن أي من تلك لا يهم. فكل ما يحققه المرء، بطل ناقصاً إذا فشل في إيجاد نصفه الآخر.

- إذا استشبهنا بعض المخلوقات المنحدرة من الملائكة، والتي تحتاج إلى الوحدة لكي تقابل وجه الله، فإن الإنسانية بأكملها لن تنوصل إلى النعمة مع الله. إلا إذا تمكن البشر من التواصل مع شفائهم أرواحهم في مرحلة ما أو لحظة ما، من حيواتهم.

استشعرت بريدنا صافرة غريبة في الهواء. الغرورقت عيناها للحظات بدموع لم تتمكن من تفسيرها

- في الجانب المظلم من الرمي، أي حين كنا منفصلين، كننا جنس من المخلوقات، هو الرجل، بتشبه العرقة وصوبها. وقد ذهب إلى دراسة الزراعة والطبيعة وحركة النجوم في السماء. لطالما شكلت المعرفة القوة التي ثبتت الكون في مكانه، وجعلت النجوم

تدور في أفلاكها. وهباء كمن مخد الرجل، في تعبئة العرقة والحفاظ عليها. وهنا هو سبب بقاء البشرية بأكملها

أما النسوة، فمتن أمراً أكثر سموً ورقّة، لكنهم يفقد أي معنى له في غياب العرقة. ما منحهم مكان القدرة على التحويل. جعل الرجل الأرض خصبة، ونحن نثرنا البذور، فاستحالت التربة أشجاراً ونباتات. التربة تحتاج إلى البذور، وكذلك البذور في حاجة إلى التربة. ولا معنى لإحداها من دون الأخرى. هكذا هي حال البشر. فحين تلنح معرفة الرجل مع قنرة المرأة على التحويل. يتكون أعظم إبداع سحري، يسمى الحكمة. فإن يكون أحد الحكيم، يعني أن يعرف وأن يحول.

لاحظت بريدنا اشتداد الريح، وشعرت بصوت ويكاً ينفودها إلى غيبوبة جديدة.

بدأت لها أرواح الغابة حبة ومصفمة

أمرتها ويكاً بالاستلقاء.

تراخت بريدنا ومدت رجليها. فوقها كانت السماء الرقراء العميقة تتوهج صافية

- خوصي في البحث عن موهبتك. لن أتمكن من مرافقتك يوماً، لكن لا تخافي فكلما أدركت سر نفسك فهمت العالم من حولك، وديوت من نصفك الآخر

سبنمائي. بلنڈي هي ٽامل هدا الكون، ولا داعي للقلق من أي شيء،
ركزي ببساطة على لَنَفْكَ وفرعي عنك أي شعور بالنسب.

رأت برينا الكون مرصعا بالمجوم، وأدركت أنها تستطيع وبوجه
حتى أثناء استماعها إلى صوت وبكا. طلب إليها الصوت أن تتصور
كاندرانية فسيحة وسط هذا الكون. وبالمعل، شهدت برينا
كاندرانية من الطرار الموصلي مبنية من حجر أسود، بنت، رغم
غرابة ذلك، كأنها تشكّل جزءاً من الكون من حولها
سيرى نحو الكاندرانية، اصعدي الدرج وادخلي.

بغلّت برينا أوامر وبكا. صعدت الدرج وشعرت بقدميها
الحافيتين تلامسان برودة الرخام. أحست للحظة بأنها ليست وحيدة
وبدا لها صوت وبكا كانه يبع من شخص ما يمشي خلفها. قالت
لروحها، إني أتوهم. وتذكرت فجأة ما قبل لها عن الجسر الماصل
بين العالمين المظور واللامنظور عليها ألا تشعر بالخوف من الخيبة أو
الفشل.

وقفت برينا أمام مدخل الكاندرانية. كان الباب ضخماً
مصنوعاً من الحديد المطاوع، تزيّنه مشاهد من حيوات القديسين
كان مختلفاً تمام الاختلاف عن الباب الذي رآه أثناء رحلتها عبر
نوراني التارو

• افشي الباب وادخلي.

شعرت برينا ببرودة حديد القيد تحت يدها، ورغم حجم
الباب الهائل استطاعت فتحه بسهولة. دخلت فوجدت نفسها في قلب
كنيسة فسيحة

قالت وبكا، لاحظي كل ما حولك، ورغم الظلام في الخارج،

جئت وبكا، وبطرت إلى الشابة. فكرت بخافي، هي تماماً مثلما
كنت أنا ذات مرة، تبحث عن معنى لكل شيء، كما أنها قادرة
على النظر إلى الدنيا نظرة أولئك النسوة الغابرات القويات. الوثائق
والحكيمات، اللواتي سعدن لحكمهن جماعاتهن الخاصة.

لكن في ذلك الوقت، كان الله أنثى.

انجبت وبكا نحو جسم برينا وفككت حزام جبرها. ثم فتحت
نصف الستار، انقبضت عضلات برينا.

قالت وبكا بخيان زائد، لا تقلقي.

ثم رفعت قميص برينا حتى بدت سرتها. تناولت بعينها بلورة
من الكوارثر سحبتها من جيب رداها، ووضعتها فوق موضع السرة.
أصافت برفق، أريدك الآن أن تغمصي عينيّك أن تتخيلي لون
السماء، من دون أن تفتحيهما.

سحبت من رداها حجراً كريماً أرجوسي اللون، وركبته بين
عيني برينا.

من الآن فصاعداً، بلندي ما أقوله حرفياً، ولا تهتمي بأي شيء
آخر. أنت في وسط الكون، تحيط بك المجوم من جميع الجهات،
وبعض الكواكب الأكثر سطوعاً.

اختبري المشهد، وتلخري به، ولا تعامله كصورة أو كعرض

عبر الصوء زجاج الكاتدرائية الصخم والنون، واستطاعت بريدنا أن تبصر المقاعد الخشبية والدباح الجاسبية والاعمدة الرعية وبعض الشموع المضاء. لكن، على نحو ما، بدا كل شيء فارغاً ومهجوراً. كان العبار يغطي المقاعد.

اتجهي إلى اليسار. ستجدين باباً آخر في مكان ما، لكنه هذه المرة باب صغير جداً

مشيت بريدنا عبر الكاتدرائية. كانت واعية لانزعاجها من الارض المظيرة تحت قدميها. صوت مسالمة أنها من مكان ما ليقود طريقها. كانت تعرف أنه صوت وبكا، لكنها أدركت أنها فقدت كل سيطرة على مخيلتها وبالرغم من وعيها. كانت عاجزة عن عصيان ما أمرت به

وجدت الباب.

«اعبريه، ثمة درج دائري يقود إلى الأسفل».

توحد على بريدنا أن تمحي كي تتمكن من عبور ما كانت المصاييح المثبتة على الحائط مترامعة على طول جدران الدرج الشديد الضيقة لتعمره بالصوء. بدا واضحاً أن أحدهم رار المكان لإضاءة المصاييح

لقد بدأت رحلة البحث عن حيوانك السابقة، في سرداب الكاتدرائية توجد مكتبة سقصداه الآن. سانبترك عند أسفل الدرج.

وصلت بريدنا هبوط الدرج من دون أن تدرك كم من الوقت قد مضى، ما أصابها بدوار خفيف. حين بلغت أسفل درجات السلم،

كانت وبكا تنتظرها منترة برنائها. شعرت بريدنا بأمان متزايد، وبأن الأمور ستصبح أسهل. كانت لا تزال غارقة في حالة من العشاوة

فتحت وبكا باباً آخر مقابلاً للدرج.

- سوف تتركك وحدك هنا. سانبطر في الخارج. احتاري كتاباً، وسيوضح لك ما تحتاجين إلى معرفته

لم تلاحظ بريدنا غياب وبكا. كانت تحدق في المجلدات التي يعلوها العبار

"يبدو لي فعلاً أن أكثر من زيارتي إلى هنا وأنطفئ المكان"

كان ماضيها وصيها ومهملاً، وتملكها الحرر مجرد التفكير في أنها لم تقرأ أبداً من تلك الكتب كلها. فربما نصمت دروساً مهمة ومبسطة منذ أمد كان في إمكانها تكرسها في حياتها

بظرت إلى الكتب الرصوفة على الرفوف. فكرت: «تلك الحيوانات كلها» لو أنها كانت معمرة إلى هذا الحد، لوجب أن تتمتع بحكمة أعمق بكثير. تمت لو أن في إمكانها قراءة جميع المجلدات، لكن الوقت لم يكن يسمح بذلك، كان عليها أن تثق بحسها. تمكينا العودة متى أرادت بما أنها أصبحت تعرف الطريق إلى الكاتدرائية

وقمت ليرهة من دون أن تقرر أي كتاب تختار، ثم تناولت مجلداً، لا على التعيين. كان سمكه عادياً فحملته وجلست على الأرض.

وضعت بريدنا الكتاب في حصىها، لكنها خافت أن تمتحه فلا يحصل شيء، خافت ألا تتمكن من قراءة ما كتب فيه. «يبدو لي أن

أجارفه، وألا أشعر بالخوف من الفشل، فكرت وهي، تفتح الكتاب
وبمجرد أن ألقت نظرة على صفحاته، عاودها الاضطراب والدوار
«سوف يغمى عليّ، تلك كانت الفكرة الاحييرة التي عبرت
رأسها قبل أن تسقط في العنمة.

استفاقت على قطرات الماء تتصبب فوق وجهها حلم غريب وغير
مفهوم راودها، رأب فيه كائناتيات تطوف في الهواء، ومكتبات
مكتظة بالحكتب مع أنها لم تكن قد رأت أي مكتبة في
حياتها

- هل أنت بخير يا لوني؟

لم تكن بخير أبداً. لقد فقدت الإحساس بقدمي اليمنى، وهي
تعرف أن في ذلك إشارة سيئة. لم تكن لديها رغبة في الكلام،
لها لرائت نسيان ذلك الحلم.

- افيقي يا لوني.

لا بد من أن الحفى قد نالت منها، وأنها كانت تهدي. لكن
هذيانها بدا لها حقيقيا جدا. ثممت به أن الصوت الذي يخاطبها
بحكف، لأن الحلم كان يتلاشى سريعا قبل أن تتمكن من النقاط
معناه

تلبنت السماء بغيوم منخفضة حتى كانت ترتطم بأعلى أبراج
القصر. تعددت محذقة في الغيوم. كان من حسن صالحها أنها لم
تتمكن من رؤية النجوم. فحتى النجوم ليست صالحة تماماً كما
يقول الكهنة

توقفت الأمطار عن التساقط فبيل أن تفتح عينيها. أسعد لوني
مطول الأمطار، فهو يعني أن خزانات القصر سوف تمتلئ. حوّلت

بظرفها من العيود إلى البرج، ثم إلى مشاعل الغناء، فإلى تجمع
لأشخاص مذهولين يتحركون بارتياك.

بانت برفق، تالبو

أحاطها بدراعية، شعرت بصفيح درعه، وبرائحة اللحم المحترق
في شعره.

- كم من الوقت مضى؟ في أي يوم نحن؟

أجاب تالبو،

- ثلاثة أيام مرت وأنت نائمة

رمفته بسطرة أسف، بدا أكثر نحولا، مكثرت الوجه، وباهت
اللون، لكن ذلك كله لم يكن مهما، فهي تحته.

أنا عطشى يا تالبو

- لا يوجد ماء، فقد اكتشف الفرنسيون ممرًا صريًا

سمعت مجددا تلك الأصوات في رأسها، أصوات لطالما حكمتها
كان زوجها محاربًا مرتزقا، يفضي معظم أيام السنة في
ولطالما أرعبتها فكرة أن هذه الأصوات سوف ترف إليها خبر مقتله
في المعركة لقد عثرت من قبل على طريقة لسمع الأصوات من
محاذايتها كل ما عليها فعله هو تركيز تفكيرها على شجرة
معفرة قريبا من قريتها، فتسكت تلك الأصوات لكنها الآن في
غاية الضعف، ما سمح لتلك الأصوات بالعودة.

أندرتها، سوف تموتين، لكنه سيجو

- إلا أنها أمضت يا تالبو، وأنا حناج إلى شربة ماء،

- ما هي إلا فطرات قليلة لا تكفي.

عاودت لوني الفطر إلى العيود التي لم تبارح السماء صوال
الأسبوع، ولم تفعل شيئا سوى أنها حجبت الشمس لتجعل الشتاء أشد
قسوة، والقصر أكثر عتمة وكابة ربما كان الكاثوليكيون
الفرنسيون على حق، ربما وقف الله إلى جانبهم بالفعل.

فصلتهما بحص الرترقة، حكمت البيران مشتعلة في كل
مكان، فراود لوني شعور غريب بأنها في الجحيم.

بوخه أحد الرترقة إلى تالبو بالقول،

- سيدي، إن الكهنة يعملون إلى جمعنا

وقال آخر،

لقد جئنا كي نحارب، لا حتى نموت.

- قادم الفرنسيون إليها شروط الاستسلام، وهم يقولون إن من يعود
إلى الإيمان الكاثوليكي تمكنه المغادرة من دون أن يتعرض للأذى.

همسة الأصوات في أذن لوني،

إن البخبويين لن يقبلوا الأمر.

كانت تترك ذلك لأنها تعرفهم حق المعرفة، فهم سبب وجودها
هناك بعيد عن ممرها، حيث كانت تدرج على انتظار تالبو كي
يعود من الحرب منذ شهور أربعة والبخبويون محاصرون في ذلك
القصر وخلال تلك الفترة، كانت نسوة القرية يستخدمن الممر
السري الذي يربط بين القرية والقصر، لإيصال الطعام والملابس
والذخيرة إن كان في إمكانهن رؤية أروجهن. وبسببهن،
استمرت الحرب لكن للمز السري لم يعد سريا، ولا في استطاعة
لوني أو أي من النسوة العودة إلى القرية

حاولت أن تجلس. لم تعد قدمها تؤهلها. كانت الأصوات تنبئها
بأن في ذلك إشارة سيئة.

قال جيدي آخر،

- سيدي، لا علاقة لنا بآلههم، ولن نموت من أجله.

بدأ صوت المافوس يتردد في القصر، فوقف تالبو مناهبا

توتلت لوني فائلة،

- خلني معك، أرجوك.

نظر تالبو إلى رفاقه، ثم إلى المرأة التي انطرحت مرتجفة أمامه
طل برهة حائر، لا يدري ما ينبغي أن يفعل. كان رجاله قد تعودوا
الحرب، وهو يدرك أن المحاربين العشاق يختبئون أثناء خوص غمارها

- أكاد أموت يا تالبو، اصطحبني أرجوك.

نظر أحد المرتزقة إلى تالبو، وقال،

- لا ينبغي أن تترك وحيدة هنا. فقد يحاول الفرنسيون إطلاق
البار

نظاهر تالبو بالواقفة. كان يعلم بأن الفرنسيين لن يقدموا على
مثل ذلك، فثمة هدنة للمساومة على استسلام الموسيقور.

لكن الجيدي المرتزق أدرك ما كان يحول في وجدان تالبو، لا
بد من أنه كان عاشقا هو الآخر

وفي حين كان تالبو يرفع لوني، عاودتها الأصوات،

- هو يعلم بأنك ستموتين.

لم تكن لدى لوني رغبة في سماع ما تقوله لأصوات. عاودتها
ذكريات النهار الذي أمضياه معاً، وعبرا فيه حقل قمح. كان ذلك

عصر أحد أيام الصيف. أحشت بالعطش حينها، فشربا كلاهما من
جبل في الجبل.

تحققت مجموعة من الرجال والجنود والنساء والأطفال حول الصخرة
الكبرى التي شكلت جزءا من الحائط الغربي لقلعة موسيقور. بل
الصمت المطبق الهواء، وادرك لوني أنه ليس في ذلك احترام
للكهنة، بل هو الخوف مما قد يحصل.

وصل الكهنة، وكانوا كثرة كثيرة. ارتدوا، جميع الجيب
السوداء المرببة بصلبان صحمة مدقبة، وانتشروا، جلوسا على الصخرة
والدرج والأرض عند قاعدة البرج. كان آخر القادمين أشيب الشعر،
وقد تسلق الحائط حتى أعلى جزء منه. أصاء وهج النهار وجهه،
واخترقت الريح جنبه السوداء

سجد الحاضرون كلهم تقريبا مدوا أجسادهم إلى الأمام
وشبكوا أكفهم، وصربوا، من ثم رؤوسهم. برفق، ثلاث مرات
بالأرض. طل تالبو والمرتزقة واقفين. كانت مهمتهم هي الحرب
فقط.

قال الكاهن،

- لقد منحنا حق الاستسلام.

تنفس الحشد الصعداء

إن الأرواح التي يملكها، الإله الآخر، سوف نبقي في مملكة هذا
العالم. أما الأرواح التي يملكها، الإله الحقيقي، فسوف تعود إلى
كيف رحمته اللامتناهية. ستستمر الحرب لكنها لن تكون أبدية،
لأن الإله الآخر، سوف يهرم في النهاية، على الرغم من أنه لنفس

بعض الابائكة سوف يمهرون بالإله الآخر، كنه لن يُسحق، فسوف يبقى في الجحيم إلى الأبد مع الأرواح التي نجح في إغوائها.

حذق الجميع إلى الرجل الذي يعطي الحائط. لم يكونوا وثنيين برغبتهم في الهروب، ولعانة من ثم إلى الأبد.

أكمل الكاهن قائلا،

«إن الكنيسة الكاثوليكية^(١) هي الكنيسة الحقة. بفضل يسوع المسيح والروح القدس، تمكنا من تحقيق الاتصال بالله ليسا في حاجة إلى التقمص أو العودة إلى مملكة الإله الآخر».

لاحظت لوسي أن ثلاثة كهنة يحملون الكتاب المقدس، قد خطوا نحو الأمام.

«سوف يمنح الكوسولامنتوم^(٢) لجميع الذين يودون أن يموتوا معنا في الحبيب، النار تنتظر. سوف يحدث موت شنيع مشوب بالعذابات الأربعة سوف يكون موتاً بطيئاً مصحوباً بالاحتراق، وهو ألم أشنع بكثير من جميع الآلام التي جربتموها من قبل لكن، لن يمان الجميع هذ الشرف. وحدهم الكاثاريون الحقيقيون

(١) الكاثار هي حركة دينية لها جذور عتوية، بدأت في منتصف القرن لثاني عشر. وقد اعتبرتها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية خارجة عن الدين المسيحي. وكانت الكاثارية منتشرة في معظم مناطق أوروبا الغربية، لكنها من أصل فرنسي جوبي والكاثار باليونانية تسمى لطاهرين

(٢) الكوسولامنتوم، طقس كسبي سرّي، مقدس وكهوتي في آن، سرج مقدس لأنه يمسح الخلاص والتحرر من هذا العالم، وكهوتي لأن الأشخاص الذين يحصلون عليه، كانوا يحملون مآرجه عدة، مثل كهوت الكاثاري

سيحطون بهذه النعمة، هي حين أن الباقين سوف يحكمون بالحياة.

توجهت امرأتان بخجل نحو الكهنة الذين يحملون الكتاب المقدس. وبعك أحد الرهقين من دراعي أمه وانضم إلى الرأتين.

دنا أربعة مرتقة من تالبو قائلين:

«سبدي، نريد أن نتلقى السر المقدس، ينبغي أن نعلم

قالت، الأصوات،

«هكذا تستمر العقائد، لأن البشر مستعدون للصحة بأنفسهم من أجل فكرة».

استطرت لوسي قرار تالبو. أمضى المرتقة حيوانهم يحاربون من أجل المال، إلى أن يقو، هؤلاء الأشخاص المحصرين للصراع من أجل ما يؤمنون به. هز تالبو رأسه موثقاً، بالرغم من أن ذلك كان يعني خسارة بعض من أفضل رجاله.

قالت لوسي، فلنذهب إلى الجدران، لقد أتوا للجميع بالرحيل.

«من الفصل أن نرتاح يا لوسي

همست، الأصوات مجدداً، سوف نمتين.

«أرغب في رؤية البيريسيه، وفي مشاهدة الوادي مرة أخرى يا تالبو أنت تعلم بأنني سوف أموت».

نعم، كان يعلم. وهو رجل ألف ميدان المعركة، حيث كان يعرف متى يكون جرح أحد جنوده مميتاً وجرح لوسي كان مفتوحاً منذ أيام ثلاثة، ولا بد من أنه سقم دمها إن أولئك الذين لا

تسمى جروحهم، يطلون على قيد الحياة يومين أو أسبوعين، ليس أكثر

كانت لوني قاب قوسين من الموت. انخفضت حرارتها، وهذا دليل سيئ، كان بالبو يدركه جيداً. فما دامت القدم تؤلم، والحرارة مرتفعة، فإن الجسم يماوم. ولكن، انتهت المقاومة، والعصية لم تعد سوى مسألة وقت.

قالت «الأصوات» ليست حائفة. لا، لم تكن لوني خائفة. فحتى في طفولتها، عرفت أن الموت ليس سوى نهاية أخرى. في ذلك الوقت، كانت الأصوات مواسمها الرائعة، لها وجود وأجساد، وإيماءات لا يراها أحدٌ سواها. كانت الأصوات أشخاصاً قادمين من عوالم مختلفة، يحنّونها، ولا يدعونها أبداً تشعر بالوحشة. كانت طفولتها ممتعة للغاية، ذلك أنها استخدمت أصدقاؤها غير الرئيسيين، وهي تلعب مع بقية الأطفال، لكي تحرك الأشياء وتصدر أصواتاً غريبة تدهشهم. كانت أمها سعيدة لأنهما تعيشان في بلد كاثوليكي ولطالما قالت لها، لو كان الكاثوليك يرون هذا لحرقت حبة. لم يابه الكاثوليكيون لقصص كهده، فهم يؤمنون بأن الصالح صالح والسيئ سيئ، وما من قوة في هذا الكون في مقهورها أن تزعزع ذلك.

وصل الفرنسيون وهم يقولون بعدم وجود بلد كاثوليكي ومد بلغت الثامنة، لم تعد تعرف أمراً سوى الحرب. لم تحمل لها الحرب سوى حسنة واحدة، هي روحها الذي عنيته الكهنة الكاثوليكيون. الذين لم يحملوا سلاحاً في حيواتهم، في أرض بعيدة.

لكن الحرب في المقابل حملت لها مساوئ تفضاً، منها الخوف من أن تحرق حبة، لأن الكاثوليك يسيئون كانوا يقتربون أكثر فأكثر من بلدها. بدأ الخوف يعنبرها من رفاقها غير الرئيسيين الذين احتفوا

رويداً رويداً من حياتها. لكن أصواتهم بقيت تخبرها دوماً بما سيحدث عملية عليها ما ينبغي فعله، لحكمها مكانت ترفض صداقتها، ذلك أن الأصوات تعرف أكثر مما ينبغي. ثم علمها أحد هذه الأصوات حيلة التركيز على تلك الشجرة العفراء، ولم تعد تسمع نياً من الأصوات منذ الحملة الصليبية الأخيرة على الكاثوليك، وفتصار الفرنسيين معركة إثر معركة.

لكن القوة حاسها اليوم لتفكر في تلك الشجرة. عادت الأصوات ولم تعترض هي، ذلك أنها كانت في حاجة إليها فهي التي سترشدنا إلى الطريق بمجرد أن تموت.

قالت لالبو،

• لا تغلق، فلست أخاف الموت.

وصلا إلى قمة السور كانت الرياح باردة وقاسية، فتدثر تالبو بردائه. أما لوني، فكانت قد أصبحت خارج تأثير البرد. لاحظت لها في الأفق أصواتاً مبعثة من قرية بعيدة. ومن سفح الجبل، تراقصت أصوات مخيم. وعلى امتداد قاع الوادي، كانت المشاعل مصاءة، والجنود الفرنسيون في انتظار القرار الأخير.

هبت نغمات الرمار من الأسفل، يصحبها غناء «الأصوات».

قال تالبو، لنهم الجنود. فهم يعلمون بأنهم قد يموتون في أي لحظة، وما الحياة في نظرهم إلا احتفال مستمر.

تملك لوني فجأة، سخط على الحياة. قالت لها الأصوات، إن تالبو سيلتقي امرأة أخرى. ويحب منها أطفالاً، ويصبح ثرياً جراء الغنائم التي نهبها من اللد.

أكلت الأصوات لحكمه لن يحب أحداً كما أحبك أنت، لأنك

ستطليح جراً منه حتى النهاية راحا يحلقان متعانين في الماص
الطبيعية، مصغيين إلى غناء الجود. أحست لوسي بان هذا الجبل
كان مسرحاً لحروب شبت في ماص بعيد إلى درجة أن الأصوات
بفسها لم تعد تستطيع استحضارها من الذاكرة

• نحن خالون يا تالبو، هذا ما قالت لي الأصوات يوم كان في
امكاني رؤيتها وجوهاً وجساماً

كان تالبو يعرف أن روحه تتحلّى بموهبة ما، لكنها لم
تذكرها منذ فترة، مضت دون أن تأتي على ذكرها، ربما كان
ذلك من تأثير الحرارة فيها

لكن كل حياة ليست كالأخرى. قد لا تلقى مجنناً، وأريدك
أن تعرف أنني أحببتك طوال حياتي. أحببتك حتى قبل أن أتفكك.
فانت جزء مني

سوف أموت، وبما أن الغد، مثل بقية الأيام، مناسب للموت، فإني
أرغب في الموت في كعب الكهنة لم أفهم يوماً رؤيتهم لهذا العالم.
لكنهم لصدا فهموني أريد أن أصبحهم نحو الحياة القادمة قد
يتراءى أني مرشد بارع، ذلك أنني زرت تلك العوالم من قبل.

تأملت لوسي سخرية الفلر. كانت تخشى الأصوات التي قد
تضعها على سكة السار، مع أن السار تنتظر الآن قدومها

رمى تالبو روحه ببطرة استشفت رحلة عيبها إلى الانطواء
ورغم ذلك، طلت تحمل السحر ذاته الذي شده إليها في البداية
ثمة أشياء لم يكن قد أخبرها بها من قبل، منها المرأة التي منحت
له كجر، من غنائم الحرب، المرأة التي انتقاها خلال رحلته حول
العالم، والتي تنتظر عودته ذات يوم. لم يكن قد أخبرها بذلك

ليقينه من معرفتها كل شيء، ومسامحتها له، بالنظر إلى أنه
كان حبها العظيم. والحب العظيم أرفع من أمور هذا العالم كله

لكن، كان ثمة أمر لم يقدم على إطلاعها عليه قط، وكان من
الممكن ألا تعرفه، أنها، بحاطتها وفرحها، مسوولة إلى حد بعيد، عن
كتشافه من جديد معنى الحياة، وأن حبها دفع به إلى أقاصي
الرص، لأنه كان بحاجة إلى ما يكفي من المال لشراء أرض يعيشان
عليها معاً حتى آخر أيامهما. كانت ثمة بهذا الكائن الهش، الذي
تتلاشى فيه الحياة الآن، هي التي اضطرت به إلى حوص الحرب بشرف،
لأنه كان يعلم بأنه بعد المعركة، سوف ينسى بين يديها كل
بشاعة الحرب، ويرغم العبد الهائل الذي عرفه من السوق، فإنه لم
يكن يستطيع أن يعص حبه ليدم كطمل إلا في أحضانها

«عص وحيء بالكاهن يا تالبو، فإني أريد أن أتعقد».

تردد تالبو للحظة المحاربون هم وحدهم في مقدورهم أن يختاروا
طريقة موتهم. لكن تلك المرأة كانت قد منحت حياتها للحب.
وربما كان الحب في نظرها وجهاً آخر غريباً للحرب.

نهض وهبط درج السور. حاولت لوسي تركيز انتباهها على
لوسيقى المبعثة من الأسفل، التي كانت تهين الموت بشكل ما في
هذا الوقت، تابعت الأصوات حديثها:

• تستطيع كل امرأة أن تستخدم في حياتها حلقات الإلهام
الأربع، أما أنت، فاستعملت واحدة فقط، الخاصة منها

نظرت لوسي إلى أصابعها. كانت متشفة والأظافر متسخة. لم
تجد حلقة في أي منها. صحت الأصوات وقالت:

• تعرفين ما نقصده: العذراء والقديسة والشهيدة والساحرة.

كانت لوسي في قرارة نفسها، تعرف ما تعصده الأصوات، لكنها لم تستطع تذكر معنى ذلك. كانت قد سمعت بقصة الحلقات الأربع منذ زمن بعيد، في عهد ارتدى فيه الناس ملابس مختلفة، ونظروا إلى العالم بطريقة مغايرة يومها، كان لها اسم آخر، وتحدثت بلغة مختلفة.

كررت الأصوات على مسمع لوسي، كان من المهم تذكرها بتلك الأيام الغابرة، ثمة طرائق أربع تستطيع المرأة التواصل مع الكون من خلالها العذراء تتمتع بقدرات المرأة والرجل في أن يحكم عليها بالوحدة، لكن الوحدة تفصح عن أسرارها. هذا هو الثمن الذي تدفعه العذراء، ألا تحتاج إلى أحد، وأن تعطي نفسها حبا بالآخرين، وأن تكتشف حكمة العالم عبر وحدتها.

بظرات لوسي كانت لا تزال محدقة في المحيم في الأسفل. نعم، كانت تعلم بهذه الأشياء، أكملت الأصوات، أما الشهيدة، فتتحدى بقدرات أولئك الذين لا يؤديهم ألم ولا معاناة، تسلم نفسها، تعاني وتكتشف حكمة الكون عبر النصحية.

بظرت لوسي مجدد إلى يديها، فرأت حلقة الشهيدة تحيط. محجوبة، بإحدى أصابعها.

تأبعت الأصوات، كان في استطاعتك اجتياز الهام القديسة، علما بأنه لا يجسد الحلقة المناسبة لك القديسة تمنع بشجاعة أولئك الذين لا يعرفون سوى عطاء سبيلا إلى التلقي هي بنز لا تنصب. يستل منها الناس مياه شربهم. وإذا ما جفت، فإن القديسة تمنح دمها بالآخرين كي لا يعطشوا فهي تكتشف حكمة الدنيا من خلال التنازل.

صمتت الأصوات، سمعت لوسي وقع خطوات قدمي تاليو تتسلفان

الدرجات الصخرية. فهمت أي حلقة كان ينبغي أن تكون لها في هذه الحياة، فقد ارتدتا في حيواتها السابقة كلها، حين كانت تعرف باسم مختلف، وتحدثت بلغات مختلفة ومع هذه الحملة، تكتشف حكمة العالم من خلال اللذة. لم تكن تريد التذكير بذلك. في تلك اللحظات. هناك، في أصابعها، كانت حلقة الشهيدة تلمع محجوبة عن الأنظار.

By Dalvin

أخذت بريدنا نفسا عميقا محبسة غصبتها. لم يكن أمامها
مهرب، فويكا لن تنوحي عن إصرارها حتى تمال مبتغاها.

• كنت امرأة واقعة في غرام....

أنسكنتها ويكا بسرعة، ثم وقعت ورسمت بصح إيماءات غريبة
في الهواء قبل أن تلتفت إليها من جديد.

الله هو الكلمة. عليك الانسباه يوما إلى ما تقوينه في كل
لحظة وكل مناسبة.

لم تفهم بريدنا السبب الذي جعل ويكا تنصرف على هذا النحو
بتجلى الله للخلق في كل شيء، لكن تبقى الكلمة أحد
أساليبه. لفصلة الكلمة هي الفكرة التي تتخذ شكل تردد، فابت
تسقطين على الهواء الذي يحيط بك طاقة لم يكن بها أي شكل
من قبل. احرصي حرصا شديدا على كل كلمة تقولينها، فسطوة
الكلمة أعظم من الطموس كلها.

لم تفهم بريدنا، فهي لم تكن تملك وسيلة لوصف تجربتها سوى
الكلمة

شرحت ويكا، لست أنت المرأة التي تحدثت عنها، لست سوى
جزء منها، لا يمكن لناكرة الكثيرين أن تحمل الذكرى نفسها.

شعرت بريدنا بأنها مسئولة، فتلک المرأة - الرؤيا كانت في غاية
القوة، ولم تكن بريدنا ترغب في مشاركتها مع أحد، تالبو كان
حاضرا أيضا.

كزرت ويكا، أخبريني عن موهبتك، كان ينبغي لها أن
تخفف من انبهار العنافة بتجربتها، فهذا النوع من السفر عبر الزمن
كثيرا ما يجلب معه مشاكل عدة.

اقترب تالبو أكثر. فجأة، شعرت لوسي عندما حدثت إليه، بأن
الليل اكتسى بوهج سحري فاستحال نهارا مشمساً

قالت الأصوات، استيقظي!

تلک كانت أصواتا مختلفة لم يسبق لها أن سمعتها، أحشت
بأحدهم يفرك معصمها الأيسر.

• هيا يا بريدنا، استيقظي.

فتحت عينيها ثم أغمصتهما بسرعة، بسبب الضوء الباهر المبعث
من السماء. الموت! يا له من شيء غريب!

قالت ويكا، افتحي عينيك

لكن، مكان لا بد لها من العودة إلى القصر، حيث ذهب الرجل
الذي تحب بحثا عن الكاهن لم يكن يسعها الهرب. كان هناك
بعمرده، وفي حاجة إلى وجودها إلى جانبه

• ما هي موهبتك؟

لم تعطها ويكا وقتا للتفكير. وبالرغم من إدراكها أن بريدنا
تعيش تجربة استثنائية تموز برخمها تجربة أوراق النار، فإنها لم
تمسحها وقتا كي تمكر في إجابتها لم سمعهم مشاعرهما ولم
تحترمها، فجّل ما أرادت معرفته هو الهبة التي تتحلّى بها بريدنا

أصرت ويكا، أخبريني عن موهبتك.

- لدي الكثير لاقوه وأنا في حاجة ماسة إلى التحدث إليك، فما من أحد سواك سيصنّفني. رجاء، اسمعيني.

شرعت تخبرها بكل ما جرى، منذ اللحظة التي تساقط فيها المطر على وجهها. كانت أمامها فرصة لا تتمكنها إضاعتها. بالتواجد مع شخص يؤمن بما هو خارق للطبيعة. كانت تعرف أن أحداً آخر لن يستمع إليها بالاحترام ذاته، لأن الناس يخافون اكتشاف سحر الحياة. هم تعودوا مبارلهم ونشغالهم وتوقعاتهم. وسيشعرون حتماً بأن الدنيا قد خدعتهم إنَّما ما سمعوا أحدهم يؤكد إمكان السفر عبر الزمن. أو رؤية فلاح يطوف في الكون. أو الاستماع إلى أوراق التارو تخبر قصتها، أو حتى احتمال عبور الإنسان ظلمة الليل. فهم لم يختبروا يوماً تجربة مماثلة فالحياة بالنسبة إليهم لا تخلو من الرتبة، في النهار والليل وحتى في نهاية الأسبوع.

لذلك كله، على بريدا اغتنام الفرصة. إذا كانت الكلمات مقدسة، فلندون أد، على الهواء من حولها رحلتها إلى الماضي. ولتسجل كل تفصيل تذكره كانه يحدث هما، في تلك الغاية حيث تقف الآن. وفيما بعد، إذ ما تمكن أحدهم من إقناعها بأن شيئاً لم يكن، وإذ ما جاء الزمان والكاب لجعلها تشكك في كل شيء، وإذ ما اقتنعت هي نفسها بأن كل ما حدث لم يكن سوى وهم، فستأتي الكلمات التي تلفظت بها، ناك المساء، في تلك الغاية، لتتردد في الهواء، وسيؤكد شخص واحد على الأقل، بشكل السحر جزءاً من حياته، أن ما حدث كان حقيقياً.

وصفت القلعة والكهنة بأثوابهم السونه والصفراء، والوادي بسيرابه اللتهبة، والروح الذي تعبر أفكاره من غير أن ينطق بها استمعت ويكا إلى كلماتها بحلب، ولم تظهر أي اهتمام إلا عندما

أخبرتها بريدا عن ظهور الأصوات في عقل نوبي قاصعتها عندها سافلة عن جرس الأصوات (التي كانت لبساء ورجال على حد سواء)، وعن أي تفاعلات أو عنوانية أو تعاطف أظهرتها (وهي كانت حيادية)، وعفا إذا كان يمكنها استدعاؤها متى أرادت (لم تكن بريدا تعرف. لأن الوقت لم يسمح لها مجالا كي تكشف بك)

حسناً، يمكننا العائدة الآن، قالت ويكا وهي تنزع رداءها وتضعه في حقيبتها. حاب أمل بريدا. كانت تتوقع بصع كلمات فقدان، أو حتى تفسير ما على الأقل. كانت ويكا أشبه بأحد أولئك الأطباء الذين يدرسون حالة المريض ببرودة وحيادية، مبدئين اهتماماً أعمق بتسجيل الأعراض عوضاً عن فهم الألم ولعانة اللذين تسببهما

قطعا رحلة العودة الطويلة. كانت ويكا تبدي اهتماماً مفاجئ بفلاء العيشة، أو اردحام السير الخائق، أو الصعاب التي تواجهها في تعاملها مع مسؤول البناية حيث تقيم، كلما حاولت بريدا إثارة الموضوع من جديد.

لم تعلق ويكا على تجربة بريدا سوى عندما جلسنا مجدداً على الأريكتين العناتين،

«ساقول لك شيئاً واحداً لا نحاولي تفسير عواطفك، عيشي كن تجربة بجوارحك كلها، واحتفظي بما شعرت بأنه هبة من الله، إن كنت عاجزة عن تحمل عالم يبتدي الحياة على فهمها، فلتهجري السحر الآن. الطريقة المصلى لهدم الجسر الذي يربط ما بين العالمين للطور وغير الصور، هي محاولة فهم المشاعر».

كانت بريدا تعلم بأن الشاعر أشبه بحيول بريدا، لا يمكن العقل أن يكون سبباً مطلقاً لها. فقد حدث أن هجرها صليهما من

دون أن يمدم أي أعنار، فلارمت البرل لأشهر راجعت .خلالها جميع عيوبه مرارا وبكراراء، وآلاف الشواذب التي كانت تشووب علاقتهم ومع ذلك، كانت تستيظ كل صباح على ذكرابه، مدركة أن اتصالا منه قد يكفيها لتلقفه من جديد.

علا نباح الكلب في المطبخ، فعرفت بريدنا أن وقت الزيارة قد انتهى.

- لكن، رجاء، لم نتحدث حتى عما حدثنا وثمة سؤالان ينبغي ببساطة أن أطرحهما

وقمت وبكا تلك المنة كانت تجيد دوما نرك استلثها اللهم اللحظة الأخيرة، في اللحظة التي تتعين عليها المغادرة فيها.

- أريد أن أعرف إن كان الكهنة الذين رأيتهم حقيقيين.

قالت وبكا وهي تنووجه إلى رف المكتب

- نحن نعيش تجارب خارقة. وبعد مرور أقل من ساعتين على حدوثها، بدأ محاولاتي إقناع نفسي بأنها لا تتعدى كونها نتائج مخيلاتي.

تذكرت بريدنا أنها كانت هي نفسها تمكر في خوف الناس من كل ما هو خارق، فشعرت بالخجل من نفسي.

عادت وبكا، حاملة في يدها كتاباً.

- الكاثاريون، أي الحكاملون، هم الكهنة الذين أنشأوا كنيسة جيوي فرنسا في نهاية القرن الثاني عشر. كانوا يؤمنون بالتفصص وبوجود الخير المطلق والشر المطلق. حينها، كان العالم منقسماً بين مصصفين وصالين، ما أكد عدم جدوى محاوله قلب أحدهما إلى الآخر.

وقد دفع عدم اكتراث الكاثاريين للقيم المسيحية، بإقطاعي منطقة لانغودوك، إلى اعتناق الديانة كوسيلة للتهرب من الضرائب الصعبة المفروضة من قبل الكنيسة الكاثوليكية. وبما أن أسماء شخص ما إلى المصطمين أو الصالين، كان يحثد عند ولادته، فإن الكاثاريين كانوا منساهلين في موقفهم من الجنس، ومن النساء بشكل خاص. لم يترمتوا هي تلك اللسانل سوى مع أوبنك الذين وسموا كهنة.

- كان كل شيء على ما يرام إلى حين بدء انتشار الكاثارية فقد شعرت الكنيسة الكاثوليكية بالتهديد. ودعت إلى شن حملة ضد الهرطقة. وعلى مدى أربعين عاماً، خاص الكاثاريون والكاثوليكيون معارك دموية. إلى أن نجحت القوات القابونية، بمساعدة دول أخرى، في هدم كل القرى التي اعتنقت الديانة الجديدة لم ننج سوى قلعة موسيخور في البيرينييه، حيث حوصر الكاثاريون إلى أن اكتشف الفرنسيون المعر السري الذي كانت تمر عبره اللو. وذات صباح من شهر آذار/مارس ١٩٤٤، بعد إعلان استسلام القلعة، ألقى مئتان وعشرون كاثارب بأنفسهم وهم يغيون في الوقت المشتعل عند أسفل الجبل الذي شيدت فوقه القلعة.

تلصقت وبكا بحدث كان الكتاب لا يزال مغلف في حصنها، وانتطرب أنها، فصنها كي تمتحه وتتصفحها بحثاً عن صورة ما

رأت بريدنا البيان الهدم والبرج المحطم بشكل شبه كلي بجدرانها السليمة رأت أيضاً الماء والسالل الي تسلقتها بوبي مع نالبو، والصخرة التي شكلت جزءاً من الجدار، وكذلك البرج.

ثمه سوال آخر قلت لك تودين طرحه علي

كان السؤال قد قمد ذهنيته، ولم يعد في إمكان بريدنا

التفكير بشكلٍ سوي. أحشت بخرابةٍ تعتريها وبعض جهدٍ كي
تتذكر السؤال الذي كانت ترغب في طرحه

- أريد أن أعرف لم تصيحين وقتك معي؟ ولم تريلين تعليمي؟

- لأن الحكمة تملئ علي ذلك. لم يطرأ عليك سوى تخير
طبيب علي مدى حيوانك المتعددة. أنت تسمين إلى المجموعة نفسها
التي ستمي إليها أنا وأصدقائي، نحن المكلمين صور حكمة القمر
أنت تنتمين إلى جنس السحرة. أنت ساحرة.

لم تجر بريد أي أهمية لكلمات وبكك. لم يخطر لها حتى
تحديد موعد جديد للقائها جل ما أرادت في تلك اللحظة، هو أن
تعاذر، وأن توجد في محيط عادي يعيدها إلى عالمها المألوف وسط
بقعة رطوبية على الحائط، أو علبة سجانر مهملة على الأرض، أو
بصع رسائل متروكة فوق مكتب البواب.

انتابها فجأة قلق تجاه الوقت، وفكرت: ينبغي أن أعمل غدا

في طريق العودة، أخذت تنامل نظام فوترة الصائرات المعتمد في
شركتها، وخطرت لها طريقة لتبسيط بعض الإجراءات الإدارية
عمرها الرضا، إذ قد يصادق مديرها على ما تقوم به ومن يعلم،
فهو قد يمنحها علاوة أيضاً.

وصلت إلى منزلها، تناولت عشاءها وشاهدت التلفزيون لبعض
الوقت، ثم دوت أفكارها، حول الفوترة، على ورقة، وغرقت في
يوم مبهك.

كانت فوترة الصائرات قد اتخذت أهمية كبرى في حياتها
فهي النهاية، هذا هو العمل الذي تنلقى أجراً لواء القيام به.

لم يعد لأي شيء آخر أي وجود. كل شيء عند ذلك كان
مجزء كلبية

على مدى أسبوع كامل، ثابتت بريد على الاستيقاظ سريعا،
وكننت في العمل في المكتب، وحارت ثناء مديرها لم تموت أنها من
صفوفها، وشرعت تهتم بقراءة كل ما هو مطبوع في المجلات عند
بائع الصحف. جل ما احتاجت إليه هو التوقف عن التفكير كلما
راوتها فكرة حول لقائها الجوسي في الغابة، أو إحدى الساحرات في
اللدبية، كانت تدكر نفسها بدمو امتحاناتها في الأسبوع المقبل، أو
تستذكر ملاحظة أطلققتها إحدى زميلاتها في حق أخرى.

حل يوم الجمعة، فالتقاهما حليها خارج الجامعة، وتواعدا على
الذهاب إلى السينما مصيا بعدها، إلى جانبهما المعتادة، حيث تحدثا
حول الفيلم، ورملاتهما، ووظيفة كل منهما ثم التقيا أصدقاء لهما
كانوا عائدين من إحدى الحملات، وقررا الانضمام إليهم للعشاء،
معتبين لإمكانية إيجاد مطعم مفتوح في الليل على الدوام.

ونعا أصدقاءهما عند الثانية فجرا قررا العودة إلى منزل بريد،
لكن، ما إن دخلا حتى وصعت أسطوانة لأبيرون باترفلاي، وصبت
لكل منهما كأسا مربوحة من الوبسكي. استلقيا على الأريكة
وبراع أحدهما تحتص الآخر، صامتين وماحوذتين، بينما راح يداعب
شعرها ويهدئها

قالت فجأة، كان أسبوعاً جيدياً عن حق. عملت بلا كليل،
وتأهيت لامتحاناتي، واشتريت كل احتياجاتي.

انتهت الأسطوانة، نهضت لقلبها

- أتذكر باب خزانة المطبخ الذي اتخلف؟ لقد تمكنت أخيراً من ترتيب موعد لشخص ما للمجيء وإصلاحه. كما اضطرت إلى الذهاب إلى المصرف مرات عدة، إحداها لقبض المال الذي أرسله إلي والدي، ومرة أخرى لإيداع بعض الشيكات التابعة للمؤسسة، ومن ثم...

أخذ لورنس بحلق إليها

سألت عصبية،

- لم تنظر إلي هكذا؟

من يكون هذا الرجل المعند على الأريكة، محنقاً إليها، وعاجزاً عن قول أي شيء مثير للاهتمام؟ الأمر سخيف فعلاً فهي لا تحتاج إليه. كما أنها ليست في حاجة إلى أحد.

كزرت سؤالها، لماذا نحملق بي؟

لم يرد، بل اكتفى بالوقوف، وتوخه صوبها لتعجبها بحجم كبير إلى الأريكة.

قالت بارتباك، أنت لا تستمع إلى أي شيء أقوله.

طوّفها لورنس بذراعيه.

فكرت في قراراتها، الشاعر أشبه بالأحصنة البرية.

قال لورنس بعنوبة، أخبريني بكل شيء، سوف أستمع إلى أي قرار تتخذه، واحترمه حتى إن قلت إنك التقيت شخصاً آخر. وحتى إن عنت جلستنا هذه الوداع. لقد قصينا معاً وقتاً غير قصير. لست أعرفك تمام العرفة، أقصد أنني لا أعلم بالصبط من تحكوبين، لكنني أدرك جيداً ما لست عليه وقد كنت مختلفة عن نفسك طوال الليل.

أحست بريدنا برغبة في اليكاء، لكنها كانت قد نزلت دموعاً غريبة خلال ليالي الظلمة المتتالية، وهي تتحدث مع أوراق التارو والغابات المسحورة. صحيح أن الشاعر أشبه بالأحصنة البرية، لكن كل ما يمكنها فعله الآن هو إطلاقها

جلست قبالتها، متذكّرة أن تلك مكانت الوضعية الفصيلة لدى كل من الجوسي وويكا، ثم روت له بالكامل كل ما حصل منذ لقائها الجوسي في الغابة. استمع لورنس إليها بصمت تام. ولما أخبرته عن صورة موبسيفور العوتوغرافية، سألها إن كانت قد سمعت عن الكاثارين في أحد دروسها في الجامعة.

رنت بحنة،

- اسمع، أعرف أنك لا تصنق كلمة واحدة مما أخبرتك به للتو. أنت تعلم أن هذا نتاج لاوعيي، ونسي أنذكر وحسب أموراً بالكاثارين. لكن لا، يا لورنس، لم يسبق لي قط أن سمعت بالكاثارين. لكنك طبعاً تملك تفسيراً لكل شيء.

كانت يدها ترتجفان من دون توقف. نهض لورنس، التقط ورقة، وصنع فيها ثقبين يبعد أحدهما عن الآخر قرابة ثمانية إنشات. وضع الورقة على الطاولة، وأسندها بشكل عمودي إلى زحاجة الويسكي.

ثم توخه إلى المطبخ وعاد حاملاً قنبلة.

جلس إلى رأس الطاولة، ودفع بالورقة وبزحاجة الويسكي إلى الطرف الآخر، ووضع القنبلة أمامه.

قال، تحالي إلى هنا.

نهضت بريدنا. حاولت إخفاء يديها المرتجفتين، مع أنه لم يبدُ له لاحظهما

- فلنفترض أن هذه الفليضة هي إلكترون، أي إحدى الجسيمات الصغيرة التي تشكل المادة، نفهمين؟

هزّت برأسها إيجاباً.

- حسناً الآن استمعني بانتباه. لو أنني أملك ذلك الجهاز البالغ التطور الذي يسمح لي بأن أطلق إلكترونات في اتجاه قصاصة الورق تلك، فسوف يبرز في الثقبين في الوقت نفسه، من دون أن يشطر إلى نصفين.

أجابته،

- لا أصدق. ذلك مستحيل.

أخذ لورنس الورقة وتخلص منها، ثم أعاد الفليضة إلى مكانها.

- قد لا تصدقين ذلك، لكنه صحيح. إنه أمر يعرفه العلماء، لكنهم لا يستطيعون له تفسيراً لا يؤمن بأي من الأشياء التي قلتها بي، لكنني أعرف أنها صحيحة.

لم تتوقف يد بريد عن الارتجاف، لكنها لم تبتك ولم تفقد السيطرة على نفسها. جل ما لاحظته، هو روال تأثير الكحول. كان ذهبها صافياً بشكل مستغرب.

- وماذا يفعل العلماء حين يواجهون هذه الألغاز؟

- يدخلون ليل الظلمة، باستخدام التعبير الذي علمتني إياه. نحن نعرف أن اللعز لن يحل أبداً، ومتعلم بالنالي نقبله والتعايش معه نعتقد أن الأمر نفسه يحصل في أوضاع كثيرة في الحياة. فلا بد من أن المرأة التي ترتبي طعناً تشعر بأنها تخاص في ليل الظلمة أيضاً، وكذلك المهاجر الذي يسافر إلى بلاد ثانية بحثاً عن العمل ويدل. فهما يعتقدان أن جهودهما سأكافأ وأنهما سيدركان، في

يوم من الأيام، ما حصل معهما على طول الطريق الذي بدا مرعباً حينها. ليست التفسيرات هي التي تجعلنا نابع قدماً، بل رغبتنا في اللواصلة

شعرت بريد فجأة بأنها متعبة إلى بعد الحلود. كانت في حاجة إلى الحلود إلى العرش. فالسوم هو الملكة السحرية الوحيدة التي يمكنها دحولها بحرية

كانت قد نسيت تلك الامثلة. فرغم عمرها الذي لم يتجاوز الحادية والعشرين، كانت بريداً قد نمت هي داخلها اللذاعات كثيرة، لكنها سرعان ما تخلت عنها بمجزد ورونها لديها. لم تكن تخشى الصعوبات بل اضطرارها إلى اختيار درب وحيدة معينة

اختيار طريق ما، كان يعني إغفال الدروب الأخرى. حياتها بأكملها كانت أمامها، لكن خوفها من الالتم على الخيارات التي تتخذها اليوم، كان يشغل تفكيرها.

فكرت في نفسها، أنني أحشى التقيد. أرادت سلوك كل الطرق الممكنة، وفتني بها الأمر بعدم سلوك أي منها

كانت قد فشلت في الالتزام، حتى هي أكثر مجالات حياتها أهمية، ألا وهو الحب. فهي، بعد حبيبها العاطفية الأولى، لم تعط قط نفسها كلياً خافت الألم، والحسارة، والعراق وهي أمور لا مفر منها على طريق الحب. والوسيلة الوحيدة لتفاديها، تمثلت في عدم سلوك تلك الدرب على الإطلاق. ولاجتناب المعاناة، ينبغي التخلي عن الحب. الأمر أشبه بأن يقتلع أعينها كي يغشي بظلمة عن بشاعات الدنيا

حكم أن الحياة معقدة.

عليها ركوب المخاطر، وسلوك طرق معينة، والتخلي عن أخرى. تذكرت ما أخبرتها به وبكا عن أناس ساروا في دروب معينة لم يثبتوا فقط أنها لم تكن الطرق الصائبة، إلا أن سوء ذلك لم يكن بقدر الخيبة من اختيار درب ما، والتساؤل من ثم لما بقي من العمر، عن مدى صحة ذلك الخيار. فليس في مقنور أحد أن يتخذ قراراً إلا وينتابه شعور بالخوف.

رأت بريداً في تلك الليلة حليماً جميلاً تملأه البحار والجور الخصراء. أفاق في الساعات الباكرة، وسزت لوجود لوريس قريباً. نهضت، ومضت إلى نافذة غرفة النوم حيث أشرفت على مدينة دبلن السائمة

فكرت في والدها الذي درج على القيام بالأمر نفسه كلما أفاق من مفرقة حملت ذلك الذكرى معها مشهداً آخر من صفوتها

كانت على الشاطئ مع والدها الذي طلب إليها الذهاب للتحقق من حرارة الماء سزت، وهي في الخامسة من العمر، لأن في وسعها المساعدة، فمضت إلى حافة المياه وغطست فيها إحدى أصابع رجلها

قالت له، غطست رجلتي في المياه وهي باردة.

حملها والدها من دون إنذار ورمى بها في الماء للوهلة الأولى أصابتها الصدمة، ثم أخذت تضحك عالياً لحيلة أبيها.

سألها بودة، كيف وجدت الماء؟

• إنه رائع

• أصبت. من الآن فصاعداً، ما عليك إلا أن تخطسي مباشرة في كل أمر تودين اكتشافه.

تلك شريعة الحياة. وتلك ليل الظلمة، الذي لا يمكن أحدا الفرار منه، حتى إن لم يتخذ قراراً واحداً في حياته، وحتى إن عارقه شجاعة التغيير، لأن ذلك في حد ذاته يخذ قراراً ووبغيهراً، لكنه يفتقر إلى وهر تلك الكيوز المكنوبة في الليل الحاللك.

ربما كان لورنس على حق. فهما، في النهاية، سيسخران من مخاوفهما الأولى، تماماً كما صحكت هي نفسها من الانطاعي والعقارب التي تخيلت وجودها في العابة فقد بسيت، في ياسها، « شفيع إبرلند، القديس باتريك، كان قد طرد الانطاعي منذ زمن بعيد

قالت بوناعة خوفاً من أن يسمعها لورنس،

أنا سعيدة جداً بوجودك.

عادت إلى الفراش، وسرعان ما غمت لكنها تذكرت روابه أخرى عن والدها قبل أن تستسلم لخطر النوم. جرى ذلك في يوم أحد، كانت تناول خلاله الغداء مع العائلة في منزل جيلتها كاتب في الرابعة عشرة تقريبا، وأخذت تشتكي من عدم قدرتها على كتابة أحد واجباتها المدرسية، لأنها في كل مرة تشرع فيه، تنجرد بشكل خاطئ.

قال أبوها،

قد تعلمك المرات التي تخطئين فيها شيئاً.

لكن يريدنا كانت مناكدة من سلوكها الطريق الخاطئ وله تجد سبيلا إلى إصلاح الأمور.

أخذها والدها بيدها وسار بها إلى غرفة الجلوس، حيث تعذبت

جلتها مشاهدة التلمار. هناك، وضعت ساعة خشبية قديمة ذات رقاص، كانت قد تعطلت قبل سنوات، واستحال إصلاحها علق الوالد وهو يهبط إلى الساعة،

ما من شيء في هذا العالم، يا عزيزتي، خاطئ تماماً فحتي هذه الساعة المعطلة، تشير إلى الوقت الصحيح مرتين في اليوم.

«بلى، أتق بها»، قالت. «وأؤمن بكلك بحكمة القمر. لكنني أعرف أيضاً أن حكمة الشمس ساعدتني عندما أجبرتني على فهم ليل الظلمة. وهذا هو سبب عودتي

أجاب الجوسي،

«اجلسي لذا، وتمتعي بغروبها

«لن أجلس وحدي في الغابة من جديد. هي المرة الأخيرة التي جئت فيها إلى هنا..

فأطعها الجوسي،

«لا تنلفظي بهذه الكلمات، فالله موجود في الكلمة.

سبق لويسكا أن نطقت الشيء نفسه تقريباً.

«ما الخطأ في ما قلته؟

«قولك إنها كانت المرة الأخيرة، قد يجعلها تكون كذلك فعلاً ما أردت قوله هو «الرمز الأقرب عهداً الذي كنت فيه هنا.

استأبها الفلق. سوف يكون عليها من الآن وصاعداً، أن تحرص جيداً خلال استخدام كلماتها. قررت الجلوس بهدوء، والقيام بما طلبه الجوسي، تأمل الغروب.

أثار ذلك أعصابها. لن تظلم الدنيا قبل نحو الساعة، ولديها الكثير لتتحدث في شأنه، وأمور شتى نقولها ونسأل عنها وهي كلما مكثت هادئة، مكتفية بالسطر إلى شيء ما، يتملأها الغضب أكثر، فهي مقنورها استثمار هذا الوقت في القيام بشيء ما، أو مقابلة شخص. أمامها الكثير لتتعلمه، وكان في إمكانها قضاء وقتها هذا بطريقة أفضل بكثير. لكن، لما شرعت الشمس تبحر في الأفق، وتلوّنت الغيوم بخيوط ذهبية وورنية، أتركت بريندا أن

سارت لبعض الوقت في الجبال المشجرة قبل أن تتعثر على الجوسي. كان جالساً على صخرة قرب فكة الجبل، مبتأماً وادي الغرب والجبال التي تحاذيه. كان المشهد جميلاً حقاً. تذكرت بريندا، وهي تمنع النظر فيه، أن الأرواح تؤثر مثل تلك الأماكن.

سألت الجوسي وهي تدنو منه،

«هل الله هو إله الجمال فحسب؟ وإذا صيغ ذلك، فماذا عن الأشخاص البشعيين والأماكن القبيحة في هذا العالم؟

ثم يردّ الجوسي، شعرت بالإحراج.

«أنت، لا تذكرني ربما. لقد أتيت قبل شهرين. أمضيت الليل بطوله وحدي في الغابة. قطعت عهداً على نفسي حينها بأني لن أعود إلا حين أكتشف طريقتي. ثم التفت امرأة قدعى ويكا

جعل الجوسي، لكنه أدرك بارتياح أن الفتاة لم تلاحظ توتره ثم ابتسم في نفسه على سخرية القدر

«قالت لي ويكا إنني ساحرة، تابعت الفتاة

«ألا تتقين بها؟

كانت هذه أولى الكلمات التي تفوه بها الجوسي منذ وصولها. شرّرت بريندا لعرقتها أنه يستمع إلى ما يقوله، بعدما شككت للحظة في ذلك.

ما نحارب من أجله في حياتها، هو بالصبط ما فعله الآن، أي المدرة على الجلوس يوماً ما لتأمل مثل هذا المشهد.

في لحظة ما، سألتها المجوسي:

أتعرفين كيف تصلين؟

من المؤكد أنها تجيد الصلاة، حالها في ذلك حال الجميع.

- حسناً، عليك بتلاوة الصلاة ما إن تلامس الشمس الأفق. في حكمة الشمس، يعتمد التواصل مع الخالق على الصلوات. فعدم بصاغ الابتهاال بكلام الروح، يغدو أقوى بكثير من أي طقس.

رنت هريدا، لا أحيد الصلاة لأن روحي صامتة

صحتك المجوسي.

- وحدهم المستنبرون عن حق، يملكون أرواحاً صامتة

- لانا إذا، لا يمكنني الصلاة بروحي؟

لأنك تفتقرين إلى النواصع الذي يجعلك تتصلين بربك. وتكشعين ما تبغيه. يحررك الإصغاء إلى متطلباتها ويخيمها حملها إلى الخالق لأنك تعتقلين أنه لا يملك وقتاً لها. كانت تراقب غياب الشمس وإلى جانبها أحد الحكماء، لكنها شعرت، على غرار ما يحدث دوماً في مثل هذه الأوقات، بأنها لا تستاهل وجودها هناك.

- صحيح أنني أشعر بعدم جدارتي، ولطالما اعتقدت أن البحث الروحي وجد لأنا أفضل مني.

- هؤلاء الأشخاص إن وجدوا فهم لا يحتاجون إلى البحث عن أي شيء، إنهم تجسّد الروح. والبحث قد وضع لأمثالنا.

لأمثالنا، قال المجوسي، مع أنه كان قد جاورها بأشواط.

قالت هريدا، الله هو الله في كلتا الحكمتين، القمر والشمس، مؤمنة بأن الحكمتين متطابقتان ولا تختلفان إلا بطريقة تلقين كل منهما، إذاً، علمي كيف أصلي.

التفت المجوسي نحو الشمس وأغمض عيني.

- نحن بشر يا الله ولا نترك عظمتنا. ربي، امنحني النواصع لأطلب ما أحتاج إليه، لأنه ما من رغبة تذهب بذي، وما من طلب لا يلقى استجابة. كل منا يعرف على كمال وجهه كيف يفدي روحه، فامسح الشجاعة لمرى رغباتنا مقبلة من يسوع حكمتك لذي لا ينضب. لا يمكننا أن نبدا بظهم من نحن إلا بتقبل رغباتنا أمين.

قال المجوسي،

- ربي ساعدي كي ألهم أن كل الأشياء الرائعة التي تصنعها في الحياة، تأتي، لأنني أستحقها فعلاً. ساعدي كي ألهم ما يدفعني إلى البحث عن حقيقتك إنما هو القوة نفسها التي دفعت القديسين، وأن الشكوك التي تراودني هي نفسها الشكوك التي راودت القديسين، والعيب الذي يتأبى هو عيب القديسين. ساعدي كي أتحدى بالنواصع المطلوب، وكي أقبل أنني ست مختلفة عن سائر البشر.

جلسا بصمت يشاهدان غروب الشمس إلى أن اختفى آخر شعاع من أشعتها على بساط الغيم.

كانت روحاهما تصلبان، لعل أسيابهما تتحقق، ويرفعان الشكر لي من جمعهما معاً

فقل هو وبريد عاتدين. تنكرت من جلجد اليوم الذي ذهبت فيه، لأول مرة إلى هناك بحثاً عنه. وقد عاشت نفسها حببها لها لن تعيد النظر في القصة سوى مرة واحدة بعد، فهي لا تحتاج إلى الاستمرار في محاولة إقناع روحها.

أمعن المجوسي النظر في الفتاة التي تسير أمامه، وهي تحاول أن تظهر به أنها تعرف أين تصنع قدميها ما بين التراب الرطب والصخور، لكنها لا تكف عن التعثر كل حين. امشح صدره لبرهة، إلا أنه عاد سريعاً إلى التحفظ.

فبعض نغم الله تصل أحياناً عبر تحطيم جميع المواقف.

فكر المجوسي، وهما بهيطان عاتدين من الجبل، كم أنه محطوط لوجود بريد إلى جانبه. فمثله مثل أي رجل آخر، كان للمجوسي مواطن ضعف ومواطن قوة. كما أنه لم يتعود بعد تأدية دور المعلم. وهو في البداية، ومنذ أن صار الناس يجهنون إلى الغابة من أنحاء إيرلندا لسماع تعاليمه، تحدث عن حكمة الشمس، وأراد منهم أن يفهموا ما يدور من حولهم. فإله قد اخترع حكمته هناك، بحيث يسحبهم جميعاً لإدراكها متى مارسوا بعض الطقوس البسيطة. وقد سبق لبولس الرسول أن وصف، منذ ألفي عام، طريقة تعليم حكمة الشمس، وأنا، بضعف وخوف ورعدة شديدة، صرت إليكم، ولم تكن كلمتي وبشارتي بكلمات وحكمة مقبلة، بل بإظهار روح وقوة، لنلا يكون إيمانكم قائماً على حكمة من بشر، بل على قوة من الله.

لكن الناس، بدوا، برغم ذلك، عاجزين عن فهمه وقد حثتهم عن حكمة الشمس. أصيبوا بالخيبة لأنهم وجدوه رجلاً شبيهاً بغيره من الرجال.

لم يول الأمر أهمية فهو معلم، وجل ما يفعله، مد كل شخص بالوسائل اللازمة للحصول على المعرفة. لكنهم احتاجوا إلى ما هو أكثر بكثير كانوا في حاجة إلى مرشد. لم يفهموا ماهية ليل الظلمة، ولم يتركوا أي مرشد في ليل الظلمة، سيكتفي،

وحسب، بأن يميز بشعلته ما يسعى هو نفسه إلى أن يراه. وإذا صلب أن انطفأت الشعلة، فسيتيه الناس، لأنهم ببساطة، لا يعرفون طريق العودة. هم يحتاجون برغم ذلك إلى مرشد، وعليه هو أن يحترم رغباتهم، ليثبت أنه جنير بأن يحتل هذه المكانة

شرع عندها في تعميق خطبه بكلام أخاذ، لا يُشمن ولا يغني. يمكن لجميع قلوبهم وفهمه نجحت الطريقة وتعلم الناس حكمة الشمس. ولما أدركوا أخيراً أنه لا فائدة على الإطلاق من الكثير مما أخبرهم إياه الجوسي، صحكوا من أنفسهم. وسر الجوسي، لأنه تعلم أخيراً كيف يعلم.

لكن بربنا تختلف عن سواها. منبت صلاتها عمق روح الجوسي. أدركت أنه ما من مكان بشري يحيا في هذا الكوكب، يختلف، أو يختلف عن الآخرين. ويمكن فقط لفئة من الناس المجاهرة بالقول إن كبار معلمي الماضي تمتعوا بمرئيا البشر ذاتها وبعبوبهم، وبأن هذا لا يقلل في أي شيء من قدرتهم على البحث عن الله. لقد شكل الحكم على الذات، باعتبارها دون مستوى الناس الآخرين، واحداً من أسوأ أفعال الكهرياء التي عرفها، لأنه الطريقة الأكثر تدميراً للاختلاف الذي يميز المرء من غيره.

بلغا الحادة، وطلب الجوسي كلسين من الويسكي.

قالت بربنا، انظر إلى الربانين الآخرين. هم يأتون إلى هنا في كل ليلة ربما، ويقومون دوماً بالأمور ذاتها.

فجأة، لم يعد الجوسي متأكداً إن كانت بربنا تعتبر نفسها فعلاً مثل أي شخص آخر.

وأجاب: «تشغلين نفسك كثيراً بالأناس الآخرين. إنهم مرآة ذلك.

- أعلم، نعم. اعتقدت أنني أعرف ما الذي يسعدني وبخزني، إلى أن أدركت فجأة أنني في حاجة إلى إعادة التفكير لكن ذلك شاق كثيراً.

- ما الذي جعلك تغيّرين رأيك؟

- الحيد أعرف رجلاً يشعرني بأنني كاملة. بين لي، منذ ثلاثة أيام، أن عائلته ليصا مليء بالفلغاز، وأني لست وحدي.

بقي الجوسي على سكونه، إلا أنه أخذ يتذكر الفكرة التي راودته قبل قليل عن نعم الله التي تحل بركاتها على الناس، من خلال التواضع أحياناً.

- هل نحبينه؟

- ما أدركته هو أنه لا يزال في وسعي أن أحبه أكثر. وأنا لو تعلمت شيئا جديداً في هذا المسار، فسبكون، أقله، أمراً واحداً مهماً هو أنه علينا ركوب المخاطر.

سبق له أن شرع، وهما بهبطان الجبل، في ترتيب مخططات رائعة لتلك الليلة أراد إظهار مدى حاجته إليها، وأن يبين لها أنه، تماماً كغيره من الرجال، متعب من الوحدة. لكن كل ما أريدته هو أجوبة عن أسئلتها.

قالت بربنا، يوجد أمر غريب في شأن الهواء هنا. بدأ الشاخ وكأنه قد تغير.

أجاب الجوسي، إنهم المرسلون. شياطين اصطباغيون، ممن ليسوا جزءاً من يد الله اليسرى. أولئك الذين لا يقودوننا إلى النور.

أخذت عيناه تلمعان. ثمة ما تغير فعلاً، فما هو يتحدث عن الشياطين.

تابع، «جند الله ملائكة بإمرة يده اليسرى ليجمعند أفضل
ويعرف ما يفعله برسالتنا. لكنه كان رجلاً مسؤولية جند قوى
الطامة، وخلق شياطينه الخاصة».

وها هو يفعل ذلك الآن.

قالت الفتاة، وقد انتابها شيء من الدهر، لكنه يمكننا أيضاً
حشد قوى الخير».

- كلا، لا نستطيع

لو أنها تسأله شيئاً وحسب، لأنه يحتاج إلى ما يصرف ذهنه. لم
يشأ أن يخلق شيطاناً هؤلاء الشياطين يطلق عليهم، في حكمة
الشمس، اسم «الرسلين»، وفي وسعهم أن يصنعوا حيراً عطيماً، أو شراً
أعظم. ويسمح لأكثر العلماء أهمية باستحضارهم، وهو واحد
منهم، برغم أنه لم يشأ أن يستحضر مثل هذا الرسل لأن، لأنه
يستطيع أن يشكل قوة خطيرة، خصوصاً إذا اختلط مع خيبرات
الحب.

أربك جواب الجوسي بريدنا، وزاد من إرباكها أنه يتصرف
بغربة

قال مكزراً وهو يجهد محاولاً التركيب في ما يملق به، لا
يمكننا حشد قوى الخير فهي، مثل الضوء، دائمة الانتشار وعندما
تطلق النبهات الإيجابية تعود بالإنجابية على الجنس البشري
كأنه. لكن، حين نحشدين قوة الرسل تعين نفسك فقط، أو
تضرب بها،

استمرت عيناها تمشان بريقهما في كل مكان ترمقله. نادى
على صاحب الكأس ودفع العاتورة.

قال: «الذهبي إلى بيتي. سأحضر بعض الشاي، ويمكنك أن
تخبريني هناك عن المسائل المهمة حقاً في حياتك».

ترننت بريدنا. فهو رجل جند كثيراً، وهي امرأة أكثر
جاذبية. وخضيت أن تضع تلك الليلة حناً لتلمتها

لكنها قالت من جديد في سرها: «علي أن أركب المخاطر»

إله سبيلك، وويكاً محقة تماماً أنت ساحرة. وستتعلمين
استخدام دكرة الرمن لاكتشاف الأمثولات التي علمها الله،

تسأل لماذا الحياة على هذا النحو، ولماذا التقى توأم روحه
ليكتشف وحسب أن الطريقة الوحيدة التي يمكنها أن تتعلم من
خلالها، هي عبر حكمة القمر

قالت بريد، وقد أحد الوقت يتأخر ولن يعود هناك أي حافلة،
لدي سؤال إضافي بعد. أحتاج إلى معرفة الجواب عنه لأنني أعلم
بأن ويكاً لن تمسحني إياه. أعرف هذا لأنها امرأة مثلي. فبالرغم من
أنها ستبقى دوماً معلمتي، فهي بالنسبة إلى هذا الوضع ستظل دوماً
امرأة. أريد أن أعرف كيف أجد توأم روحي.

فكر الجوسي، إله معك، هنا تماماً، ومرة أخرى، لم يقل شيئاً
وتوجه إلى إحدى رواب الغرفة وأطفأ الأنوار وحدها مسحوقة من
الإكليريكا، لم يلاحظها بريد لدى دخولها، بقيت مضطربة، تحتوي
على سائل ما تنصاعد المقاعات في داخله وتسرل، وتملاً الغرفة
بالأنوار الحمراء والزرقاء.

قال الجوسي، وقد تسمرت عيناها في المسحوقة، التقينا حتى الآن
مرتين. وأنا أسمح لي فقط بتعليم حكمة الشمس التي نوقط في
لناس ما يملكونه من معرفة موروثة عن الأجداد.

- كيف يمكنني العثور على توأم روحي عبر حكمة
الشمس؟

أجاب الجوسي، مرتداً عن غير قصد كلمات ويكاً، هذا ما
يبحث عنه كل من على هذه الأرض. وفكرت بريد، لا بد من
أنهما تتلما على يد العلم بنفسه.

يقف الجوسي على مسافة بعيدة بعض الشيء خارج القرية
لاحظت بريد أن مبره يحصل كثيراً عن مسكن ويكاً، لكنه
بالقدر ذاته من الراحة، ومشغول بالتفكير فيه تقريبا. لم يقع
بطره على أي مكتاب، فالساحة في الغلب فارغة إلا من قطع
صغيرة من الأنث.

توجهها إلى المطبخ لإعداد الشاي، ثم عادا إلى غرفة العيشة.

سألها الجوسي، لماذا جئت إلى هنا اليوم؟

- تعهنت لنمسي أن أفعل ما إن أعرف شيئاً.

- وماذا تعرفين؟

- أنا، في الحقيقة، مضلعة على القليل. أعلم بأن السبيل بسيط.
وبالتالي أكثر صعوبة مما اعتقدت، لكنني سأبسط روحي. إلا أن
السؤال الأول هو، في أي حال، لماذا تهمل وقتك معي؟

أجاب الجوسي في فكره، لأنك توأم روحي، لكنه قال:

- لأنني أحتاج إلى من أتحدث معه

- ما رأيك في السبيل الذي اخترته، حكمة القمر؟

أجاب الجوسي إلى قول الحقيقة، ولو أنه رغب في أن تكون
الحقيقة مختلفة،

- وضعت حكمة الشمس إشارة في العالم، هي بريق خاص في العين، يراه كل واحد فينا، فيعرف أن الشخص هو توأم روحه.

قالت بريدنا، شأهنت بريقاً مختلفاً في أعين الكثيرين من الناس. وأنا اليوم، على سهل النال، أرى عينيك تلمع. ذلك ما يبحث عنه الجميع.

فكر المجوسي في سره: لقد سبت صلاتها تعتقد أنها مختلفة عن غيرها تعجز عن إدراك الكثير مما جاد به الله لبريها أيام

وقالت بإصرار، أنا أفهم لغة العيون. قل لي، بدلاً من ذلك، كيف يكتشف الناس توائم أرواحهم من خلال حكمة القمر.

استدار المجوسي صوبها، وعينه باردتان وقد خلتا من أي تعبير

فقلت، أنت حزين، لأنني لا أزال أعجز عن التعرف من الأمور البسيطة. ما لا تفهمه هو أن الناس يعانون، يبحثون عن الحب، بلا كمال، وغير مدركين أنهم يؤدون مهمتهم الإلهية في كنه نور على توائم أرواحهم. ولأنك رجل حكيم، ولا تفكر كيف هو الأمر بالنسبة إلى الأشخاص العاديين، تدس أني أحمل في داخلي آلاف السنوات من الخيبات، ولم أعد أتعلم بعض الأشياء من خلال أنوار الحياة البسيطة.

حافظ المجوسي على هدوئه

قال، هالة من نور تشق فوق الكتف اليسرى روحك. هكذا هو الأمر في حكمة القمر.

قالت، وهي تأمل أن يطلب إليها البقاء، يجب أن أعاد، فقد أحببت وجودها هناك وهو أجاب عن سؤالها.

بكن المجوسي نهض وشيخها إلى الباب.

قالت، سأتعلم ما تعرفه. سأكتشف كيفية رؤية هالة النور تلك.

انتظر المجوسي إلى أن هبطت بريدنا الدرج مغادرة. يوجد باص إلى ديلر في نصف الساعة المقبل، ولا حاجة له بالتالي إلى الصلق عليها وخرج بعد ذلك إلى الحديقة ومارس الشعائر التي يؤديها كل ليلة تعود القيام بذلك، لكنه يجد أحياناً صعوبة في بلوغ التركيز الضروري. وتفكره الليلة مشتتة على نحو خاص.

جلس مع انتهاء طقوسه، عند عتبة الباب، ونظر إلى السماء. فكر في بريدنا تمكر من رؤيتها في الباص، وهالة الصوء فوق كتفها اليسرى، الصوء الذي يستطيع وحده أن يراه لأنه توأم روحها. فكر في **بعض** شوقها إلى الانتهاء من بحث بدأ منذ يوم ولادتها، وفي **مدى** برودتها لدى وصولهما إلى منزله، واعتبر ذلك علامة جيدة **نعم** أن مشاعرها الخاصة نصيبها بالنشوش، فتدافع عن نفسها في مواجهة أمر لم تتمكن من فهمه

وفكر أيضاً، ببعض من الخشية، في أنها واقعة في الحب

تحدث بصوت مرتفع مع بيانات حديقته، وقال، يعثر الجميع على شقائق أرواحهم، يا بريدنا، لكنه شعر، في أعماق نفسه، بأن عليه هو أيضاً أن يقوي إيمانه، وأنه في الواقع يتحدث مع نفسه.

وتابع، عند حد ما، يلتقي كل مما توأم روحه ويتعرف إليه أو إليها ولولا أنني مجوسي، وبمكاني أن أرى هالة النور فوق كتفك اليسرى، لاستدعى الأمر المرید من الوقت لقبولك. إلا أنك ستقاتلين من أجلي، وسأرى في يوم من الأيام، الصوء الخاص في عينيك. لكنني في الواقع مجوسي، ويعود إلي أن أحارب من أجلك، بحيث تتحول معرفتي كلها إلى حكمة.

جلس لوقت طويل يتأمل الليل، ويفكر في بريدنا وهي تسافر
في الباص عائدة إلى دبلن. الطقس أكثر برودة وصفيحا من المعتاد
وقرباً ينتهي الصيف

- سنكتشمين بنفسك أن ليس من مخاطر في الحب فهمد
آلاف السنين والناس يبحث بعضهم عن بعض، ويجد كل منهم شق
روحه

أدرك فجأة أنه قد يكون مخطئاً. توجد يوماً مخاطرة واحدة
أن يلتقي شخص واحد أكثر من توأم روح في التجسد ذاته. كما
جرى خلال آلاف السنين من قبل.

شتاء وربيع

عملت ويكا، خلال الشهرين التاليين، على تلقيح بريدنا أول مبادئ أسرار السحر الغامضة التي يمكن للنساء تعلمها أسرع من الرجال، لأنهن، في كل شهر، يحتبرن في أجسامهن الدورة النامية للطبيعة الولادة، الحياة، والموت، أو «دورة القمر»، كما تسميها

اضطرت بريدنا إلى شراء دفتر ملاحظات جديد تلون فيه جميع الاحتمالات الجنسية التي مزت فيها منذ لقائنا الأول بويكا، ويمرص بها تنظيم الدفتر، على أن يحمل على غلافه النجمة الخماسية التي تربط كل ما هو مكتوب فيه بحكمة القمر أبلغتها ويكا أن الساحرات يملكن مثل هذا الدفتر، العروف باسم «كتاب الطلال»، هي إشادة منهن بذكركى أخواتهن اللواتي فصيحن بحبهن خلال سنوات مطاردة الساحرات التي استمرت أربعين عاماً.

• لماذا علي القيام بذلك كله؟

عليها أن يوقظ الموهبة فيك فأنت من دونهما، لن تتعرفي إلا إلى الألعاز الصغرى إنها سبيطك في خدمة العالم.

على بريدنا أن تخصص زاوية حرة مسبياً في منزلها، كنوع من المعبد الصغير، على أن تستمر شمعة فيه في الاحتراق ليلاً ونهاراً والشمعة، بحسب حكمة القمر، رمز العناصر الأربعة، وهي تحتوي في جريئات تكويبها، على تراب الفتيل، وماء ريت النفط، والدار التي تشتعل، والهواء الذي يسمح للهبها بالاشتعال. وهي مهمة أيضاً

كوسيلة تذكّرها بأن لديها رسالة تحققها، ونها ملزمة بها وحدها الشّعة تظهر، ويجب إحياء كل ما عندها جعناً، على رفء أو في داخل درج. فقد تطلبت حكمة القمر، مدد القرون الوسطى وما بعدها، أن تحيط الساحرات مشاطاتهن بالسّزية والغموص، لأن بيوعات كثيرة سيق أن حذرت من عودة الظلمة في نهاية الألفية

شعرت بربدا، في كل مرة جاءت فيها إلى المنزل وشاهدت الشّعة، بمسؤولية غريبة نكاد تكون مقدسة

طلبت إليها وبكا أن تولي صوت العالم ابتهاها النائم وقالت لي، «يمكنك سماعه أينما كنت فهو ضجيج لا يتوقف أبداً، موجود على قمم الجبال هناك، وفي المدن، والسما، وفي قعر المحيط الصّحيج، الأشبه بالدينية، هو روح العالم الذي يحول نفسه ويسافر في اتجاه النور وعلى أي ساحة أن تدرك هذا جيداً، لكونه جزءاً مهماً من هذه الرحلة،

استطرت وبكا في الحديث، وشرحت كيف أن الأقدمين تحدثوا إلى عالما من خلال الرمور لم يتوقفوا عن الكلام، ولو لم يستمع أحد، ولو أن الجميع تقريبا سوا لغة الرمور

سألنها بربدا في أحد الأيام، «أهم كانتات مثلنا؟»

- إننا هم. ونحن نترك فجأة كل ما نعلمناه في حيواتنا الماضية، وجميع ما تركه كبار الحكماء مكتوباً في الكون قال يسوع، «مثل ملكوت الله مثل باذر في تربة، إن نام أو قام، في الليل وفي النهار، يرب البذر ويعل، وهو لا يعلم كيف».

«يرتوي الجسم البشري يوماً من هذا اليسوع الذي لا يمصب» والذي يطلّ يلقى وسيلة للبقاء حتى عندما يقول الجميع إنه مقصي عليه. وقد استمر عندما فكرت الفردة البشر من الأشجار، وحيثما

نموت المياه الأرض. وهو سيبقى عندما يتحصر الجميع ويهينون أنفسهم للكارثة البهائية.

«نحن مسؤولون عن الكون، لذا الكون عيه».

كلّما أمضت بربدا الريد من الوقت مع وبكا، ازداد إدراكها لجمالها اللامتناهي كامراً.

واصلت ويكا تعليم بريدنا حكمة القمر طلبت إليها العثور على خنجر ذي حنجر، بضله متموج كاللهب سعت بريدنا إلى العثور على هذه الأحجية، في مناخر مختلفة، لكنها لم تجد ما يتناسب مع طلب ويكا، إلى أن حل لورنس المشكلة في النهاية. فقد طلب إلى مهندس في الكيمياء العنصرية، يعمل في الجامعة، صنع مثل هذا البصل. وحفر بنفسه القبص الخشبي، وقدم الخنجر هدية إلى بريدنا. فذلك طريقته في القول لها إنه يحترم بحثها

أضفت ويكا على الخنجر طوقساً مقدساً وغامضة، تضمنت كلمات سحرية، ورسوماً بالفحم على البصل، وبضع صرباب بواسطة ملعقة خشبية. أرادت استخدام الخنجر امتداداً لدراعها. لمساعدتها على أن تبقى طاقة جسمها مركزة في البصل. كذلك استعملت الجنّيات العزابات العصا للغاية ذاتها، ولجأ الجوس إلى السيم للهف عيه

أعربت بريدنا عن دهشتها بحال الفحم واللعة الخشبية، فقالت ويكا إن الساحرات اضطرون، في زمن مطاردتهن، إلى استخدام معونات يمكن الخلط بينها وبين الأدوات العادية اليومية. وبقي تقليد الخنجر والفحم واللعة الخشبية، وفعلت كثيراً المواد الفعلية التي استخدمها الأقدمون.

تعلمت بريدنا كيفية إحراق البخور وطريقة استخدام الخنجر داخل الدوائر السحرية وأصبح لزاماً عليها أن تمارس أحد الطقوس

في كل مزة يتغير فيها طور القمر، فتصنع كوكباً من الماء على حافة الشباك، بحيث ينعكس صوؤه على سطحه. وعليها من ثم أن تقف لينعكس وجهها على صفحة الماء، ويصبح انعكاس القمر في منتصف جبهتها تماماً وما إن تغدو في حالة كاملة من التركيز، حتى تشق الماء بالخنجر، وتسبب تكسر الانعكاسات وتشكيل أخرى أصغر.

وعليها أن تشرب الماء على الفور لتنمو، من ثم، قوة القمر في داخلها

قالت بريدنا في إحدى المرات، أن، لا معنى لأي من هذا. تجاهلت ويكا الملاحظة، فهي أيضاً اعتقدت ذلك في ما مضى، لكنها تلحّرت كلمات يسوع عن الأمور التي تنمو في داخل كل فرد منّا بدون أن نعلم الطريقة أو السبب.

قالت لها، لا يهم إن كان لنلك معنى أم لا فكركي في البهل الظلمة.. وكلما فعلت ذلك يتواصل الأقدمون معك. يقومون بذلك، في البداية، بطريقة لا يمكنك فهمها، لأن روحك وحدها ستكون مستمعة، لكن سيمعك سماع الأصوات من جديد في يوم من الأيام

لم نشأ بريدنا سماع أصوات، بل أرادت أن تجد نواص روحها، لكنها لم تقل شيئاً من هذا لويكا

خضرت عليها العودة من جديد إلى الماضي، لأن ويكا، ترى أن ذلك ضروري في حالات مادرة فقط.

- لا تستخدمني كذلك ورق اللعب لقراءة المستقبل. فالورق عمل فقط للنمو من دون كلام. إنه النمو الذي يحصل بطريقة عورية.

على هريدا أن ترصف الورق على الطاولة، ثلاث مرات في الأسبوع. وتجلس تنأمله وقد ذراعت لها لاما رؤى هي أغلبها غير مفهومة. ولذ شنت في شأنها، قالت ويكا إن لها معنى عميما تعجر عن إدراكه.

- ولم لا أستخدم الورق لقراءة المستقبل؟

أجابت ويكا، الحاضر وحده سلطة على حياتنا. وأنت، عندما تقرئين المستقبل في الورق، إنما تأبين به إلى الحاضر، وهو ما قد يسبب ضرراً خطيراً. ففي إمكان الحاضر التشويش على مستقبلك.

شرعنا في الذهاب، مزة في الأسبوع، إلى الغابة حيث علمت ويكا ربيبتها أسرار الأعشاب. فكل شيء في العالم، بالنسبة إلى ويكا، يحمل توقيع الله، وخصوصاً السبات. بعض أوراقه يشبه القلب، وهو جيد للأمراض القلبية، بينما يمكن لأوراقه الشتر تشبه العيون أن تشفي من أمراضها. أخذت هريدا تدرك أن الكثير من الأعشاب تشبه بالفعل الأعضاء البشرية، وقد وجدت في كتاب عن الطب الشعبي، استعاره لورنس من مكتبة الجامعة، بحث يشير إلى أن معتقدات شعوب الريف والساحرات قد تكون صحيحة بالفعل.

وقالت ويكا، في أحد الأيام، وهما تستريحان تحت شجرة، إن الله جعل من الغابات والحقول منبع كل دواء، بحيث يستطيع أي كان أن يشفي بتركها.

عرفت هريدا أن لعلمتها مندرجين آخرين، لكنها لم تلتق نيا منهم قط. وصدف دائماً أن الكلب يباح، ويكاد يساحه يصبح أشبه بالعواء، عندما ينتهي وقتها مع ويكا. وبرغم ذلك، فقد مزت بأحاسيس آخرين على النرج: امرأة أكبر سناً، وفتاة في مثل عمرها تقريباً،

ورجل يرتدي برة. استمعت هريدا بتحفظ إلى خطواتهم، إلى أن فصح صرير الأرضية الخشبية مقصدهم: شقة ويكا.

غامرت هريدا، في أحد الأيام، بالسؤال عن أولئك التلامذة الآخرين، فأخبرتها ويكا بأن «ممارسة السحر ترتكر على القوة الجماعية. تبقى المواهب المحتللة طاقة عمليا في حركة مستمرة وكل موهبة تعتمد على المواهب الأخرى مجتمعة،

شرحت لها ويكا عن وجود تسع مواهب، وحرصت كل من حكمة الشمس وحكمة القمر على بقائها على مر القرون.

- ما هي المواهب التسع؟

أجبت ويكا على مكسلها وطرحها الأسئلة طوال الوقت، لأن على الساحرة الحقيقية الاهتمام بجميع أشكال البحث الروحي. طلبت إلى هريدا أن تضي المزيد من الوقت في قراءة الكتاب المقدس (الذي يحتوي على الحكمة الغيبية الحقة)، وتلشد المواهب في رسالة بولس الأولى إلى الكورنثيين. فعلت هريدا واكتشفت المواهب فتسع. كلمتي الحكمة والعرفة، الإيمان، الشفاء، اجتراح المعجزات، النبوة، تبيان الأرواح، التحنث بالألسنة، تفسير الألسنة.

أدركت عندها فقط أن الموهبة التي تنشدها هي تبيان الأرواح.

علمت ويكا الرقص لهريدا أخبرتها بأنها تحتاج إلى أن تتعلم كيفية تحريك جسدها على صوت العالم، تلك الدبابة الدائمة الوجود. ليست للأمر أهمية خاصة، إذ يقتصر على القيام بأي حركة تخطر في بالها لكن هريدا استغرقت بعض الوقت لتتعود التحرك والرقص بتلك الطريقة اللامبطافية.

علمت الجوسي، ليل الطلعة. وهذا الليل، في الحكمتين

كاتبتهما - وهما في الواقع حكمة واحدة - هو الطريقة الوحيدة
للتطور عليك، كأول أمر تعلمينه عندما تطلقين في طريق
السحر، أن تسلمي نفسك إلى قوة، لأنك ستواجهين أموراً لن تمهينها
أبداً.

«ما من شيء يتصرف بالطريقة المنطقية التي تتوقعها. لا
يمكنك فهم الأمور إلا من خلال قلبك، وقد يكون هذا مخيفاً
ستبدو الرحلة، لوقت طويل، أشبه بـ «ليل الظلمة»، إلا أن كل بحث
بشكل فعل إيمان.

«لكن الله، وإدراكه أكثر صعوبة بكثير من فهم «ليل
الظلمة»، يقدر إيماناً حق قدره، ويهدي بصيرتنا ويرشدنا عبر السر
المفجّر».

غابت أي ضغينة أو مرارة من حديث وبكا عن الجوسي
أخطأت بريندا، لأن من الواضح أن وبكا لم تفهم قط أي علاقة
غرامية معه. تكاد عيناها تفصحانها وتشيران بها في ذلك. وربما
كان الغيظ الذي عبرت عنه في ذلك اليوم الأول، لم يحدث إلا لأن
الأمر انتهى بهما إلى سلوك طريقين منفصلين. فالسحرة والساحرات
كائنات مفروقة، يريد كل منها أن يثبت للآخر أن طريقه هي
الأفضل.

انتهت فجأة إلى ما تفكر فيه

أمكنها، من خلال عيني وبكا، القول إنها ليست مفروقة
بالجوسي.

سبق لها أن شاهدت أفلاماً وفترات كتباً وروايات تتحدث عن
هذا فالعالم بأسره يمكنه أن يعرف أن شخصاً ما قد وقع في الحب
من خلال عينيه

فكرت في سرها، لم أتمكن من فهم الأمور البسيطة إلى أن
أصبت بالأفكار الجبلية والعتقبات الإشكالية.. وربما كانت تتبع
حكمة الشمس في يوم من الأيام.

قالت للورنس، «فقدنا قابليتنا للعيش مع أسرار العالم برغم وجودها أمامنا وما أردت أن أصبح ساحرة إلا لأنتم كن من فك طلاس هذه الأسرار».

مضت بريدنا إلى العابة في اليوم القزّر لطلالا شكّلت هذه الغابة، منذ ألف وخمسمئة سنة، السكان القنّس للحزّاقين، إلى أن طرد القنّيس بانريك الأفاعي من إيرلندا، واختفت من حببها العبادة التي لطلالا شغلت حيوات هؤلاء الذين بدروا أرواحهم لاستشراف الغيب. لكن نقنيس هذا المكان انتقل من وقتها من جبل إلى جبل، ولا يزال القرويون، حتى يومنا هذا، يجلبونه ويهابونه.

عثرت على ويكا في الفسحة الحالية من الأشجار، وقد التفت بوشاحها، وبرقفتها أربع نساء يرتدين ثياباً عادية.

كانت النار مشتعلة في المكان الذي سبق لها أن لاحظت وجود رماد فيه. تطلّعت بريدنا إلى لهبها، وشعرت، لسبب ما، بالخوف. لم تعرف إلا مكان مرّ ذلك إلى الجوّ من النوبي الذي تحمله في داخلها، أم لأنها عرفت النار في تجسّدت سابقة.

وصل الريد من النساء، بعضهن في عمرها، وأخريات أكبر سنّاً من ويكا، حتى بلغ مجموعهن تسعاً.

- لم أوجه الدعوة إلى الرجال اليوم، فنحن هما في استصار حكماء القمر.

تحلّقن واقفات حول النار، ونحذثن عن أكثر أمور العالم ظاهراً. فشعرت بريدنا، برغم اختلاف المسرح، كما لو أنها دُعيت إلى حفلة شاي تطفح بالثرثرات القبيحة.

لكن، ما إن امتلأت السماء بالنجوم، حتى تغيّر الجو كلياً. لم

مرّ جزء كبير من السنة، ولاحت تباشير البرد عندما اتصلت ويكا بريدنا مكتفية بالقول:

«سنجتمع في الغابة بعد يومين، ليلة بهل القمر، قبيل هبوط الصلّام».

أمضت بريدنا هذين اليومين تفكّر في اللقاء. مارست الشعائر المعتادة، ورقصت على صوت العالم. وفكرت، ولو أنه يمكنني الرقص على وقع بعض الموسيقى، إلا أنها أحدثت تألّف تحريك جسدها على تلك الدبّبة الغريبة التي أمكنها سماعها ليلاً في بعض الأماكن الصامتة. أخبرتها ويكا بأنها إذا رقصت على صوت العالم، فستشعر روحها بمريد من الراحة في جسدها، ويخفّف ثقلها. أخذت بريدنا تلاحظ أن المارة في الشوارع لا يعرفون ماذا يفعلون بأيديهم، أو كيف يحزّكون أرواحهم وأكتافهم شعرت برغبة في أن تقول لهم إن العالم يعرف لحناً، وإنهم إذا رقصوا قليلاً على ذلك النغم، وسمحوا لأجسامهم بأن تتحرّك فحسب في شكل غير مبطلقي لبصع دقائق في اليوم، فسيشعرون بحال الفصل بكثير.

إلا أن تلك الرقصة جزء من حكماء القمر، ووجدن الساحرات يعرفن ذلك. ولا بد من أن تتصنّفن حكماء الشمس ما هو مشابه. وهو لطلالا وجد برغم ما يبدو من عدم رغبة أي بكر في تعلّمه.

تحتج ويحكا إلى أن تشد الصمت، إذ تلاشت الحادثات تدريجاً
وساءلت بريداً في قرارة نفسها إذا كن قد لاحظن وجود النار
والغابة

عم صمت وجبر تحنّنت بعده ويكا

«في مثل هذا اليوم من كل سنة، تجتمع ساحرات العالم معا
للمصلاة ولتكريم أجسادنا وبحر، بحسب الحكمة، تجتمع في القمر
التاسع من السنة حول النار، التي شكّلت حيوات شفقاتنا
المصطهدات وموتهن.

أخرجت بريداً ملققة خشبية من تحت وشاحها

«هذا هو الرمز»، قالت، وهي تُظهر الملقة للجميع.

بهيت النساء واقفات وقد شبكن أيديهن، ثم استمعن إلى صلاوة
ويحكا وهن يرفعنها إلى السماء.

- لنحل على رؤوسنا الليلة، بركات العذراء مريم ونبيها يسوع
فهي أجسادنا تمام أرواح جدتنا، فلنباركهن العذراء مريم.

«ولنباركنا لكوننا نساء، نعيش في عالم يحبنا فيه الرجال
وبفهموسا أكثر فأكثر لكنا لا نزال نحمل على أجسادنا
علامات الحيوات الأخرى، وهي إشارات لا نزال نصيبنا بالألم.

«ولتحرزنا العذراء مريم من هذه الأمارات وتضع حنّا ليدن
لشعورنا بالنخب، كلما خرجنا للعمل، لأننا نترك أولادنا من أجل
كسب المال لإطعامهم. نشعر بالنخب لبقائنا في المنزل، لأننا لا
نستغل حريتنا كما يجب. نشعر بالنخب حيال كل شيء لأننا
أقصينا طويلاً عن القرارات والسلطة

«ولتذكرنا العذراء مريم على الدوام، بأن النساء هن اللواتي يقين

مع يسوع نأ هرب جميع الرجال، أو أنكروا إيمانهم، وهن اللواتي
استحين حينما حمل صليبه، وهن اللواتي لبثن عند قدميه ساعة
لفظه آخر أنفاسه. وإن النساء هن اللواتي ررن صريحه الفارغ، وليس
لنينا من سيب للشعور بالنخب.

«ولتذكرنا العذراء مريم دائماً بأننا أحرقنا واضطهدنا لأننا بشرنا
بديانة المحبة. وبينا حاول آخرون إيقاف الرمن بقوة الخطيئة،
اجتمعنا معاً لإقامة مهرجانات ممنوعة احتفلنا فيها بما لا يرال
جميلاً في العالم. ولأننا فعلنا ما فعلناه، وأما بما ندرنا حيواتنا من
أجله، أدنا وأحرقنا في الساحات العامة.

«ولتذكرنا العذراء مريم أبداً بأن الرجال حوكموا أمام اللأ
بتهمة بثّ المراءات في الساحات العامة وررعها على الأرض، أما
النساء فحوكمن في الساحات نفسها بجرم افتراق الزنى.

«ولتذكرنا العذراء مريم دائماً بجدتنا اللواتي - على غرار جان
نارك - اضطرون إلى النكح في ري الرجال من أجل العمل بكلمة
الرب وقد قضين برغم ذلك طعماً للنار..

حملت ويحكا الملقة الخشبية بيديها، ومنّت ذراعها معاً

- ها هو رمز استشهاد جدتنا، ولتبق أسدة الذهب التي التهمت
أجسادهن مضطربة دائماً في يموسا، لأنهن في دواخلنا لأنهن هن
ورمت بالملقة في النار.

واصلت بريد ممارسة الشعائر التي علمتها إياها وبكا أيقب الشمعة نائمة الاحتراق، ورفقت على صوت العالم سخلت لقاءتهما وبكا في «كتاب الظلال»، وفصلت الغابة الفلسفة مرتين في الأسبوع ولاحظت، لدهشتها، أنها شرعت في فهم البريد عن الاعشاب والنباتات.

لكن الأصوات التي أرادت وبكا إيقافها لم تظهر وما رادها فرقاً، أنها لم تتمكن من رؤية هالة النور فوق كتف أي يكن.

فكرت، وقد اعتراها بعض الخوف، «من يدري، ربما لم ألتق توأم روحي بعد». هو قدر اللواتي يعرفن حكمة القمر بهن لا يرتكبن أي خطأ لدى اختيارهن رجال حيواتهن. وهذا يعني، منذ اللحظة التي يصبحن فيها ساحرت حقيقيات، أن أوهام الحب ناتجا التي يرعاها الآخرون، لن تعود تراوحن. وسيمضي ذلك في الحقيقة، معادة أقل، أو قد يبشر بإرهاق آخر ومضة روح في جسد الحزن الذي صاماً بهش من نواتهن، وأنه أضحي في وسعهن، ببساطة متناهية، محبة كل شيء على نحو أكبر. فالعثور على توأم الروح هو، فوق كل شيء، وحي إلهي يلازم حياة كل شخص. وبحسب الحكمين، فإن حب توأم أرواحك، حتى لو اصطرك في يوم من الأيام إلى الاحتراق، سيمضي متوجاً توأم بالمجد، والتفاهم، وبذلك النوع «الحب من الشوق المظهر».

يعني ذلك أيضاً أن «ليل طلعة الحب سيحسر في اللحظة التي تسبك فيها رؤية علامة النور دفع ذلك بريد إلى التفكير في اللزات الكثيرة التي عانت فيها من أجن الحب، وباللبالي التي استلقت فيها مستيقظة في انتظار اتصال هاتفي لم يات قط، وبهايات الأسبوع الرومانسية التي لم تستمر في الأسبوع الذي تلاها، وبالجمالات التي أمضت الوقت فيها وهي تسترق النظر بقلق لرؤية من هناك، وبمرح الطمر بالقنوب لتثبت فحسب، أن في وسعها القيام بذلك وبالحرر والوحدة عندما تتأكد من أن أفضل أصدقاء خيلها، هو الرجل الوحيد الذي قد يستطيع إسعادها كان ذلك جزءاً من عالمها، ومن عالم كل شخص آخر عرفته هدا ما كان عليه الحب، وتلك كانت الطريقة التي بحث فيها الناس عن شقائق أرواحهم منذ فجر الأزمنة، أن ينظر الناس بعضهم في عيون بعض بحثاً عن ذلك النور الخاص الذي هو الرغبة. لم تعط مثل هذه الأمور قيمتها، بل على العكس، لطالما فكرت في أن من غير المجدي أن يعاني المرء من أجل شخص آخر، أو أن يشعر بالخوف الشديد لعدم القدرة على إيجاد من يتقاسم معه حياته. إلا أنها وقد واثتها الفرصة الآن لتحرير نفسها إلى الأبد من مثل هذه المخاوف، ليست متأكدة من أنها تريد ذلك

- أحقاً، تؤذ رؤية هالة النور تلك؟

فكرت في المجوسي، للحظة، شرعت أظن أنه محق، وأن حكمة الشمس هي الطريقة الوحيدة للتعامل مع الحب. لكن، لا يسعها تغيير رأيها الآن بعدما أيقنت الحرب التي عليها سلوكها إلى النهاية. تعرف أنها إذا استسلمت الآن فستجد صعوبة أكبر في القيام بأي خيارات أخرى في الحياة

بعد درس طويل كزمن بعد ظهر أحد الأيام لشعائر استنهض

الطر التي مارسنها الساحرات منذ المدم - شعائر على بريدنا أن تدوبها في «كتاب الطلال» حاصتها، برغم أنها قد لا تستخدمها أبدا - سألنها ويكا إذا كانت ترتدي الثياب كلها التي تملكها

أجابته «لا، بالتأكيد لا أفعل».

- حسناً، عليك من الآن فصاعداً أن ترتدي كل ما في خزانك

طلت بريدنا أنها أساءت الفهم.

فقلت ويكا شارحة: «يجب على كل ما يحتوي على طاقنا أن يبقى في حركة دائمة. إن ما تشتريه من ثياب يصبح جزءاً منك. ويمثل تلك الأوقات المبهرة التي غادرت فيها المنزل، وفنت نربندر التبديل قليلاً لسعادتك الغامرة بالعالم، أو الأوقات التي تأت فيها وأردت أن شعري ببعض التحسن، أو اللحظات والساعات التي اعتقلت فيها أن عليك تبديل حياتك».

الثياب تحول دوماً الانفعالات إلى مادة إنها أحد الجسور بين المنصور واللامنصور، بل يمكن لبعضها أن يسبب المنصور الحكونا مصنوعة لشخص آخر، لكن انتهى بها المطاف بين يديك».

أدركت بريدنا ما تعنيه فتمة ثياب لم تستطع حمل نفسها على ارتدائها، لأنها كلما فعلت حدث أمر سيئ.

تابعت ويكا: «تخلصي من أي ملابس ليست مخصصة لك. وارتدي الأخرى كلها. هم المهم إبقاء التراب مغلوباً، والوج متكشراً، وجميع انفعالاتك في حركة دائمة الكون بأسره ينجرك طوال الوقت، وعلينا أن نفعل مثله».

بعثرت بريدنا، إثر عودتها إلى المنزل، محتويات خزانها على السرير. تطورت إلى كل قطعة ثياب بعضها نسيت أمره تماماً

وأعاد إليها البعض الآخر ذكريات سعيدة، برغم أنه لم يعد عصرياً، لكنها احتفظت به لأنه امتلك سحراً خاصاً ولو أنها تخلصت منه لحث جميع الأمور الجيدة التي عاشتها وهي ترتديه

تطورت إلى الملابس التي اعتقلت أنها تحتوي على «ذنبات سيئة». لطالما أملت أن يسرع عنها هذه الذنبات شوءها، في يوم من الأيام، وتتدثر بجلباب أكثر جمالاً وثباتاً، فتتمكن هي عندها من ارتداء هذه الثياب من جديد. لكن النتائج جاءت تسبب بكارثة استثناء في كل مرة أخضعتها فيها للاختبار.

أدركت أن علاقتها مع الثياب أكثر تعقيداً مما اعتقدت، وصعب عليها برغم ذلك أن تتقبل تدخل ويكا في هذا القدر من الخصوصية والشخصانية، كطريقة تألقها احتفظت ببعض الملابس للمناسبات الخاصة، ورهفت أن يكون لأحد غيرها أن يقرر متى ترتديها وبعضها الآخر غير مناسب للعمل ولا حتى الخروج في عطلة نهاية الأسبوع. ولماذا تهتم ويكا بهذا؟ فهي لم تشكك قط في كل ما طلبت إليها ويكا القيام به، أمضت حياتها ترقص وتصي الشموع وتعمد الخاخر في الماء، وتتعلم عن شعائر لن تستخدمها أبداً قبلت ذلك كله، لأنه جزء من الحكمة، حكمة لم تفهمها، لكنها ربما كانت على تماس مع نفسها الجهولة. إلا أن ويكا، بتدخلها في مسألة ثيابها، تحشر نفسها أيضاً في طريقة وجودها وأسلوب حياتها في هذا العالم.

قد تتجاوز ويكا حدود سلطتها. صحيح، وقد تحاول التدخل في شؤون لا تعنيها. وهذا قد يكون صحيحاً أيضاً لكن ما يوازي كلا الاحتمالين، سمعته بريدنا يتردد عبر الأثير: «يصعب تغيير ما هو ظاهر أكثر مما في الداخل».

نطق أحدهم بهذا، فنطرت بريدا غريباً من حولها، عارفة أنها
لن تجد أحداً

إيه، الصوت.

الصوت الذي أرادت ويككا إيقافه

أمكنها السيطرة على مشاعر الإثارة والخوف التي تولدت لديها
لرمت الصمت أملاً منها أن تسمع شيئاً آخر، لكن الصوت الوحيد
الذي لا يزال صده يصح ويتردد على مسمعها، هو الصجيج الّتي من
الشارع، ومن ثلغار في مكان ما في الخارج، وصوت العالم النائم
الحدود حاولت أن تستعيد وضعيتها السابقة وهي جالسة،
والنفسكير في الأمور ذاتها التي راودتها سابقاً وقد حلت كل شيء
بسرعة كبيرة، بحيث لم تشعر حتى بالخوف أو المفاجأة أو الفخر

لكن الصوت نطق بشيء. هي متأكدة بما يشبه اليقين من أن
الصوت الذي سمعته ليس صوته، حتى ولو أثبت كل من هي
العالم أن الأمر ليس إلا من نتاج مخيلتها، وحتى لو استؤنفت عطاردة
الساحرت، وكان عليها أن تقف في المحكمة، وتخاطر بالنعز من
للحرق حتى الموت.

يصعب تغيير ما هو طاهر أكثر مما في الداخل، لأن
الصوت ربما أن يقول شيئاً أكثر شأناً، فهي المرة الأولى التي تسمعه
فيها هي تجسدها الحالي، وانتابها برغم ذلك شعور مفاجئ غامر
بالفرح. أرادت أن تتصل هاتفياً بلوريس، وأن تذهب لرؤية الجوسي
وأن تقول لويككا إن الكشف عن موهبتها قد تم أخيراً، وإن في
وسعها الآن أن تصبح جرياً من حكمة القمر. الفرحة المباشرة تكاد
تفعل فعل اليأس وأكثر وهي تكاد تسلبها عقلها جابت الفرقه
دهاباً وإياباً دُخيت بصع سجانر، واستغرقها الأمر نصف ساعة لتشعر

بأنها هتفت بما يكفي للجلوس من جديد على السرير إلى جانب
ملابسها كلها

الصوت على حق. فقد سلّمت بريدا روحها إلى امرأة غريبة،
وبقدر ما يبدو الأمر مستغرباً، فإن من الأسهل كثيراً تسليم روحها
على أن تتعامل عن تغيير أسلوبها في ارتداء الملابس.

أحدث تترك الآن فقط حكم أن هذه التمارين التي لا معنى لها
في الظاهر، أحده في التأثير في حياتها ولم يمكنها إلا الآن، بعدما
أن تطرت في تغيير الظاهر، أن تترك حكم أنها تفطرت من الداخل.

التقت ويكا وبريدا من جديد. أرادت ويكا، معرفة كل شيء عن الصوت، وسرت لأن بريدنا دوت كل تفصيل في «كتاب الظلال» خاصتها

سألته بريدنا، «صوت من هنا؟».

لكن، كانت لويكا أمور تفعلها وتقولها أكثر أهمية من الإجابة عن أسئلة بريدنا التي لا تنتهي.

أظهرت لك حتى الآن كيف تعودين إلى الطريق الذي عبرته روحك في تجسيدات عدة سابقة. أبقيت تلك المعرفة من خلال التخاطب المباشر الذي أجرتة روحي معها عبر رموز جنتنا وشعائره. لا بد من أنك تبهزمت بعض الشيء في هذا الشأن، لكن روحك سرت لأنها تعيد التواصل مع رسالتها في الوقت الذي مكنت تفتاطلين من جميع التمارين التي عليك القيام بها، ويشعرك الرقص بالليل، ونصطربين إلى مقاومة النعاس خلال الشعائر، كان جانبك الحفي يرتوي مزة أخرى من حكمة الرمان متذكراً ما قد تعلمه من قبل. وعلى ما جاء في الكتاب المقدس، أخذت البنور تنمو وتثبت برغم أنك لم تعرفي كيف. ثم حان وقت تعلم أمور جديدة. وهو ما يسمى التلقين الذي ستشرعين فيه في تعلم أمور تحتاجين إلى معرفتها في هذا العالم. ويشير الصوت إلى أنك مستعدة.

وهي حكمة الساحرات، يحدث التلقين يوماً عند الاعتدال، في اليومين من السعة اللذين يتساوى فيهما الليل والنهار والاعتدال المقبل هو في الحادي والعشرين من آذار/مارس، وأريده أن يكون تاريخ الشروع في تلقينك، لأنني أنا أيضاً أخذت التلقين في الاعتدال الربيعي. وها أنت تعرفين كيفية استخدام الأدوات الطقسية، وتدركين جميع الشعائر التي تبقى الجسر مفتوحاً بين العالمين المنظور واللامنطور. وكلما مارست هذه الطقوس، استنكرت روحك الدروس التي تعلمتها في حياة سابقة

ونيت بهماعك الصوت، جلبت إلى العالم المنظور شيئاً من العالم اللامنطور، أي لك أدركت، بعبارة أخرى، أن روحك مستعدة للخطوة التالية بعدما حققت هذات الرئيسية الأول.

تفاهي إلى بريدنا أن رغبتها الأساسية تمثلت في رؤية هالة النور التي تدل على توأم روحها، لكنها فكرت كثيراً، في الآونة الأخيرة، في كيفية البحث عن الحب، وفي أن أهمية تلك الرغبة الأولى قد أخذت الآن في التراجع مع كل أسبوع يمر

ثمة اختبار واحد فحسب عليك اختياره قبل أن يتم قبورك في عملية التلقين الربيعية. لا تقلقي إذا فشلت، فأمامك الكثير من الاعتدالات، وسيتم في يوم من الأيام تلقينك. أنت لم تتعاملتي حتى الآن إلا مع جانبك النكوري، وهو المعرفة. تدركين بعض الأمور، وبمحكتك فهم ما تعرفينه، إلا أنك لم تلامسي بعد القوة الأنيوية العظيمة، التي تتعلّق بالفدرات الكبرى على التحول. فالمعرفة من دون تحول ليست بحكمة

لطالما شككت هذه القوة ملعونة بين الساحرات عموماً، والنساء خصوصاً. إنها قوة يعرفها جميع من في الأرض. ويعرفها نحن النساء، أننا الحارسات العظيمات لأسرارها. ونحن محكومات،

بسبب هذه القوة بأن يهيم في عالم خطير ومعاد، أنسا من أيقظها. ولأن هناك أممكة اعتبرت فيه رجساً. وكل من اتصل بهذه القوة ولو من دون معرفة وعن طيب نية، محكومة بالارتباط بها لما بقي من حياتها وهي قد تأمرك بأن تصبحي عبدة لك. ويمكنك أن تحولها إلى قوة سحرية أو أن تستخدمها طوال حياتك من دون أن تتركها أبداً قوتها العظيمة. هذه القوة موجودة في كل ما يحيط بنا، تنبع خيالاتها متباهية في العالم المتطور للناس العاديين، وفي الحياة غير المرئية للصوفيين. ويمكن فنائها وسحقها، وإحماؤها، أو حتى سكرها وفي وسعها، لأعوام عدة، أن ترقد في سبات، مستترة في زاوية أحد الأممكة ونحن نستطيع معاملة أي طريقة نريد، لكن سنحيل على من اخترق قوتها أن يراها.

- أي قوة هي هذه؟

لا تستعري في طرح الأسئلة الغبية، رنت وبكا بحنة. تعرفين بالتفصيل ماهية هذه القوة.

هل حقاً أن نريها تعرف؟ نعم.

إنها الجنس

أراحت وبكا واحدة من الستائر الماصعة البيضاء، كاشفة المنظر لبريدنا المائدة تطل على النهر، وعلى أنبية قديمة، وتلال بعيدة، حيث يعيش الجوسي في مكان ما هناك.

سالت وبكا، «ما هو ذلك؟» وهي تشير إلى القبة العليا في إحدى الكنائس.

- إنه الصليب، رمز المسيحية

عندما دخل روماني مبنى يعلوه صليب، اعتقد أنه مكان للتعبية لأن الصليب يمثل واحدة من أقسى أدوات التنكيل التي سبق للإنسان أن اخترعها. ربما لم يتغير الصليب، لكن معناه تبدل بالتأكيد. ومن قبل ذلك عندما كان البشر أقرب إلى الله، شكل الجنس وسيلة اتصال مع العناية الإلهية، وإعادة تلاق مع معنى الحياة.

ولما بدأ الناس الذين يشنون الله بأنفسهم عن الجنس؟.

استاءت وبكا من القاطعة، لكنها أجابت:

- عندما أتحدث عن القوة، لا أعني فقط الممارسة الجنسية. فبعض الناس يستخدمون هذه القوة من دون القيام بعملية جنسية فعلية. كل شيء يتوقف على الطريق الذي تسلكه.

أعرف هذه القوة، قالت بريدنا. أعلم كيف أستخدمها.

قد تعرفين أموراً عن ممارسة الجنس مع شخص ما في السرير، لكن ذلك لا يعادل معرفته كقوة. فكل من الرجال والنساء عرضة لأذى قوة الجنس، لأن اللذة والخوف موجودان، بالدرجة نفسها، في الممارسة الجنسية.

لأننا نأتي الله مصحوبة بالخوف إذن؟.

ها هي تطرح في النهاية سؤالاً تجدر الإجابة عنه.

لأن جميع من قاربوا الجنس، يعرفون أنهم يتعاملون مع أمر لا يتم بكل حننه إلا عند الفنان البسيط. نحن، عندما نشاطر شخصاً السرير، لا نعطيه إلا ما يحتاجه جسداً فحسب، بل كامل كيونتنا أيضاً. فصفوة قوى الحياة تتواصل معاً، بالاستقلال عن، بحيث لا يسعنا بعدها إخفاء من نحن.

لا تهم الصورة التي يكوّنها عن نفسها. لا يهم الزّي الذي تتكرّ فيه، مهما تكن الاجوبة، الحائقة والشّرقة التي نعطيها فهي خلال الجنس، يصعب خداع الشخص الآخر، لأن كل منا يُظهر، عند هذا الحد، نفسه على حقيقتها.

تحدثت ويكا كما لو أنها تعرف هذه القوة تمام العرفة. ظهر البريق في عينيها والكبرياء في صوتها. ربما كان هذا السبب الكامل وراء استمرار جاذبيتها وقد سزت بريدنا لأن مثل هذه المرأة معلّمتها، وهي ستكتشف في يوم من الأيام سرّ ذلك السحر.

عليك أن تختبري تلك القوة قبل البدء بالتلفيق. وكل ما عدا ذلك يخص الأسرار الكبرى، وستتعرفين إليها بعد الاحتفال.

- كيف يتسنى لي إذاً أن أختبر ذلك؟

- إنها صيغة بسيطة جداً، وننائجها أكثر تعقيداً بكثير من جميع الشرائع العفدة التي علّمتك إياها حتى الآن.

تقدّمت ويكا صوب بريدنا، فأمسكت بكتفيها وحذفت إلى عينيها مطولاً،

إليك بالصيغة: استخدمي حواسك الخمس في جميع الأوقات. فإن تزامنت معها لحظة الرعدة، فسينم قبولك للتلفيق.

قالت بريدنا: لقد جئت لأعتذر.

ها هما في المكان نفسه الذي التقيا فيه من قبل، على مقربة من الصخور إلى الجانب الأيمن الذي يمكن منه رؤية الوادي من تحت.

وتابعت تقول، أفكر أحياناً في أمر وافعل غيره لكنك ستعرف كم أن الحب مؤلم إذا عانيت بسببه يوماً..

نعم أعرف، أجاب المجوسي، وهي المرة الأولى التي يبدى فيها بأي تعليق، ولو وجيز، عن حياته الخاصة.

- أنت محق في أن ليس لهالة النور هذه الأهمية كلها. وها إني اكتشفت الآن أن من الممكن أن تكون عملية البحث، في الواقع، مثيرة للاهتمام، بقدر العثور على ما تبحث عنه.

- لطالما أمكنت التغلب على مخاوفك.

- ذلك صحيح

سزت بريدنا لأنه حتى هو لا يزال يشعر بالخوف برغم معرفته كلها.

أمضيا فترة بعض الظهر يسيران عبر الغابة المكسوة بالشجج، تحدثا عن النباتات والبطر الطبيعي الساحر الذي يشاهدانه،

ويسحر عيوبهما، والطريقة التي تحوّل بها عناصيب هذه المنطقه
سبحها والتفيا في إحدى المراحل براع يركز فقطبعه عائداً إلى
النهار

صاح المجوسي، مرحباً، يا سانتياغو، ثم استند صوبها

- لله شغف خاص بالرعاة. فهم أناس تعوّدوا الطبيعة، والصمت،
والصبر، وهم يمتلكون حتى العصائل الضرورية لمساجاة الكون.

لم يسبق لهما، حتى الآن، أن ناقشا إطلاقاً مثل هذه المسائل.
لكن بربدا لم تشأ استباق اللحظة. عادت بالحديث إلى حياتها وما
يدور في العالم. أبلغتها حاستها السادسة بتعادي الإشارة إلى لوريس
لم تعرف ما يجري، كما أنها لم تدرك بعد سبب هذا الاهتمام الذي
يبديه المجوسي، لكنها احتاجت إلى إبقاء تلك الشعلة مصاة. أطلقت
ويكاً على ذلك اسم القوة الملعوبة فهي تمتلك هدفاً معيناً، وهذه
إحدى الوسائل لبلوغه.

مزا ببعض الخراف التي حضرت قوائمها أثارا غريبة في الثلج ما
من راع هذه المرة، لكن بدا أن الخراف تعرف إلى أين تذهب، ومن
الذي تبحث عنه. وقف المجوسي لفترة طويلة يراقبها كما لو أنه
يدرس سراً عظيماً من أسرار حكمة الشمس، لا يمكن بربدا
إدراكه

وعلى غرار المور الذي أخذ في الاصمحال، تلاشى الشعور بالخوف
والوجل الذي طالما انتابها وهي معه. وها هي تشعر، للمرة الأولى،
بالهدوء والثقة، إلى جانبها، لأنها لم تحتاج إلى إظهار مواهبها فهي قد
سمعت الصوت، ولم يعد دخولها عالم هؤلاء الرجال الآخرين والنساء،
سوى مسألة وقت. أصبح الرجل الذي إلى جانبها، منذ اللحظة التي
سمعت فيها الصوت، جزءاً من عالمها.

شعرت بالحاجة إلى الإمساك بيده والطلب إليه أن يظهر لها جانباً
من جوانب حكمة الشمس، تماماً كما تعوّدت أن تطلب إلى
لوريس أن يحتلها عن النجوم القديمة. إنها طريقتهما للقول لهما
بريان الأمر نفسه، ولو من زاويتين مختلفتين.

بهمس لها شيء ما بأنها تحتاج إلى هذا، وهو ليس الصوت
الغامض لحكمة القمر، بل همس قلبها المضطرب، والأحرق أحياناً
صوت لا تستمع إليه لأنها لأنه كثيراً ما قادها في طرقات لم
تتمكن من إدراكها

لكن الانفعالات هي أخصبة جامعة بالمعل تغرض الاستماع
لها وقد أطلقتها بربدا لعثرة إلى أن حل بها التعب. تخبرها
انفعالاتها كم يمكن أن تكون فترة بعض الظهر هذا فترة رائعة
لو أنها واقعة في الحب. فالمرء عندما يحب يستطيع أن يتعلم كل
شيء، ويعرف أموراً لم يجرؤ قط على التفكير فيها، لأن الحب
يحتاج فهم جميع الأسرار

استمرت سياريوها غرامية مختلفة تنصن المجوسي قبل أن
تستعيد أخيراً السيطرة على ذاتها ثم قالت هي نفسها إنها لا
تستطيع أبداً حب رجل مثله، فهو يفهم الكون، والمشاعر الإنسانية
تبدو كأنها صغيرة عندما يُنظر إليها من بعد.

بلغا آثار كميسة دير قديمة. جلس المجوسي على واحدة من
الحكّات الكثيرة من الحجارة المصونة المبعثرة على الأرض، وأرالت
بربدا الثلج عن أسكفة نافذة عريضة.

قالت، لا بد من أن الإقامة هنا جيدة، قضاء النهار بطوله في
الغاية، ثم العودة إلى النوم في منزل لطيف، ونافق.

- نعم، هذا جيد. أعرف أغاني مختلف أنواع الطيور، ويمكنني قراءة آيات الله وقد تعلمت حكمتي الشمس والعمى.

وأراد أن يضيف، لكنني وحيد، ولا معنى لفهم الكون بأسره إذا كان المرء وحيداً.

ها إن نضعه الثاني جاثم على أسكفة البافدة. أمكنته رؤية هالة البور فوق مكتبها اليسرى، وبدم بشدة على تعلمه الحكمتين، لأنه، لولا هالة البور هذه، لوقع في غرامها.

وفكر، إنها ذكية أحشت بالخطر باكراً، ولا تريد الآن معرفة المزيد عن هالات البور.

- سمعت الصوت، ويككا بالفعل معلمة ممتازة.

إنها المرة الأولى التي تثير فيها موضوع السحر في فترة بعد ظهر ذلك اليوم.

- سيُعلمك الصوت أسرار العالم، الأسرار المسجونة في الرمان، وتتدافلها الساحرات من جبل إلى جبل.

تحدث من دون أن يستمع فعلاً إلى ما يقوله. حاول أن يتذكر متى التقى للمرة الأولى توأم روحه الأناث الوحيدون يفقدون أي أثر للوقت. ساعاتهم مبددة وأيامهم لا تنتهي. وهو يعلم بأنهما، برغم ذلك، التقيا مرتين من قبل. ويريدنا نتعلم بسرعة كبيرة.

أعرف الشعائر، وسيتم الهدء بتلقيني الأسرار الكبرى في الاعتدال الربيعي.

وها هي تشعر بالتوتر من جديد

لكن يوجد أمر واحد لم أختبره بعد، القوة التي يعرفها الجميع ويبجلونها، كما لو أنها سحر.

أترك المجوسي أن سبب مجيئها بعد ظهر ذلك اليوم، ليس السير بين الأشجار وركب مجموعتين من آثار الأقدام في الثلج، آثار أقدام تتقارب، في كل دقيقة، أكثر فأكثر

قلبت يريدا ياقة سترتها لحماية وجهها، وهي غير متأكدة إن كان السبب هو أن البرد أخذ في الاشتداد عند توقفهما عن المشي، أو لأنها تحاول أن تخفي توترها

وقالت أخيراً، أريد أن أتعلم كيف أوقف قوة الجنس من خلال الحواس الخمس. لن نتحدث ويككا عن ذلك. تقول إنني سأكتشفه تماماً كما اكتشفت الصوت.

جلسا لبضع دقائق صامتتين. وتساءلت إذا كان عليها حتى أن نتحدث في مثل هذا الأمر في خرائب الكنيسة ثم تذكرت وجود سبل عدة لاستخدام القوة. وقد استخدمها الرهبان الذين عاشوا هنا من خلال التعفف، وسبهمون ما تعبوا

حاولت بجميع الوسائل. اعتقد أن من المحتم وجود طريقة، مثل خدعة الهاتف، تجعلني أرى حقيقة ورق لعب التنبؤ بالمستقبل إنه أمر لا تريد ويككا بالفعل، أن تعلمني إياه. أطر أنها لقيت صعوبة كبيرة جداً في تعلمه، وتريدني أن أختبر الصعوبات نفسها.

- ألهذا جئت تبحثين عني؟

بظرت يريدا في أعماق عينيها، وقالت:

- نعم.

أملت أن تقنعه إجابتها، إلا أنها لم تعد متأكدة من أي شيء. فالسير عبر الغابة الثلجية، وصوء الشمس على الثلج، والمحادثة السهلة حول أمور العالم العادية، كلها جعلت لمعالاتها تبدو مثل أحصنة

جامعة. وعليها أن تصنع نفسها من جديد بأنها هناك لسبب واحد فقط، وستصل إلى هدفها بأي وسيلة ممكنة، لأن الله كان امرأة قبل أن يصبح رجلاً.

بهض المجوسي عن حكومة الحجارة التي جلس عليها، وسار صوب الجدار الوحيد الذي لم يتنازع إلى رحاكم. يوجد باب في وسط الجدار، وقف مستنداً إليه. أناره ضوء شمس النساء من الورد بحيث لم نستطع بريدا أن نرى وجهه

قال، «يوجد أمر واحد لم تعلمك إياه وبهكما. ربما نسيت ذلك، لو لعلها أراذك أن تكتمليه وحلك.

«حسناً، ها أنا، وحدي.

وتساءلت في نفسها إذا لم تكن حطة معلمتها تفصي في الأساس، بجمعها مع هذا الرجل.

قال أخيراً، سأعلمك، تعالي معي.

أشجار الحكار الذي سارا إليه، أكثر ارتعاعاً، وجنورها أشد سفكاً. لاحظت بريدا أن لبعضها سلاله خشبية مربوطة بالجدوع وعند أعلى كل سلم، يوجد ما يشبه الكوخ

فكرت، لا بد من أنه المكان الذي عاش فيه نساك حكمة الشمس.

شرعت في التسلق. وشعرت، في منتصف الطريق، بالخوف لأن أي سقطة ستكون قاتلة. لكنها قررت المضي، فهي في مكان مقدس، تحميها فيه أرواح الغابة. لم يسألها المجوسي إذا كانت تريد القيام بذلك، وربما هذا غير ضروري في حكمة الشمس.

أطلقت تنهيدة عميقة لدى بلوغهما القمة، لأنها فهرت مزة أخرى أحد مخاوفها

- «هذا مكان جيد لتعلمك الطريق، قال، «مكان للمكمن.

- المكمن؟

- يستخدم الصيادون هذه الأكواخ عليهم أن يسكوبوا على ارتفاع كبير حتى لا تشتت الحيوانات رائحتهم. ويتركون، خلال السنة، طعاماً على الأرض لتتعود المحي، إلى هنا فيقتلوها في يوم من الأيام.

لاحظت بريدا رصاصات فارغة على الأرضية، وأصيبت بصدمة.

قال، انظري إلى أسفل.

بالكاد يتسع المكان لشخصين، ويكاد جسده يلامس جسدها.
فعلت ما طلبه إليها لا بد من أن الشجرة واحدة من أطول الأشجار،
لأنها استطاعت رؤية رؤوس الأشجار الأخرى، والوادي، والجبال العظيمة
بالثبج في الأفق. المكان جميل هناك، ولم يكن في حاجة إلى
التفوه بما قامه عن أن المكان مكن.

رفع المجوسي السقف المصنوع من الحيش، وامتلأ الكوخ فجأة
بصوت الشمس. الطقس بارد. بدا لبريد أنهما في مكان سحري في
قمة العالم. اضطرت إلى السيطرة على انفعالاتها التي أرادت أن
تطلق من جديد.

قال المجوسي، لم أحتج إلى الحية بك إلى هنا لأشرح لك ما
تريد من معرفته. لكسبي وندت أن تفهمي البريد عن هذه الغابة
أحيى في الشتاء، عندما يكون كل من الصياد والطريدة بعيداً،
فأنتسقي هذه الأشجار وأتأمل الأرض.

أرادها أن تشاركه في عالمه. شرع الدم يجري بسرعة أكبر في
عروق بريد. شعرت بخلو البال وهي متغمسة في واحدة من
هيبات الحياة تلك، حيث فقدان السيطرة هو البديل الوحيد
الممكن.

بقية علاقتنا بالعالم من خلال حواس الخمس والانغماس في عالم
السحر يعني اكتشاف حواس أخرى غير معروفة، والجس يلفها
في اتجاه باب واحد من تلك الأبواب.

شرع الآن في التحنث بصوت أكثر ارتفاعاً. بدا أشبه بمعظم
يشرح أمثلة في علم الأحياء فكّرت في نفسها، من دون أن تقنع،
«ربما كان من الأفضل هكذا».

- لا يهم إذا كنت تسعى إلى الحكمة، أو إلى اللذة، من خلال
قوة الجنس، لأنها تجربة ستبقى على الدوام كلية، لأنها التجربة
الوحيدة التي تلامس - أو يجب أن تلامس - الحواس الخمس دفعة
واحدة عندما تكون قبواتها كلها مفتوحة على مصراعها مع
الشخص الآخر.

تختفي الحواس الخمس لحظة ذروة الجماع، وتدخلين عالم
السحر، وتفقدن القدرة على الرؤية والسمع والتذوق واللمس أو
الشم. يختفي كل شيء، خلال تلك الثواني الطويلة، وتحل محله
النشوة. إنها النشوة نفسها التي يبلغها المتصوفة بعد سنوات من
التجرد والترويض.

أرادت بريد أن تسأل عن سبب عدم محاولة الصوفيين بلوغها عبر
ذروة الجماع، لكنها تذكرت أن بعضهم يتحدثون من الملائكة.

«الحواس الخمس هي التي تدفع الناس إلى بلوغ هذه النشوة.
وعندما جرى تحفيز هذه الحواس كان الدافع إلى النشوة أشد،
وكانت النشوة أقوى. هل تفهمين؟».

هزت برأسها موافقة، فهي تفهم بالتأكيد. لكن السؤال ترك
مشاعرها أكثر تباعداً. تمنّت لو أنه لا يزال يتمشى في الغابة إلى
جانبها.

«هذا كل ما في الأمر».

«أعرف ذلك كله، لكنني ما زلت لا أستطيع القيام به». لم
تجرؤ بريد على ذكر لوريس. شعرت بأن ذلك سيكون خطراً.
«قلت لي بوجود وسيلة لبلوغ ذلك».

لها مصطربة ومفرعة، وقد أخذت انفعالاتها تتمرد وتخرج عن
السيطرة.

تطلّع الجوسي من جديد إلى الغابة من تحته. تساءلت بريدا إذا كان هو أيضا يتصارع مع انفعالاته، لكنها لم ترد الاعتقاد بما تفكر فيه، ولا ينبغي لها أن تفعل ذلك.

عرفت ما هي حكمة الشمس، وأن معلّمها يعلمون غير المكان والزمان. وقد سبق لها أن فكرت في ذلك أولاً، قبل أن تسعى إلى العثور عليه. تخيلت أنهما قد يصبحان في يوم من الأيام معاً، على غرار حالتها الآن، من دون أي شخص آخر في الجوار. هذا ما هم عليه معلّمو حكمة الشمس، يعلمون يوماً من خلال الفعل ولا يعطون للنظرية اهتماماً أكثر مما تستحق. فكرت في ذلك كأنه قبل أن تأتي إلى الغابة وبرغم ذلك جاءت لأن لطريقتها الجديدة أهمية تفوق أهمية أي شيء آخر فقد أرادت مواصلة حكمة حيواناتها المتعددة.

لكنه شرع الآن ينصرف كويحكا التي نتحدث عن الأمور فحسب.

قالت: «علمني».

أخذ الجوسي بحلق في الأغصان العارية المغطاة بالثلج استطاع، في تلك اللحظة، أن يدس أنه العلم ويصبح مجرد مجوسي، وبصير رجلاً مثل بقية الرجال. يعرف أن توأم روحه هما أمامه استطاع التحدث عن هالة الضوء التي هي وسعه رؤيتها، وسيكون عليها أن تصنّفه، فيتم اللقاء من جديد بينهما وهي حتى لو غادرت باكية، ستعود في النهاية، لأنه يقول الحقيقة تحتاج إليه بقدر ما هو في حاجة إليها. حكمة توأم الروح، يتعزف دائماً أحدهما إلى الآخر.

لكنه معلّم، وقد أقسم، في أحد الأيام في قرية إسبانية، يمينا

مقنعة ألا يجبر العلم شخصاً آخر أبداً على اتخاذ خيار ارتكب هذا الخطأ سابقاً، وهو بسبب ذلك أمضى تلك السنوات كلها منفيًا عن العالم. الأمر مختلف الآن، إلا أنه لا يزال يمنع عن ركوب المخاطرة. وفكر للحظة، «يمكنني التخلي عن السحر من أجلها»، إلا أنه سرعان ما أدرك حماقة تلك الفكرة. الحب لا يحتاج إلى هذا النوع من التخلي. يسمح الحب الحقيقي لكل شخص بسلوك طريقه الخاصة، وهو مدرك أنه لن يفقد الاتصال أبداً بتوأم روحه.

عليه أن يصبر، وأن يتذكر أناة الرعاية، ويعرف أنهما، عاجلاً أم آجلاً، سيصبحان معاً. هذه هي سنة وجودهما. وقد آمن بها طوال حياته.

قال أخيراً، وقد سيطر على انفعالاته، «ما تطلبينه إلي سهل للغاية، انتصر الانتقام».

«ناكدي» عندما تلمس يدي الشخص الآخر، من أن حواسك كلها تعمل لأن للجسد حياة خاصة به. ما إن تبديني حتى تفقدني كل سيطرة. فهو يسيطر عليك. وسيفنى، إلا إذا جلبت إليه مخاوفك، ورغباتك، وأحاسيسك. فهذا هو السبب الذي يجعل الناس عاجزين. خذي معك إلى السرير، عندما تمارسين الجنس، حبك وحده وحواسك الخمس كلها عندها فقط ستختبرين مناجاة الله.

تطلّعت بريدا إلى الرصاصات الفارغة على الأرض. لم تخنّها مشاعرها ولو للحظة. تعرف الآن الطريقة المثلى، وقالت في نفسها إن هذا هو كل ما هي مهتمة به.

ذلك كل ما يمكنني أن أعلمك إياه

لم تتحرك. لقد ندى الصمت إلى ترويض الأحصنة الجامحة

«تنفسي على نحو عميق وهادئ سبع مرّات متتالية، وناكدي
من أن حواسك كلها تعمل قبل أن يحدث أي احتكاك جسدي
ونعي الأمور تتخذ مجراها».

إبه معلم حكمة الشمس. وقد نجح في اختبار آخر. فتوأم
روحه تعلمه أشياء أيضاً

«حسناً، لقد أريتك متعة. لمطر من هنا العجان الارتفاع بعكسها
النزول الآن».

www.dewcity.com
By Dalvia

جلست مشوّشة الدهر، ترافق الأولاد يلعبون في الساحة. أخبرها
أحدهم مرّة أن لكل مدينة، مكانها السحري، مكان يذهب إليه
عندما تريد أن تعكّر جنباً في الحياة وقد شكّلت تلك الساحة
«مكانها السحري» في دبلن. وهي تقع على مقربة من الشقة التي
استأجرتها أوّل مجيئها، وقد امتلأت بالأحلام والتوقعات. قصت
خطتها في ذلك الوقت بأن تلتحق بمعهد الثالوث الأقدس لتصبح في
مال الأمر أستاذة في الأدب. وقد تعوّدت قضاء الكثير من الوقت
على ذلك المقعد، تكتب الشعر وتحاول التصرف على غرار معبوداتها
الأدبية

لكن المال الذي أرسله والدها لم يكف، واضطرت إلى شغل
وظيفة في شركة الاستيراد والتصدير التي تعمل فيها الآن. لم
تبال، فهي سعيدة بما تفعله، وشكل عملها في الواقع وحداً من
أهم الأمور في حياتها لأنه يصمي إحساساً بالواقع على كل شيء،
ويمنعها من الإصابة بالجنون، وسمح لها بالحفاظ على توازن معين
بين العالمين المنظور واللامنظور.

واصل الأولاد اللعب وقد أخبروا جميعهم مرّة، مثلها، روايات عن
جنيات وساحرمت، أرفعين الأسود بالكامل، وقد من الفتح السمووم إلى
فتيات مسكبيات صغيرات تائهات في الغابة لا يستطيع أي من
هؤلاء الأولاد أن يحيل أن ساحرة حفيضة، حية، تشاهدهم الآن
يلعبون.

طلبت إليها ويكاف، بعد ظهر ذلك اليوم، أن تجزب تمريناً لا يمتك
بصلة إلى حكمة القمر، تمريناً مفضلاً لكل من يرغب في إبقاء
الجسر مفتوحاً بين العالمين النطور واللامنطور.

إنه تمرين على درجة كبيرة من السهولة. عليها أن تعتمد
ونسترخي، وتختل واحدة من مناطق التسوق الرئيسية في المدينة
ثم، عليها أن تركز في واجهة محددة لأحد المتاجر، وتلاحظ كل
تفصيل موجود في الواجهة، ومكانه، وكيف يبلغ ثمن كل سلعة
من السلع. وعليها، حين تنتهي من التمرين، أن تذهب إلى الشارع،
وتؤكد إذا كانت محقة أم لا

وها هي الآن في الساحة تشاهد الأولاد عانت للنو من المتجر،
وكانت واجهته كما تخيلتها تماماً وتساءلت إن كان هذا حقيقة
تمريناً للأشخاص العاديين، أم أن أشهراً من تدريباتها كساحرة
ساعت في ذلك. لن تعرف أبداً.

لكن شارع التسوق الذي تخيلته كان قريباً جداً إلى مكانها
السحري. وفكرت في أن لا شيء يقع مصادفة، وقد تكدر قلبها
في شأن مسألة لم يمكنها حلها. هي الحب. إنها تحب لورنس، وهي
متأكدة من ذلك. عرفت أنها حين تبرع في حكمة القمر، سوف
تري حالة السور فوق مكتبه اليسرى. فعندما ذهباً معاً، بعد ظهر
أحد الأيام، إلى مقهى لتناول فنجان من الشوكولاتة الساخنة على
مقربة من البرج الذي أوحى برواية «وليسز» لجهنم جويهر،
شاهدت ذلك الضوء الخاص في عينيه.

الجوسي على حق. فحكمة الشمس هي طريق كل شخص،
وهي موجودة ليمك رمورها كل من يعرف نعمة الصلاة والصبر،
ويريد أن يتعلم ما لديه ليعلم غيره إياه. وهي كلما نفمست في
حكمة القمر، أدركت حكمة الشمس وأعجبت بها

الجوسي إنها تفكر فيه من جديد. هذه هي المشكلة التي
عانت بها إلى مكانها السحري. فهي غالباً ما فكرت فيه منذ
بدايتها ككوكب الصيادين. وهي ترغب في أن تكون هناك الآن باللات
تتمكن من أن تخبره عن هذا التمرين الأخير، لكنها تعرف أن
هذه ليست إلا ذريعة. فما تريد فعله هو أن يدعوها إلى الذهاب في
رحلة جديدة أشبه برحلة في الغابة. وهي متأكدة من أنه سير
رؤيتها، وقد شرعت في الاعتقاد، لسبب غامض ما، لم تجرؤ حتى
على التفكير فيه، أنه هو أيضاً يستمتع برفقتها

فكرت في نفسها وهي تحاول أن تسرع الجوسي من رأسها، في
بها عبتاً تحاول، وسرعان ما سيعود، وهمست في سزها كمر
تخبط نفسها على «كبرها النقي»، لظلالا كانت لي مخيلة نبرة.

لم تشأ الاستمرار في أن تهجس فيه. فهي امرأة نالغ أعراض
لوقوع في الحب، وعليها الآن أن تتعاده مهما يكن الثمن فقد
حنت لورنس، وتريد للأمور أن تستمر على ما هي عليه. لقد نفتر
عالمها أكثر مما يجب.

بصف ساعة ما يسميه السكان المحليون «الأجرام»، وهو كناية عن قطعة باردة من التوتوت الصخرية التي تسقط في احتار شديد في البحر يوجد ممر لسلوكه، وسوف يستطيعان، حتى بمشية متمهلة، أن يكملوا الدرب كلها في أقل من أربع ساعات، فيتمكنا من اللحاق بالحافلة العائدة إلى دبلن.

ابتهجت بريدا بالنظر من فوق. لطالما وجدت صعوبة في تحفل فصل الشتاء. لا يتعلق الأمر بالانفعالات التي قد تحدث لها الحياة بها فكل ما تفعله هو الذهاب إلى العمل بهرا، والجامعة في المساء، والسببما في نهايات الأسبوع وأنت، بحكم الواجب، الشعائر والرفصات التي علمتها إياها وبكا، لكها شعرت بنوق إلى الخروج إلى العالم، ومشاهدة بعض الطبيعة، والتمتع بها.

الطقس مكفهز والفيوم شديدة الانخفاض، لكن النمرين البدي وكؤوس الويسكي المتتالية، ساعدت على درء البرد. المر أصبق من أن يتمكنا من السير فيه جنباً إلى جنب فمضى لورنس في الطبيعة، وتبعته بريدا متأخرة عنه بعض الشيء بصعب الحديث في مثل هذه الظروف، إلا أنهما تبادل بعض الكلمات، بما يكفي للشعور بتقاربهما، والتمتع بالطبيعة من حولهما.

سرحت عيناها، وهي تتأمل بافتتان الأولاد في المنظر الطبيعي الساحر الذي يكاد يخلب قلبها وروحها لا بد من أنه ذاته، لم يتغير كما كان منذ آلاف السنين، في عصر لم يكن فيه لا مدن، ولا مراهق، ولا شعراء، ولا نساء شابات يشدن حكمة القمر. يومها، لم يوجد سوى الصخور، والأموج المتكشرة، وطيور البورس تحلق تحت الفيوم المنخفضة استرقت بريدا، بين القبة والقبعة، المنظر إلى الهوة، وشعرت ببعض النوار البحر يقول أشياء لم تستطع

هاتفها لورنس صبيحة يوم السبت.

قال: «لنذهب ونتمش على طول الجرف».

حضرت بريدا بعض الطعام، وتحفلاً معاً مشقة الرحلة الطويلة في حافلة غير ملفة كما ينبغي لحافلة مثلها أن تكون. واستمرتا تسعهما فرصات البرد حتى بلغا القرية قرابة منتصف النهار.

شعرت بريدا بالإثارة. لقد قرأت الكثير في سنتها الأولى، كطالبة أدب في الجامعة، عن الشاعر الذي عاش هناك. رجل غامض يعرف الكثير عن حكمة القمر، كان عضواً في جمعيات سزية، وترك في كتبه رسالة خفية لأولئك الذين يتوحدون الطريق الروحية. اسمه و. ب. بيتس. وقد تذكرت بيتين من الشعر له بدا أنهما وصفا خصيصاً بذلك الصباح البارد مع طيور البورس تحلق فوق المراكب الراسية في الميناء الصغير.

«نرت أحلامي تحت قدميك»

امشي بلطف لأنك تخطين على أحلامي.

توجها إلى الحانة الوحيدة الموجودة في القرية، تناولوا كؤوس الويسكي تباعاً لينت، ثم انطلقا فسحت الطريق الصغيرة المرصوفة بالحصى والمعبدة بالرفق، المجال أمام صعود شاق، حتى بلغا بعد

فهمها، وطيور النورس ترسم أنماطا لا تستطيع متابعتها وها إنها.
برغم ذلك، تنظر إلى ذلك العالم البدئي كما لو أن حكمة الكور
الحقيقية موجودة هناك، وليس في أي من الكتب التي قرأتها، أو
الشعائر التي مارسناها ومع ابتعادهما عن الدنيا، أخذت أهمية كل
شيء آخر في التصاؤل، أحلامها، حياتها اليومية، بحثها. لم يعد
يوجد سوى ما أسمته ويك، توقيع الله.

لم يبق من قوى الطبيعة المحض إلا تلك اللحظة البدائية، وذلك
الشعور بكونها، بلحمها ودمها، في صحبة شخص تحبه

توسعت الطريق فجأة بعد نحو ساعتين من السير، وقررا الجلوس
معا للراحة لا يمكنهما التوقف طويلا فسرعا ما سيصبح البرد
لا يحتمل، وعبيهما متابعة السير، لكنها شعرت بالحاجة إلى قضا،
بضع دقائق إلى جانبه، سارحة في الغيوم والسما، ومصغية إلى
صوت هدير البحر

أمكن بريدا أن تشم هواء بحريا، وتشعر بطعم الملح في فمها
اتكأت بوجهها على سترة لورنس علها تستمد منه بعض الدفء،
وتبث في روحها بعضاً من حرارته إنها لحظة امتلاء عطشى
وحوسها الخمس كلها تعمل

نعم، حواسها الخمس تعمل بضافتها كلها

فكرت لبرهة في المجوسي ثم مكثت فكل ما تهتم به الآن
هو تلك الحواس الخمس التي يجب أن تستمر في العمل إنها اللحظة
المناسبة

- أحتاج إلى الحديث معك، يا لورنس.

ثمتم لورنس شيئاً لم تدرك كنهها، ولا مغزاها، لكنه شعر
بالخوف في قلبه أدرك، وهو يورع بظراته بين الغيوم فوق، أو الهود

تحت، أن تلك المرأة هي أهم شيء في حياته، وسر أمنائها الآن، وأنها
التفسير، والسبب الوحيد لوجود تلك الصخور، وتلك السما، وذلك
الشتاء. وما هم، لو أنها لم تكن معه هنا، ولو أن جميع ملائكة
السما هبطت لتواسيه، لأن الجبة ستصبح بلا معنى

قالت بريدا بلطف، أريد أن أقول لك إنني أحبك، لأنك أظهرت
لي بهجة الحب.

شعرت بالامتلاء والاكتمال، كما لو أن البطر الطبيعي كله
يتغلغل في روحها أخذ يداعب شعرها. باتت متأكدة من أنها، إذا
ركبت الجارفة، فستختبر الحب كما لم تختبره من قبل

قبلته بريدا. شعرت بطعم فمه، وبلمس لسانه. كانت على
درجة بكل حركة يقوم بها، وأحست بأنه يشعر بالشيء ذاته
تماما، لأن حكمة الشمس تكشف عن نفسها دوماً لمن ينظرون إلى
العالم كما لو أنهم يرونه للمرة الأولى.

- أريد أن أمارس الحب معك يا لورنس، هنا بالذات.

مزت أمور مختلفة سريعاً في ذهنه: إنهما في مكان عام، وقد
يمر أحد بهما، وقد يراها شخص آخر فيه ما يكفي من الجيوب
لربارة هذا المكان في عز الشتاء، لكن من هو على مسك كاف من
الجيوب سوف يفهم أيضاً أنه لا يستطيع إيقاف بعض القوى ما ين
يتم تحريكها

نم بله تحت كمرتها وداعب نهدجها. سلمت بريدا بنفسها
بالكامل. ولجت قوى العالم حوسها الخمس التي أخذت في التحول
إلى طاقة ساحقة. تملأ على الأرض بين الصخور، بين الهوة والبحر،
بين حياة طيور النورس المعلقة من فوق وموت الصخور من تحت،
وشرعا، من دون خوف، في ممارسة الحب لأن الله يحمي الأبطال

لم يعودوا يشعرون بالبرد. دماؤهما تنساب بسرعة في عروفيهما إلى حد أنها انترعت بعضاً من ثيابها، وكذلك فعل هو. اختفى أي ألم، شئت الركبتان والظهر إلى الأرض الصخرية، وقد أصبح ذلك جزءاً من لئهما، ومكماً لها. عرفت بريدنا أنها على مشارف هزة الجماع، لكنه لا يزال شعوراً بعيداً جداً لأنها ما زالت مرتبطة بالكامل بالعالم. امتزج جسدها وجسد لورنس بالبحر والصخور، بالحياة ولوت. بقيت لما أمكن من الوقت في تلك الحالة، بينما بعض منها يعي على نحو غير واضح أنها تقوم بأمر لم يسبق لها أن مارسته من قبل. ما تشعر به الآن، هو إعادة لم شتات نفسها مرة أخرى، ومعنى الحياة. إنها عودة إلى جنة على. إنها اللحظة التي أعاد فيها آدم استيعاب حواء في جسده، ليستعيد الصغار عملية الخلق الأولى.

فكنت في النهاية السيطرة على العالم من حولها، وبدا أن حواسها الخمس أقلنت من عقالها وهي لا تتمتع بما يحكي من القوة للإمساك بها. أطلقتها، كمن أصيب بصاعقة مقدسة، واختفى العالم. وظهور النورس، وطعم الملح، والأرض الصلبة، ورائحة البحر، والغيوم. وظهر مكبها ضوء، نهبي كبير أخذ يكبر فيكبر إلى أن لامس أبعد نجم في المجرة.

عانت من تلك الحالة بالتدريج، وعاد البحر والغيوم إلى الظهور. لكن كل شيء امتلاً بإحساس عميق من السلام، سلام كوكب أصبح، ولو للحظات، قابلاً للتفسير، لأنها في معاجاة مع العالم، كشفت جسراً آخر يجمع بين العالمين المطور واللامطور، ولن تسمى بعد الآن أبداً الطريق التي أوصلتها إليه.

اتصلت بويكا هاتميا في اليوم التالي وأخبرتها بما حدث. ببرهة لم نقل ويكا شيئاً.

ثم نطقت أخيراً، «نهائي، لقد قمت بالأمر».

شرحت لها أن قوة الجنس ستدخل من الآن فصاعداً تغييرات عميقة في الطريقة التي ترى فيها العالم وتختبره.

- ها أنت جاهدة الآن لاحتفال الاعتدال. يبقى أمر واحد فقط.

أمر واحد آخر؟ لكك قلب إن هذا هو الأمر فحسب.

- إنه على درجة كبيرة من السهولة. عليك فقط أن تحلمي بالنوب الذي سترتدينه في ذلك اليوم.

- وماذا لو لم أستطع

- ستفعلين. فقد أنجرت الجراء الأكثر صعوبة

غيرت عندها الموضوع، على جري عاندتها أبلغت بريدنا أنها شترت سيارة جديدة، وتحتاج إلى التسوق، فهل ترغب في الذهاب معها؟

اشعرت الدعوة بريدنا بالاعتزاز، وسألت المسؤول عنها إذا كان في وسعها مغادرة العمل باكراً. إنها المرة الأولى التي تظهر لها ويكا فيها نوعاً من الودعة، ولو تعلق الأمر بدعوتها إلى الانضمام إليها في

رحلة تسوق. عرفت أن كثيرا من تلامذة ويكا الآخرين يوتون لو أنهم مكانها

قد تكون فترة بعد الظهر هذه ستتيح لها الفرصة كي تظهر لويكا كم أنها مهمة لها، وكم تتحرق لتصبح صديقتها بصعب على بريدا الفصل بين الصداقة والبحث الروحي، وقد جرححت لأن معلمتها لم تبد قط، حتى الآن، أدنى اهتمام بحياتها الخاصة. لم يذهب الحديث بينهما قط إلى ما هو أبعد مما تحتاج بريدا إلى معرفته، لتتمكن من العمل من خلال حكمة القمر

استطرت ويكا، في الساعة الحثدة، داخل سيارة أمزجي، مكشوفة حمراء، وقد رفعت سقفها سيارة كلاسيكية بريطانية، محفوظة في شكل جيد، هيكلها ناع، ولوحة أجهزة القياس الخشبية فيها مصقولة لم تجرؤ بريدا حتى على الخاطرة في تخمين كم قد يبلغ ثمنها أفرعتها بعض الشيء فكرة أن تمتلك ساحة مثل هذه السيارة الباهظة الثمن، وهي التي سمعت في طفولتها، قتل من تعرف أي شيء عن حكمة القمر، جميع أنواع الحكايات عن ساحرات يرتبطن بعهود مريضة مع الشيطان لقاء المال والسلطة

سألت وهي تلدف إلى الداخل، ألا تشعر القيادة، عندما يكون سقف السيارة مكشوفاً، بالبرد بعض الشيء؟

اجابت ويكا، لا يمكنني أن أنتظر حتى الصيف. لا أستطيع أنسي، منذ زمن بعيد، أنحرق شوقاً إلى الذهاب في رحلة كهذه

ذلك جيد. فهي، أقله في هذا، تحسب بأنها تشبه أي شخص طبيعي آخر

جالتنا عبر الشوارع، وبالتنا نظرت الإعجاب من مارة أكبر سناً، وبعض صافرات الإعجاب والثناء من الرجال.

قالت ويكا، إن قلقك من عدم قدرتك على الحلم بالثوب هو علامة جيدة. لكن بريدا كانت قد نسيت أمر حديثهما الهاتفي.

- لا تتخلي أبداً عن الشك، لأنك تتوقفين بذلك عن الضي قدماً، فيدخل الله عند هذا الحد ويسحب البساط من تحت قدميك، وهي طريقته في السيطرة على مختاريه ليتأكد من أنهم سيتبعون دوماً، حتى النهاية، طريقهم المحددة. وهو يجبرنا على المضي إذا لم نعد لأي سبب كان. برصي بأن يقع فريسة أوهامنا، ونحن نعتقد مخطئين، بلنا نحور ما يكفي من العرفة، أو أن نصمت إلى أن ذلك سوف يخبثنا

بيد أن عليك أن تحترسي من أن تدعي الشك بشك. اتخذي دوماً القرار الذي تحتاجين إلى اتخاده إليه، ولو أنك غير متأكدة من قيامك بالصواب. لن تخطئي أبداً إذا أبقيت في ذهنك، لدى اتخاذك قراراً، ما، مثلاً ألسياً قديماً تبئنه حكمة القمر، الشيطان يسكن في التفاصيل. تذكرني هذا المثل، وستتمكنين دوماً من تحويل القرار الخاطئ، إلى رأي سليم.

توقفت ويكا فجأة خارج مراتب.

وقالت، ثمة أيضاً تظهر مرتبط بهذا المثل. هو لا يهت لنجلتنا إلا عندما نحتاج إليها. فانا قد ابتعت للنو هذه السيارة، والشيطان موجود في التفاصيل.

ترخلت من السيارة فور توجهه الميكانيكي صوبها

«هل الغطاء مكسور يا سيدتي؟»

لم تتكلف ويكا عناء الجواب طلبت إليه أن يفحص السيارة،
في حين جلست السيلتان في مفهى عند الطريق وناولتا
الشوكولاتة الساحبة.

«راقبي ما يفعله الميكانيكي» قالت ويكا وهي تنظر صوب
المرآب. فتح غطاء السيارة، ووقف يحنق إلى المحرك دون أن يأتي ولو
بحركة واحدة.

«إله لا يلمس أي شيء، ينظر فقط، يقوم بهذا العمل منذ سنوات،
ويعرف أن السيارة تنحنت معه بلغة خاصة. تصوّرني أن حنسه هو
الذي يعمل الآن. وليس عقله..»

نوجه الميكانيكي فجأة، إلى قطعة محددة في المحرك، وشرع
يعمل عليها.

فتابعن ويكا، «لقد وجد العثة. لم يصح أي وقت سدى، لأن ثمة
تواصل تام بينه وبين السيارة. فكل ميكانيكي جيد تعرفت
إليه، يعمل على هذا الدوال.

«كذلك الميكانيكيون الذين عرفتهم، فكرت بريندا، لكنها
افتترصت دوماً أنهم يتصرفون على هذا النحو، لأنهم لا يعرفون من
ليس يبدأون. لم تلاحظ قط أنهم يشرعون دوماً في المكان الصحيح.

«لماذا لا يحاولون فهم مسائل الكون الأساسية لو أن في حياتهم
حكمة الشمس؟ لماذا يفضلون إصلاح السيارات، أو العمل في حانات
يقدمون فيها القهوة؟»

«وما الذي يجعلك تعتقدين أننا، بتكرسنا هكذا للسحر، نفهم
العالم أفضل من الآخرين؟»

«لدي كثير من التلاميذ، وجميعهم أشخاص عاديون بامنيار.

يكون في السيماء، ويقلمون لتأخر أولادهم في العودة إلى المنزل،
برغم أنهم يعرفون أن الموت ليس النهاية. ليست ممارسة السحر إلا
طريقه للتقرب من الحكمة المطلقة، وسيقودك كل ما تعلميه إلى
هناك ما دمت تعملين بقلب مضغ بالحبه في استطاعتنا، نحن
الساحرات. أن نخطب روح العالم، وأن نرى علامة النور فوق الكيف
اليسرى سوام روحنا، ونأمل اللامتتهى من خلال توهج شمعة
وصمتها، لكما لا نفهم أمراً واحداً، لنا يمكن بسيط، في محركات
السيارات. هل لك أن تتخيلي ذلك. ولسنا وحدها. كذلك
الميكانيكيون أيضاً يحتاجون إلينا بالقدر الذي نحتاج إليهم به.
يجدون جسرهم المضي إلى العالم الخفي في محرك سيارة، بينما
نعثر عليه نحن في حكمة القمر، لكن الجسر يربطنا في النهاية
بالعالم اللامنتور ذاته.

«أدي دورك، ولا تقلقي في شأن ما يفعله الآخرون. أمي بان الله
يحدثهم، وأنهم منخرطون، بفكرك، في اكتشاف مغرى الحياة.

عادتنا إلى المرآب الميكانيكي بفم متباهبا بأنه كشف سر عقل
السيارة. أخبرهما أن لنوبيا واحداً في محركها كان على وشك
الانفجار، ولو انفجر، لورطهما حبهما في مشاكل خطيرة لا أول لها
ولا آخر.

ماحكته ويكا بعص الشيء، في شأن أجرته، لكنها فرحت
كثيراً لأنها تذكرت اللؤلؤ.

توجد كلمات هي أي لعه لوصفها وربما استطعت القول إني أمتلك المعرفة الصامنة للرحلة التي جاءت بالجنس البشري إلى حيث هو الآن.

لكنني بسبب معرفتي هذا كله، وأنني معلمة، أعلم أيضاً بأننا لن نترك أبدا الغاية من وجودنا. قد نعرف كيف وجدنا هنا، ونحن، ومتى، لكن ستبقى الـ «لماذا» المحيرة، دوماً سؤالاً بلا جواب. وحده باري الكون الأعظم ومهندس يعرف هدفه الرئيسي، ولا أحد سواه.

ساد حينها للمحطات صمت مهيب عادت ويكنا لتقطع «قنسيته».

«أنا بالذات، ونحن نتناول الطعام، بكافح 99 في المئة من سكان هذا الكوكب، بطريقتهم الخاصة، مع هذا السؤال المحير بالذات، ما هي غنة وجودنا؟ ويعتقد أكثر منهم أنهم وجدوا الجواب في الدين، أو في المادية وبناس غيرهم ويصرفون حياتهم ومالهم في محاولة للإحاطة بمعنى ذلك كله قلة فقط تترك السؤال يمضي في حال سبيله، بلا جواب، وهي تعيش للحصتها ولا يعسبها من حياتها أكثر من ذلك، بخص الضر عن النتائج والانعكاسات.

«وحنهم الشجعان والذين يعلمون بحكمتي الشمس والقمر، بتركوا أن الإجابة الوحيدة الممكنة، هي، لا أعرف.

«قد يبدو الأمر، من باب أولى، مهولاً، وبدعنا مهندسين على نحو خطير، في تعاطينا مع العالم وأمره، ومع فهمنا الخاص لوجودنا لكننا ما إن نتجاوز خوفاً الأول، حتى نتعود تدريجاً الحل الوحيد الممكن، فيسعى خلف أحلامنا. والطريقة الوحيدة لإظهار أسما

ذهبتنا إلى أحد شوارع التسوق الرئيسية في دبلن صدف به موقع المتجر الذي كان على بريدنا أن تتخيله كجزء من أحد المتاجر، كانت ويكا، كلما تطرقت لحادثة إلى المواضيع الشخصية، ترد بعموص أو بمراوغة، لكنها تخلص بقاشا لا ينتهي بتوقف فريحة هي شأن مسائل باهظة كالأسعار، والثياب، وفظاظنة بانعي المتاجر وقد ابتاعت كل ما اشترته بعد ظهر ذلك اليوم عن تحديق وحس ذوق.

علمت بريدنا أن ليس من اللائق سؤال إحداهن عن مصدر مالها، لكن فضولها بلغ حدا كانت تنتهك معه قاعدة التهذيب الأساسية تلك. انتهى بهما اللطاف أخيراً في مطعم باباي، وأمامهما طبق من «الساشيمي».

قالت ويكا «فلبارك الله طعاماً جميعنا بخارة في يوم مجهول، وليهبنا الرب ما يكفي من الشجاعة لقبول هذا الأمر».

أجابتها بريدنا، «لكنك معلمة حكمة القمر، ولا بد من أنك تعرفين الأجوبة».

استغرقت ويكا في التفكير للحظة، وهي تحلق إلى الطعام، ثم قالت

«أعرف كيميية السفر والتفقل بين الحاضر والماضي. أعرف عالم الأرواح، وقد ناجيت قوى بلغت درجة كبيرة من الغربة، بحيث لا

مؤمنون، ويترك قلبنا بين يدي الله، هي في امتلاك شجاعة اتحاد
الخطوات التي طأها أرونا انجازها

«وسوف تتخذ الحياة معنى مقدساً حين نقبل هذا، وبخبر
الانفعال ذاته الذي لا بد من أن العناء قد مرّت به بعد مظهر يوم
كان فيه عادياً تراءى لها غريب وقدم إليها عرضاً وقالت العناء
حبها، اليك لي بحسب قوه، لأنها أدركت أن قبول اللخر هو
أعظم ما يمكن للكائن البشري فعله».

عاودت وبكا، بعد صمت طويل، الإمساك بسكبتها. وغرورها
في صحتها، واستأففت تناول الطعام. تطلعت إليها بريد وهي تشعر
بالفخر لأنها إلى جانبها لم يعد برعها السؤال الذي لن تطلّحه أبداً
حول مصدر أموالها، أم إذا كانت تحب شخصاً ما، أو تغار من آخر
فكّرت في عظمة أرواح الحكماء الحقيقيين الذين أمضوا حياتهم
كلّها يبحثون عن جواب غير موجود، ولم يسقطوا في إغراء
اختراع أي إجابة يدركون أن لا وجود لها البتة بل واصلوا، بدلا
من ذلك، العيش بنواصع في كور لن يفهموه أبداً. وهم لن
يتمكنوا من المشاركة إلا بطريقة وحيدة، هي اتباع رغباتهم
الخاصة، وأحلامهم، لأنها ما يجعل البشر يصبحون أئمة في يد الله

• ما الجدوى، إذا، من البحث عن جواب؟

• نحن لا نبحث عنه، بل مصنق، وعندها نزيد الحياة حدة
وتألقاً، لأننا يؤمن بأن كل دقيقة تمر، وكل خطوة بخطوة،
تحمّلان معنى يذهب إلى ما هو أبعد منا نحن كأفراد. نترك أن
لهذا السؤال جواباً في مكان، وقد يكشف اللثام عنه في زمن، قد
يكون بعيداً. ونعرف أن ثمة سبباً لوجودنا هنا، وهذا كانت لنا

«سفن في ليل الظلمة، بإيمان، وسجر ما تعود الخيميائيون

القمامي أن يسموه «أسطورتنا الشخصية»، وسلم أنفسنا بكأينها إلى
كل لحظة، عارفين أن ثمة يداً ترشدنا دائماً، وأن الأمر متوقف
بكلية علينا، قبلنا بذلك أم عانداً،

الطيور موجودة، والأسماك تشاركها في نعمة الوجود أيضاً، وقد تصطدم عوائلها أحياناً، لكن لا يمكنها أن تجيب بعضها عن أسئلة بعض ولكل منها، برغم ذلك، أسئلته الخاصة التي لا تفك عن التوكل والتي لا ينتهي البحث عن أجوبة لها

نطرت بريداً إلى الشعلة أمامها، وشرع مياخ سحري بالانتشار من حولها هذا ما يحدث في العادة، لكن الشعور في تلك الليلة كان أكثر حدة

إذا يمكنها أن تطرح سؤالا، فلاز له جواب في ككون آخر، قد يعرفه أحدهم ولو لم تفك أسرارها هي. لا تحتاج إلى فهم الحياة، بل يكفي العثور على من يفعل ذلك، واليوم من ثم بين ذراعيه والإغفاء، كقطع. وهي تعرف أنه يوجد من هو أكثر قوة منها، يحميها من كل شر، ويدبرها عنها كل خطر

ثلث، باستهانتها من الشعائر، صلاة عرفان صغيرة للخطوات التي اتخذتها حتى الآن. والشكر أقل الواجب الذي يمكن أن تقدم طفوسه، لأن الشخص الأول الذي سألته عن السحر لم يحاول أن يشرح لها الكون، بل جعلها، عوضاً عن ذلك، تقضي الليل بطوله في غابة مظلمة.

تحتاج الآن إلى الذهاب إليه لتشكره على كل ما علمها إياه.

كانت، في كل مرة تشق فيها طريقها بحثاً عنه، تمتش عن شيء، ونكتفي بثورها عليه، بالغاندة دون كلمة وداع. وقد أرسلها، برغم ذلك، إلى الباب الذي تأمل أن تعبر من خلاله إلى الاعتدال المقبل. وعليها، أفله، أن تقول له، شكراً.

لا، لا تخشى الوقوع في حبه. فقد قرأت في عيني لورنس أموراً

أمضت بريداً ساعات، في تلك الليلة، تستمع إلى الموسيقى، وهي مأخوذة كلها بمعجزة أنها حية. فكرت في أدبائها المفضلين وكان أحدهم - الشاعر الإنكليزي وليام بليك - قد رודהا بحمله واحدة، فيها ما يكفي من الإيمان للمضي قدماً في البحث عن الحكمة.

ما هو مثبت الآن، لم يمكن سوى مجرد تخيل في ما مضى.

حان وقت ممارسة إحدى شعائرها وهي ستمضي الدقائق القليلة المقبلة تنامل لهب إحدى الشموع، وقد جلست، للقيام بذلك، قبالة المذبح الصغير. عانت بها طفوس التأمل إلى بعد ظهر اليوم الذي مارست فيه ولورنس الحب بين الصخور، عندما حلفت طيور النورس عالياً، وبلغت حد الغيوم، ورفرفت على علو منخفض بأجنحتها، وهامت بشوتها التي مشئت كيانها وروحها أيضاً ولا مست معاً أمواج البحر.

ربما سال السمك ذاته كيف استطاعت هذه الكائنات الغامضة الطيران، وهي التي غارت إلى عاله، ثم غادرت بسرعة ذاتها التي دخلت بها.

ولربما تساءلت الطيور أيضاً كيف لهذه الكائنات، التي تعتاش منها وتعيش تحت الموج، أن تنبفس في الماء.

عن الجانب الخفي والغامض لروحها، واتضح لها الأمور تماماً في ما
يتعلق بحبه من القوة التي راودتها في الشكوك حول إمكانها
الحلم بثوب.

www.newity.com
By Dalvia

قالت للمجوسي وهما بهما بالجنوس، «شكرا لمبولك دعوتي ها
هما في الحاية الوحيدة في القرية، المكان الذي لاحظت فيه للمرة
الأولى النور الغريب في عيني».

لم ينمؤه المجوسي بحرف ظل هاتما في صمته، لاحظ أن طاقتها
مختلفة كثيراً من الواضح أنها استطاعت إيقاظ القوة داخلها

في الليلة التي تركتني فيها وحدي في الغابة، أخذت على
نمسي عهداً بالعودة، إما لأشكرك، وإما لأمطرك بلعائني. أقسمت أن
أعود حين أجد طريقني لكمني لم أف بأي من عهدي، جئت دوماً
بحثاً عن المساعدة، ولم تخذلي قط قد يبدو الأمر غروراً مني،
لكمني أربك أن تعرف أنك نصرت كأداة في يد الله، وأرغب في
تكون ضيفي الليلة».

أوشكت على طلب كأسين من الوبسكي، لكنه بهمن ومضى
إلى البار وعاد حاملاً رجاجة بيضاء وعبوة مياه معدنية، وكليتين.

قال، «عندما يلتقي شخصان في لحظة الشرب في بلاد فارس
القديمة، يتم اختيار أحدهما ملك الليل، وهو في العادة الشخص
الذي سيمضي».

لم يعرف إلى مكان صوته قد بدأ مستقراً كفاية فهو رجل واقع
في الحب وطاقة بريدا تعبرته.

- يتوقف على ملك الليل أن يحدد نبرة الحادثة. فإذا سكب في كأس الشرب الأول ماء أكثر من الببذ، فيعني هذا أنه يرغب في التحنث في أمور جنية. أما إذا سكب كمية متعائلة من الاثنين، فيستحدثان في أمور جنية وممتعة معا وإذا ملا الكأس بببذ ولم يصف إليه سوى نقاط قليلة من الماء، فستكون الليلة ساخنة وممتعة.

ملأت بربذا الكاسين حتى طفحتا بالببذ، ولم تصف إليهما سوى قطرات قليلة من الماء.

وكزرت الفول، جئت لأشكرك لك علمتني أن الحياة فعل إيمان، وأني جديرة بالبحث، وقد ألهمني ذلك كثيراً في الاهتداء إلى الطريق التي اخترتها.

أفرغ كلاهما سريعاً كأسه الأولى. شعر هو بالتيقن وهي كراوتها حالة جارية من الاسترخاء.

قالت بربذا، مواصيع خفيفة فقط، اليس كذلك؟

قال المجوسي إنه يعود إليها، لكونها ملكة الليل، أن تقرر ما الذي سيتحدثان عنه.

- أريد أن أعرف بعض الشيء عن حياتك الشخصية، وإذا كنت قد أقيمت يوماً أي علاقة غرامية مع ويكا.

هز برأسه إيجاباً. شعرت بربذا برعشة من الغيرة لا تفسير لها، ولم تتأكد إذا كانت منه، أم من ويكا.

قال، لكنا لم نفكر قط في العيش معاً. فكلاهما على معرفة بالحكمتين، وكلاهما يعرف أنه ليس توأم روح الآخر

فكرت بربذا في سرها، لم أرد أن أعلم كيفية رؤية هالة النور. لكنا عرفت الآن أن لا معز لها من ذلك، هذا ما هو عليه الحب بين السحرة.

شربت المربد، وها إنها تقترب أكثر من هدفها، لم يعد الوقت الباقي على الاعتدال الربيعي طويلاً، وبات في وسعها أن تسترخي مر زمن بعيد منذ أن سمحت لنفسها بأن تشرب أكثر مما ينبغي، لكن كل ما عليها فعله الآن هو أن تعلم بثوب

واصل الحديث والشرب. شاعت بربذا العودة إلى ويكا، لكنا أرادته نصاً أن يصيح أكثر استرخاءً، أقيمت على كاسيهما ملهنتين فأنهيا الرجاجة الأولى وسط حديث عن صعوبات العيش في مثل هذه القرية الصغيرة حيث يربط السكان المحليون بين المجوسي والشرطي.

عبرت بربذا لشعورها بأنها تحظى باهتمامه لا بد من أنه مستوحش كثيراً ربما لم يوجه إليه أحد في القرية أكثر من بصع كلمات مهذبة فنحا رجاجة أخرى دهشت لرؤية مجوسي يقضي النهار بطوله في الغابة سعياً إلى مساجاة الله، ويغرم أيضاً بالشرب والسكر، ويبدع في ارتشاف كوكوسهما.

نسيبت، مع إبهانهما الرجاجة الثانية، أنها هب لشكر الرجل الجالس قبالتها هي تترك الآن أن علاقتها به شككت دائماً نوعاً من القحدي للقتع لم نشأ أن تتصوره إنساناً عادياً، وها إنها تقترب على نحو خطير من القيام بذلك وهي تمضل صورة الرجل الحكيم الذي قادها إلى كوخ في أعالي الأشجار، ويمضي معظم وقته يتأمل مغيب الشمس.

شرعت في الحديث عن ويكا لتكتشف رد فعله. تحنثت عينا

كمعلمة ممتازة لقيتها جميع ما تحتاج إلى معرفته حتى الآن،
لكنها فعلت ذلك بطريقة حذرة جعلتها تبدو كأنها كانت تعرف
الأمور التي تتعلمها

قال المجوسي، الكيك تعرفيها إنها حكمة الشمس.

فكرت بريد، إنه لن يعترف بويكا كمعلمة جيدة وشربت
كأساً أخرى من السيد، وواصلت الحديث عن معلمتها، فلم يدل
المجوسي بالمريد من التعليق.

قالت، «أخبرني عن علاقتك بها، لئلا أكون في وسعها
استفرازه. لم نشأ أن تعرف، لم ترد في الحقيقة أن تسير مشاعره
تجاهها، إلا أنها الطريقة الفضلى ليصدر رد فعل.

إنها مسألة حب في عمر الشباب. كنا جزءاً من جيل لم يعرف
أي حدود، جيل البيتلر والرولينغ ستونز.

فوجئت لسماعها هذا. فالبيد يصيبها بالتوتر أكثر مما يجعلها
تسترحي وهي لا تزال تريد طرح تلك الأسئلة، لكنها تدرك الآن
أنها غير سعيدة بالأجوبة.

تابع، وهو غير مدرك أحاسيسها، في ذلك الوقت التقينا. كان
كل ما يسعى إلى طريقته، وحدث أن تلاقى طريقا لا قصدا
المعلم نفسه تعلمنا معاً حكمتي الشمس والقمر، وأصبح كل ما
معلماً على طريقته.

قررت بريد متابعة الموضوع بمقنن زجاجتين من النبيذ ثم
تجلاً غريبين تماماً يشعرا كأنهما صديقان من أيام الطفولة،
فالببيد يمد الناس بالشجاعة

- لانا افتترقتما؟

جاء دور المجوسي لطلب زجاجة أخرى لاحظت هذا، وريد
توترها لن تحتل أن تكتشف أنه لا يزال واقعاً في حب ويكا
- افترقنا عندما تعلمنا عن توأم الروح.

- هل كنتمما لتبقيا معاً لو أنك لم تعرف في شأن هالات البور
تلك، أو ذلك الضوء الخاص في عيني توأم روحك؟

- لا نرى كل ما أعرفه أننا لو بقينا لما نجح الأمر. فحين لا
نهم الحياة والكون، إلا عندما نحتر على توأم روحنا.

توقفت بريد للحظة، وقد أعياها الكلام، وحان دور المجوسي
ليتولى الحديث.

أخذ رشقة من نبيذ تلك الزجاجاة الثالثة، وقال بعدها، «ليذهب
احتاج إلى الشعور بالريح والهواء البارد يلمح وجهي

كان واضحاً أن السكر قد أخذ منه، وصار معه، على غير
عادته، خائفاً شعرت بالفخر بنفسها، فها هي تستطيع أن تتحمل
مفعول الشراب وتقاوم سكره، الفصل مما يمكنه، وهي ليست
خاتمة من فقدان السيطرة على روحها لقد خرجت في تلك الليلة،
وفي بيتها إمتاع بنفسها، ولا يبدو أن شيئاً يمكن أن يقف في
وجهها.

- فلها بعد، فلما في النهاية، ملكة الليل.

تناول المجوسي كأساً أخرى لكنه عرف أنه قد تجاوز حدوده،
وقد يأخذه السكر إلى مناهات هو في غي عنها

قالت بتحد، «لم تسألني شيئاً عن نفسي، أليس فضولياً؟ أم أنك
تستطيع استخدام قوى ما لتري مباشرة من خلالي؟».

شعرت لبرهة بأنها ذهبت بعيداً جداً، لكن ما لبثت أن أبعدت

تلك المكرة، لا شيء، إلا لأنها لاحظت ببذلاً في عيني الجوسي
ففيهما الآن دور مختلف كلياً بدأ كأن شيئاً قد تبلور في بريد.
شعرت وكأن جداراً قد انهدم، وكل شيء سيصبح من الآن
مسموحاً تدحكرت المرة الأخيرة التي النقياً فيها، ورغبتها في البقاء
معه، وبرودته هو. وها هي تدرك أنها لم تأت إلى هنا في هذه الليلة
لنشكره، بل بحثاً عن الانتقام. لتقول له إنها اكتشفت القوة مع
رجل آخر... تحبه

وتساءلت، «وكم أحتاج إلى الانتقام؟ لم أنا غاضبة منه؟.. لكن، لم
يسمح لها النهي بالإجابة عن هذين السؤالين... وإرواء غليلها.

أخذ الجوسي ينظر إلى الشاشة قبالة، واستمرت الرغبة في إصهار
قوته تروود دهنه. في ليلة كهذه، منذ سنوات بعيدة، تبدلت
حياته كلها ربما حدث ذلك في زمن المينلر والروبينغ ستور.
لكن من المعروف أنه يوجد دوماً أناس في الجور يبحثون عن قوى
مجهولة، حتى لو لم يؤمنوا بها استخدموا قوى سحرية، طناً منهم
أنهم أشد قوة من القوى دائها، وافتنعوا، بأن في وسعهم التخلي عن
الحكمة حين يحل بهم سلطان السام. وكان هو أيضاً واحداً من
هؤلاء الناس. دخل العالم القلنس من خلال حكمة القمر، فتعلم
الشعائر، عبر الجزء الذي يربط العالمين المطور واللامطور.

تخبط في البداية في لجة هذه القوى وحده، وهو يتعلم من
الكتب من دون مساعدة أحد ثم التقى معلمه الذي أبلغه، في
لقائهما الأول، أن من الأفضل له أن يتعلم من خلال حكمة الشمس.
لكن الجوسي لم يرد ذلك. فحكمة القمر أكثر إثارة للاهتمام،
وتتضمن ممارسة شعائر قديمة وتعلم حكمة الزمن. وهكذا،
لقبه معلمه حكمة القمر، قائلاً إن هذه الطريق قد تقوده في مال
الأمر إلى حكمة الشمس.

كان في ذلك الوقت، وثقاً تماماً بنفسه وبالحياة وبمفتاحاته
أمامه مستقبل مهني واعد ومثاق. وقد قرر استخدام حكمة القمر
لتحقيق مآربه. فمهمته التي نذر نفسه لها ليست سهلة، لكنه قرر

حوص مجارفتها ونطالبت منه ممارسة السحر أن يصيح في البلية معلما، ولا يمتك أيد الحدود الوحيدة المفروضة على جميع معلّمي حكمة القمر، وهي: عدم التدخل في الإرادة الحرة لإنسان آخر يمكنه، باستخدام معرفته السحرية، شق طريقه الخاصة في العالم. لكن لا يستطيع التخلص من شخص ما، لا لسببه إلا أنه يعترض طريقه كما لا يستطيع إجباره على اتباع طريقته. ذلك كان لحظور الوحيد، والشجرة الوحيدة في حبة عالم السحر الحادثة، التي يحظر عليه تناول ثمارها

جرى كل شيء على ما يرام إلى أن وقع في هوى واحدة من تلميذات معلمه الأخريات، وهي هامت على وجهها في غرامه. عرف كلاهما الحكمتين، علم بأنه ليس رجلها، وعرفت أنها ليست امرأته. وستسلما برغم ذلك لحبهما، تاركين للحياة من نفرو بينهما عندما يحين الوقت لم يخفف هذا من عشقهما، بل جعلهما يعيشان كل لحظة كما لو أنها الأخيرة لهما، وادكى الحب بينهما كل توفد للأمور التي تتخذ صفة الأبدية، لا لسبب إلا لأنهما سيموتان.

ثم إنها، في يوم من الأيام، التقت رجلاً آخر، لم يعرف شيئاً عن الحكمتين، كما لم يمتلك الهالة التي كانت تشع فوق كتفه اليسرى، ولا الضوء الخاص في عينيه الذي يكشف عن أن الشخص الآخر هو نؤام الروح. لكن الحب لا يحترم الأسباب، وهي وقعت في العشق، وهي رأت أن وقتها مع الجوسي قد بلغ بهايته

تخاصما وتقاتلا، توشل وارتنجى. عرض نفسه لجميع الإدلالات المعتادة التي يحاسبها الهائمون في الحب. تعلم الأمل والخوف والقبول وهي أمور لم يحلم قط بأنه سيتعلمها. قال مجادلاً، إنه لا يحمل هالة البور فوق كتفه اليسرى، قلبت لي ذلك بمفسلك. لحكمها له

تبال، لأنها أرادت، قبل أن تلتقي أخيراً نؤام روحها، أن تعرف رجلاً آخرين أن تحبب العالم

فرص الجوسي هذا لأنه، حين يبلغه حتى يمسى كل شيء، يتعلق بها بلغ، لسبب لم يعد يذكره، هذا الحد، لكنه اكتشف بدلاً من تسيانها، أن معلمه على حق. فالانفعالات أشبه بالأحصنة الجامحة، تحتاج إلى الحكمة للتمكن من السيطرة عليها، ولجمها كان هواء أقوى من سبي دراسته لحكمة القمر، وأقصى من جميع تقنيات السيطرة على الدهن التي تعلمها، ومن الانتصام المتشد الذي كان عليه الانصياع له للوصول إلى ما وصل إليه. لكن الهوى - تلك القوة العمياء، التي تقودنا وتوسوس ب - طلّ بهمس في أذنه وبناحي روحه، بالليل حيناً وبالشفة حيناً، وبهذه عن أن يخسر تلك المرأة

لم يكن يملك شيئاً صدها، فهي مثله معلمة، وقد اكتسبت براعتها في مهنتها هذه عبر تجشّبات متعذدة، امتلاً بعصها بالشهرة والجد، وطبع بعصها الآخر بالبار والألم. وهي ستعرف كيف تدافع عن نفسها

لكنهما ليسا وحدهما في معمعة العشق هذه ثمة طرف ثالث يسكن معهما في دوائمه، ومخروط حتى أدبته في هذا الصراع المحتدم. رجل علق في شبكة القدر الغامضة، وهي شديدة الالتباس، بحيث لا قدرة للمجوس أو للساحرات على فهمها. رجل عادي، يحب المرأة ربما بقدر حب الجوسي لها، ويريد لها السعادة، ولا يتوانى عن القيام بأي شيء، مهما يكن، من أجلها. رجل عادي رمنه الاقدار الغامضة في خصم هذه الحركة بين رجل وامرأة يعرفان حكمة القمر

لم يعد في وسع الجوسي أن يتحمل الألم، فأكل في ليلة من

الليالي من الثمرة المحرمة. استخدم القوة والعزفة اللتين تعلمهما من
حكمة الرمن، وأبعد ذلك الرجل عن المرأة التي أحب.

هو لا يعرف حتى هذا اليوم، إن كان قد اكتشف الأمر، أم لا.
لكن المرشح أنها تعبت من امتلاكها لهذا القلب ولم تمنح كثيراً
في التخلي عنه. لكن معلمه عرف فلطالما سبر أغوار كل شيء.
وحكمة القمر لا تنساج مع أولئك المبتدئين الذين يستخدمون
السحر الأسود، للتأثير في الحب.

لا بد أن، من الوقوف ووجهها لوجه مع معلمه وعندما تواجهها
أدرك أنه يستحق عليه كسر التعتيق الذي نفسه أيقن أن
القوى التي عتقد أن في وسعها السحر عليها كسر قوة منه
كثيراً عرف أنه سلك الطريق المختارة. لكنها ليست كغيرها من
الطرق، أدرك أنه لن يترك هذه الدرب أبداً طوال فترة تجسده.

عليه الآن، وقد ضل السبيل، أن يقطع الثمن. عليه أن يتجزع
الوحدة، وهي أفسس أنواع السموم، إلى أن يشعر الحب بأنه قد تحول
مزة أخرى إلى معلم. وعندها، فإن الحب ذاته الذي جرحه، سيحززه
من جديد، ويكشف له في النهاية عن تونم روحه.

لم تصالحي شيئاً عن نفسي السبت فصولياً؟ أو هل تستطيع
استخدام قوى ما لتري مباشرة من خلالي؟.

لم يستغرقه ماضيه أكثر من ثلثية واحدة ليومص داخل دهنه
كانت فترة مكافئة ليفرر هل يسمح للأمور بأن تحدث كما يجب
لها أن تحدث في حكمة الشمس، أم يحدثها عن حالة البور،
ويتدخل بالتالي في القدر

تريد بريندا أن تصبح ساحرة، لكنها لم تحقق طموحها بعد.
تذكر الكوخ العالي فوق الشجرة عندما كاد أن يخبرها، وها إنه
لا يتمالك نفسه من جديد. المشكلة التي لا يعرف إلى حلها سبيلاً
الآن، أنه قد خفف من حذره فنسي أن الشيطان يسكن في
التفاصيل. فجميعنا سادة قدرنا الخاص. ويمكننا بسهولة ارتكاب
الأخطاء، فلما المرة ثلث المرة، يستطيع أن يهرب بسهولة من كل ما
نرغب فيه ونصنع الحياة، بكل سحائنا، في تصرفنا.

وفي استطاعتنا، بدلاً من ذلك، من يسلم فواتنا إلى العبد الإلهية،
فتمسك بيد الله. وجاربه في سبيل نحلنا ونحن مختلفون أنها
نتحقق دائماً في اللحظة المناسبة

قال الجوسي، تعديهم استصاعت بريندا أن ترى أنه جاد هذه
المرة.

دفعت العاتورة مسجلة بذلك بقصة لصلحتها، فهي في النهاية

ملكة الليل. ارتدنا معطفيهما وخرجنا إلى البرد الذي أصبح الآن أقل حدة، فالربيع سيحل في غضون أسابيع.

سارا معاً إلى محطة الحافلات. ثمة حافلة متطلق في غضون دقائق. ثبتلت مشاعر بريدنا، خارجاً في البرد، من الاستياء إلى ارتباك رهيب لم تتمكن من تفسيره. لم تشأ الصعود إلى الحافلة كل شيء يبدو حاصناً، وقد بدا لها أنها أحفقت كلياً في تحقيق الهدف الأساسي من الأمسية، وعليها أن تصلح كل شيء، قبل أن تغادر. جاءت إلى هنا لشكره، وها هي تتصرف تماماً على غرار ما فعلت في الماسيتين السابقتين.

قالت إنها تشعر بتوغل، ولم تصعد إلى الحافلة.

مرت خمس عشرة دقيقة، وجاءت حافلة أخرى.

فعاودت القول، «لا أريد المغادرة، ليس لأنني تماديت في الشرب وأشعر بالسقم، بل لأنني أفسدت كل شيء، لم أشكرك كما يجدر بي أن أفعل».

قال المجوسي، «هذه هي آخر حافلة».

«سأخذ سيارة أجرة في وقت لاحق، ولو بكلمة كبيرة».

ما إن غادرت الحافلة حتى أسغت بريدنا لعدم ركبها. إنها مشوشة. ليس لديها فكرة عما تريد. «أنا ثملة». فكرت، ثم قالت، «التمش بعض الشيء». أحتاج إلى أن أصبح..

نمشياً عبر القرية الخالية، وأنور الشوارع مصاةً والبنافذ مفتحة. هذا غير ممكن. رأيت الضوء في عيني لورنس، وبرغم ذلك أريد أن أبقى هنا مع هذا الرجل. ليصت سوى امرأة عادية، متقلبة، مزاجية، لا تستحق كل ما تعلمته واختبرته من خلال أعمال

السحر. وهي خجلة من نفسها. لم يتطلب الأمر أكثر من بصع كؤوس من البيرة ليصبح لورنس، الذي طالما أعت بأنه توأم روحها، وكل ما تعلمته من حكمة القمر، فجأة، بلا أهمية نسائت لهنة وجيزة إذا كانت مخطئة، فربما كان الضوء في عيني لورنس ليس البور الذي تحدثت عنه حكمة الشمس. لكن لا. إنها تحدع بمسها، لا يخفق أحد في التعرف إلى الضوء في عيني توأم روحه.

فلو أنها التقت لورنس في مسرح مكنت بالباس، بعرفت، في اللحظة ذاتها التي تلتقي فيها أعينهما، أنه الرجل الخاص بها حتى لو لم تتحدث معه من قبل. ستجد طريقة بوصول الناعمة الروحي بينهما، وهو سيرحب بذلك، لأن الحكمتين لا تحطن أبداً فتوائمه. الروح تلتقي يوماً في النهاية. وهي لطال سمعت الناس يتحدثون، قبل وقت طويل على معرفتها شقائق الأرواح، عن ظاهرة لا تفسر لها، هي الحب من أول نظرة.

في وسع أي كائن بشري أن يتعرف إلى هذا الضوء من دون الحاجة إلى قوى سحرية. عرفت عنه قبل أن تعرف وجوده فهي، مثلاً، قد رآته في عيني المجوسي في المرة الأولى التي قصد فيها الحانة.

توقفت.

فكرت من جديد، «أنا مخمورة حد الانتشاء». عليها أن تسي الأمر وهي تحتاج إلى أن تحصى مالها لترى إذا كانت تجعل ما يحكي لنهج إيجار تامكسي العودة. إنه لأمر مهم.

لكنها رأت الضوء في عيني المجوسي. ذلك الضوء الذي ينبثق بانه توأم روحها.

قال المجوسي، أنت صاحبة. لا بد من أنك أسرفت في الشرب.

- سيعود الأمر. ليجلس قليلا إلى أن ينتهي، ثم أذهب إلى المنزل.

جلسا على المقعد. انشغلت هي في البحث داخل حقيبتها عما بقي فيها من مال. يمكنها أن تقف، وتجد سيارة أجرة وتغادر إلى الأبد، فلديها معلّمة، وتعرف كيف تواصل طريقها تعرف توأم روحها أيضا ولو أنها قررت المهووس الآن والمغادرة، فستستمر في تحقيق الرسالة التي حثها لها الله

إنها في الحادية والعشرين، إلا أنها تعرف بالمحل أن من الممكن لتوأمي روحين أن يلتقيا في التجسد ذاته، لكن النتيجة الحتمية هي الألم والعذاب.

فكيف يمكنها تعادي ذلك؟

لن أعود إلى المنزل، قالت، «سأبقى ههنا».

أعرفت عبدا المجوسي، إذ تحول ما كان أملا إلى يقين.

واصل السير. راقب المجوسي لون هالة بريندا يتغير ميزات عدة، وأمل أنها تسلك الطريق الصحيحة. أدرك العواصف والهزات التي تقصّ نفس توأم روحه، بيد أنه يعرف أن هذه هي طبيعة التحولات. فهكذا تتحول الأرض والنجوم والجسم البشري.

لما غادرا القرية وسارا في الريف ناحية الجبال التي يلتقيان فيها دفعا، طلبت إليه التوقف.

قالت، «الذهب في هذا الاتجاه»، واستنارت، برغم أنها لم تعرف السبب، صوب طريق يصل إلى حقل قمح. أحسنت بحاجة مفاجئة إلى الشعور بقوة الطبيعة، وبالأرواح الودية التي تعيش، منذ خلق الكون، في جميع مناطق الأرض الرائعة، وقد ارتسم بدر هائل الحجم في السماء، مبرأ الطريق والريف المجاور

تبعها المجوسي دون أن يبس بكلمة واحدة. شكر الله من أعماق قلبه على إيمانه، وأنه لم يسمح له بارتكاب الخطأ ذاته مرتين، وهو ما كان على وشك فعله قبل دقيقة بالتمام من الاستجابة لصلاته

سارا عبر حقل القمح الذي حوله ضوء القمر إلى بحر فضي. مشت بريندا بلا هدف، وهي لا تملك أي فكرة عما ستكون عليه خطواتها التالية. أخذ صوت في داخلها يحثها على «لصي دفعا،

ويخبرها بأنها تتمتع بالقدر ذاته من قوة جنتها، ولا حاجة إلى القلق لأنهن يقدرن خطاها ويحميها بواسطة حكمة الزمان.

توقفاً وسط الحقل. أحاطت بهما الجبال التي يمتد على أحدها الصخر الذي يمكن منه التقاط مشهد رائع لغياب الشمس، ويوجد أيضاً كوخ الصيادين الأكثر ارباعاً، والمكان الذي وجهت فيه امرأة شابة، هي إحدى الليالي، الخوف والظلمة.

أنا جاهرة، فكرت في نفسها، جاهرة، وأعرف نسي محمية استحضرت صورة الشمعة النائمة الاحترق في منزلها، عندها مع حكمة القمر.

قالت، وقد توقفت، «هذا مكان جيد».

التفتت غصناً ورسمت في الأرض دائرة كبيرة وهي تنلو الأسماء المقدسة التي لقيستها إياها معلّمتها لم يحسن خبثها الشعائري معها، ولم تحمل أياً من أدواتها المقدسة، لكن جنتها هنا، ويقدر لها إهن كرسس أدوت المطبخ من أجل نمادي حرافهن على العمود.

قالت، «كل شيء مقدس، ذلك الخصم مقدس».

نعم، أحاب المجوسي، «كل شيء في هذا العالم مقدس، ويمكن لحبة رمل أن تشكل جسراً إلى العالم اللامعظور».

أجابته بريدنا، الحكن الجسر إلى هذا العالم اللامعظور هو، هي هذه اللحظة، توأم روحي.

عادل هو الله، وامتلات عيانه بالدموع.

دحلا كلاهما الدائرة وقد أقمليت شعائرياً. إنها الحركة الوقائية ذاتها التي استخدمها المجوس والساحرات منذ الأزل.

قالت بريدنا، «كنت على ما يكفي من السخاء لتريسي عاك. وأنا أمارس هذه الشعائر الآن لأريك أنني أُنتمي إلى ذلك العالم».

رفعت ذراعها صوب القمر، واستحضرت قوى الطبيعة السحرية فخالبا ما شاهدت معلّمتها تفعل هذا لدى نهائهما إلى الغابة، وها إنها تعمل الأمر ذاته وهي واثقة من عدم وقوع أي خطأ فانقوى تخبرها بأنها ليست في حاجة إلى تعلم أي شيء، بل عليها أن تتذكر فقط، الراجح الكثيرة التي قامت فيها بذلك في حيوانها المتعددة، كساحرة. وقد صلت حينها لباني الحصاد جيداً، ويتمتع الحقول بحصوبة دائمة وها إنها الكاهنة التي جمعت معاً، في عصور أخرى، معرفة الأرض وتحول البدور، وصَلّت بيما كان رجلها يعمل في الأرض.

ترك المجوسي بريدنا تقوم بالخطوات الأولى. يعرف له سبنولي الأمر، لكنه يحتاج إلى أن يدور في المكان والرمال واقع أنها هي التي بدأت العملية. فمعلمه، الذي بهيم في تلك اللحظة في جسم هينولي ما، في انتظار حياته المقبلة، موجود هنا في حقل القمح هذا، تماماً كما كان موجوداً في الحانة خلال تجربته الأخيرة، وهو سعيد بلا شك بأن تلميذه قد تعلم من معاناته. استمع المجوسي بصمت إلى دعاءات بريدنا التي لا توقفت، قالت:

لا أدري لماذا قمت بهذا كله، لكنني أعرف أنني أُجرت الجزء المتعلق بي.

فقال، ستابع.

ثم استنداراً شمالاً وقلد أصوات الطيور التي لم تعد موجودة إلا في الأساطير والخرافات. ذلك هو التفصيل الوحيد الذي كان ناقصاً

فويكا معلّمة جديدة، وقد لقبت بريدنا كل شيء تقريباً ما عدا النهاية.

ولما تم استصراخ صوت البجع المقدس والفيثيق، امتلأت الدخنة كلها، بصوء غامض لم يمر أي شيء من حوله، لكنه برغم ذلك ضوء تطلع الجوسي إلى توأم روحه، فراها بهية في جسدها الأبدي مع هالة ذهبية وخيوط نور دقيقة تسبني من سزتها ومن رأسها يعلم بأنها ترى الأمر ذاته، وتلاحظ هالة النور فوق كعبه اليسرى، ويعرف أن عيبيها قد تكونان مغبشتين بحص الشيء بسبب مفعول النهي الذي شرباه في وقت سابق.

قالت بلطف عندما رأت هالة النور، «توأم روحي».

فأجابها الجوسي، «سأسير معك من خلال حكمة القمر.. وعلى الفور، نحول حقل القمح من حولهما إلى صحراء رمانية، تراءى فيها معبد وساء يرتدين الأبيص ويرقص أمام بوابته الكبيرة أحلت والجوسي يشاهدان هذا من على كتيب مرتفع، من دون أن تعرف إذا مكان هي إمكان هؤلاء النسوة رؤيتهما.

شعرت بوجود الجوسي إلى جانبها. أرادت أن تسأله عن مغزى الرؤية، لكنها عجزت عن الكلام. وشاهد هو الحوف في عيبيها. فعادنا إلى دائرة الضوء في حقل القمح.

سألته أخيراً، «ماذا كان ذلك؟».

- هدية مني إليك إنه واحد من العابد السرية الأحد عشر في حكمة القمر. هدية حب وشكر لأنك موجودة، ولأنني انتظرت طويلاً طويلاً للعثور عليك.

«خلفني معك»، قالت «أظهر لي كيفية ولوج عالمك».

سافرا معاً عبر المكان والزمان من خلال الحكمتين. شاهدت بريدنا مروجاً تتلألأ بالأزهار والحيوانات التي قرأت عنها في الكتب فقط، ورأت قصوراً غامضة ومدناً بناها تطفو على غيوم من نور اصاعت السماء عندما رسم لها الجوسي، فوق حقل القمح، الرموز المقدسة للحكمة. بنا شهما في حصرة النظر الطبيعي الجليدي لواحد من قطبي الأرض، لكنه ليس كوكبنا لأن فيه كائنات أخرى أصغر حجماً، بأصابع طويلة وأعين غريبة، تعمل على سحابة قصاء كبيرة وكاتب كلما رأت أن تقول له شيئاً، نحتفي الصور ليحل محلها غيرها. أدركت بريدنا بروحها الأنثوية أن الرجل الذي إلى جانبها، يحاول أن يظهر لها كل ما تعلّمه على مر السنين، ولا بد من أنه ينتظر هذا الوقت كله لتقديم إليها هذه الهدية فحسب. يمكنه أن يعطي نفسه لها الآن بلا خوف، لأنها توأم روحه. وفي استطاعتها أن تسافر معه عبر جنة النعيم حيث تعيش الأرواح الصمخة النؤرة، وترورها بين المينة والظبية أرواح أخرى لا تزال تبحث عن النور المقدس كي تعدي نفسها بالأمل.

لم يسعها أن تقول حكم مر من الوقت قبل أن تجد نفسها وقد عادت مع ذلك الكائن المسير إلى الدائرة التي رسمتها بنفسها عرفت الحب من قبل، لكنه الحب الذي، حتى تلك الليلة، عسى أيضاً الخوف. وقد شكل ذلك الخوف مهما بنا زهيناً، حجاباً دائماً يمكن من خلاله رؤية كل شيء تقريباً، لكن بلا ألوان. أدركت عند تلك اللحظة، بوجود توأم روحها هنا أمامها، أن الحب هو إحساس بالارتباط الكلي بالألوان، أشبه بالآف أقواس القزح، وقد ركب واحدها فوق الآخر فحكرت، وهي تحلق إلى أقواس القزح هذه، كم أنني افتقدت لجزد أنني حفت أن أفقد.

وها هي مستلمية والكائن الصبي من فوقها، وهالة المور تحلو
كتمه اليسرى، وحيوط الصوء تبيتق من رأسه وسرته.

قالت، «أردت التكلّم معك» لكنني عجرت.

فاجاب، «ذلك بسبب المبيد».

ليكن الحانة، والسيد، والشعور بالانزعاج، لم تعد سوى ذكرى
بعيدة لبريد.

- أشكرك على الرؤى.

لم تكن رؤى، قال الكائن الصبي، «ما شاهدته هو حكمه
الأرض وكوكب بعيد».

لم تشأ بريد التحدث في الأمر، لم ترد أي أمثلة، تسعى إلى ما
اختبرته فحسب.

«أنا كذلك ملأى بالسور».

- نعم، مثلي تماماً اللون دانه، والضوء أبيض، وشعاعك لطيف
عيناها.

أصبح اللون ذهب الآن، وباتت موجات الطاقة المنبثقة من السرة
والرأس زرقاء باهتة لاعة.

قالت بريد، «أشعر كما أنها وقد أتقنا الآن».

- أنا متعب، يجب أن نعود. أنا أيضاً أسرفت في الشرب.

تعرف بريد أنه، في مكان ما في الخارج، يوجد عالم من
الحبات، وحقول القمح، ومواقف الحافلات، لكنها لا تريد العودة إليه
كل ما تبخيه هو البقاء في ذلك الحقل إلى الأبد. سمعت صوتاً
بعيداً يبتهل، بينما أحد الصوء من حولها يتلاشى تدريجاً إلى أن

احتفى كلياً. أثار فمر هائل الحجم السماء مصيئاً الريف. كانا
عاريين يحتصن أحدهما الآخر، لا يشعران بالبرد ولا بالخجل.

طلب الجوسي إلى بريد أن تنهي الشعائر بما أنها هي التي بدأتها
تلصقت بالكلمات التي تعرفها، وساعدها عند الضرورة. وما إن تم
لمطوق باحر عبارة حتى فتحت النائرة، فارتدنا ملابسهما وعاون
لجلوس على الأرض.

قالت بريد بعد فترة، «المخادر هذا المكان، فلهص الجوسي
وتبعته. لم تعرف ماذا تقول. شعرت بأنها خرقاء، وهو أيضاً تبادل
لاعترف بالحب. وها هما، مثل أي زوجين آخرين في مثل هذه
لظروف، مرتبكان من تبادل البطرات.

واستمرتا على هذه الوتيرة، إلى أن كسر الجوسي الصمت،

عليك أنعودي إلى دبلن. أعرف رقم هاتف شركة سيارات
جدة.

لم تعرف بريد إذا كان عليها أن تشعر بالحببة أم بالرحمة. فقد
خذ الشعور بالفرح يتصائل ويمسح المجال للغشيان وأوجع الرأس،
فأيقنت أنها ستشكل رفقة سيئة جداً.

وافقت غصياً عنها، وتوجت امتعاضها بكلمة «حسناً»، تحتل
لف تأويل.

استندرا وقملا عائدين إلى القرية. اتصل بإحدى سيارات الأجرة
من كشك للهاتف وجلسا على حافة الرصيف ينتظران وصولها.

قالت، «أريد أن أشكرك على الليلة».

لم ينس بكلمة

- لا أدري إذا كان الاعتدال الربيعي وقعاً على الساحرات، لكنه
سيشكل يوماً مهماً لي.

- الحفلة هي الحفلة..

إذا، أحب أن أدعوك.

أتى بحركة توحى بأنه يريد أن يغير الموضوع. لا بد من نه
بفكر في ما تفكر فيه، ويرأوده ذلك الألم الذي يراودها.
والإحساس المفض باقتراب موعد فراقهما فكم يصعب السحلي عن
توأم الروح حين يتم العثور عليه تخيلته يعود إلى المنزل وحيداً.
يتساءل متى ستعود وهي ستفعل راجعة. لأن قلبها يطلب إليها ذلك
برغم أن تحفل وحدة الغابة أصعب مما هو في المدن.

تابعت بريدا تقول، لا أدري إذا كان الحب يظهر فجأة، إلا أنني
أعرف أنني منفتحة على العشق، وجاهرة له.

وصلت سيارة التاكسي أخيراً ها قد أرقت لحظة الوداع. بطرب
بريدا من جديد إلى الجوسي، وشعرت بأنه عاد سنوات مكثيرة إلى
الوراء.

قال لها، بما يشبه اعترافاً صعباً بفسوة المراق الذي هما مقدمان
عليه، أنا أيضاً جاهز للحب.

تدفق ضوء الشمس إلى المطبخ الواسع عبر المواقد المتوهجة
بالنفاة

هل نمت جيداً يا حبيبتي؟

وصفت والدتها كوكبا من الشاي على الطاولة مع بعض الحبر
الحمص، ثم عادت إلى المطبخ لتغلي البيض واللحم المقد

- نعم، مكانه مصى علي شبات مديد، شكراً، وبالماسبة، هل
جهر ثوبي؟ أنا أحتاج إليه في حفلة يوم ما بعد الغد.

جاءتها أمها بالبيض واللحم المقد وجلست قريبا. علمت بأن أمرا
غريبا يحدث مع ابنتها، لكن لا يسعها شيء حياله وتت لو أنها
تتحدث معها اليوم، كما لم تفعل من قبل، لكنها لن تحقق
الكثير إذا فعلت، فثمة عالم جديد في الخارج، يشغل فنانها، عالم
لا درية لقلب الأم به.

خافت على ابنتها لأنها تحبها، ولأن بريدا موجودة وحدها في
هذا العالم الجديد.

- سيكون ثوبي جاهراً، ليس كذلك يا أمي؟

أجابتها والدتها، نعم، عند موعد الغداء. أسعدتها ذلك، فثمة أمور
على الأقل لم تتغير في العالم. وهناك مشكلات لدى البنات لا تزال
الأمهات يجدن حلولاً لها

ثم ترندت قبل أن تسأل.

- كيف لورنس؟

- بحير. سيأتي مساء الغد ليعلمني.

شعرت بالراحة والحرن معاً فبطالاً خدشت مشكلات قلبها.
روحها، وادتها. وقد شكرت الله بامتنان، لأن ابنتها لا تواجه مثل
هذه الأزمات.

وربما كان هذا هو المجال الذي يمكنها فيه تقديم النصيح
لحكون الحب لم يتغير إلا قليلاً على مر العصور.

شرعنا في السير حول القرية الصغيرة التي أمضت فيها بريد
طفولتها. لم تتبدل المزارع ولا يرال الناس يشغلون في الأمور نفسها
التي صالنا شعلتهم التفت ابنتها بعض أصدقاء الدراسة القدامى ممن
يعملون الآن إما في بنك القرية وإما في متجر فرطاسيتها تبادلوا
التحية وتوقفوا للتردشة وقال بعضهم لبريدا كم نسا كمبرت.
وأخرون عترفوا كم أنها تبدو جميلة ثم حطنا حولي العاشرة في
المقهى الذي تعودت أمها أن تقصده في أيام السبت. قبل أن تلتقي
روحها، في تلك الأيام التي كانت لا ترال تأمل فيها لقاء شخص ما
فتجرفهما دوامة الشعف وتحلم بوضع حد لحلفة الأيام التشابهة التي
لا تنتهي.

بطرات من جديد إلى ابنتها وهي تُطلعها على آخر أخبار سكان
القرية. وقد سزها أن بريدنا لا ترال مهتفة

قالت بريدنا، عليّ حقاً أن أحصل على الثوب البوم. بدت قلقة.
برغم أن هذا ليس سبب توترها. فقد عرفت أن أمها لن تخذلها أبداً
قررت الوالدة أن تخاطر وتطرح السؤال الذي غالباً ما يكره

الأولاد الإجابة عنه، لأنهم يتمتعون بالاستقلالية، والحرية، وفادرون
على حل مشاكلهم بأنفسهم.

- أئمة ما يشغل بالك؟

هل سبق لك أن وقعت في حب رجلين معاً، يا أمي؟، قالت
الفتاة العاشقة والحائرة، وفي صوبها بيرة تعذ كما لو أن الحياة لم
تنصب شباكها إلا لها وحدها

قصمت أمها قطعة من كعكاتها، وسرعان ما حلت في عينها
بطرة بعيدة كما لو أنها رجعت بعيد في الذكريات، بحثاً عن
رمن كاد بضيع.

- نعم، سبق لي.

حدثت إليها بريدنا بدهشة

قابضت أمها ودعتها إلى إكمال مسيرتهما، ومفادرة المقهى. وما
إن خرجنا بعيداً قليلاً، حتى صارحت ابنتها،

والدك هو حبي الأول والأكبر وأنا لا أرال سعيدة كثيراً معه.
وحصلت عندما كنت أصغر منك على كل ما يمكنني الحلم
به. اعتقدنا، أنا وصديقاتي في تلك الحقبة، أن الحب هو السبب
الوحيد للحياة وإذا لم تجدي شخصاً ما، فلن يمكنك الادعاء عندها
نك حققت أحلامك كلها.

فقالت بريدنا وقد عيل صبرها، الترمي الموضوع، يا أمي

الكنني امتلكت أيضاً أحلاماً أخرى. حلمت، مثلاً بما استطعت
تحقيقه، أي بالمضي إلى المدينة الكبرى واكتشاف العالم، لوجود
خارج قريتي وكانت الطريقة الوحيدة لحمل والدتي على قبول

قراري، هي في القول لهما أنني أحتاج إلى متابعة بعض الدروس غير الموفرة محلياً

«بطلاً جافاسي النوم في الليالي، وأنا أفكر في كيفية إثارة الموضوع مع والدي. خططت بالضبط لا أريد قوله، وتوقعت ما سيقولانه رداً على ذلك، وكيف سأجيب بدوري

لم يسبق لوالدتها أن تحدثت إليها على هذا النحو من قبل شعرت بمزيج من العطف والأسف كان بإمكانهما التمتع بأوقات مماثلة أخرى، لو لم تكن كل منهما عالقة في عالمها الخاص، وفيهما الشخصية

«التفتيت والدك قبل يومين من استعدادي للتحديث مع أهلي بطرت في عيبيه، ورأيت فيهما بريقاً خاصاً، كما لو نسيت النقيت. بعد طول انتظار، الشخص الذي أرغب كثيراً في أن تجمعني الأقدار به.

«نعم، مررت في التجربة نفسها».

«أدركت أيضاً، بعد لقائي لبات، أن بحثي قد بلغ محطاته الأخيرة لم أعد في حاجة إلى تفسير آخر للعالم. ولم أشعر بالإحباط لعيشي هما، وأنا أرى دوماً الأشخاص أنفسهم. وقوم بالأعمال ذاتها، لأن كل يوم أصبح مختلفاً بسبب الحب الكبير الذي كان يعاود كل لحظة لإيقاد جذوة شغفه بيّناً

«بلاندا نخرج معاً، ثم تروحنا. لم أحنثه قط عن أحلامي بالذهاب إلى المدينة الكبيرة والعيش فيها، وباكتشاف أماكن أخرى وناس مختلفين، لأن قريتي أصبحت فجأة تتسع للعالم بأسره. وأصبح الحب تفسيري الأكبر للحياة

«أشربت إلى شيء آخر يا أمي».

لكن أمها اكتفت بالرد، مدعيني ترك شيئاً.

سارنا إلى أسفل الدرج الموصل إلى كنيسة القرية الكاثوليكية التي دمرت وأعيد بناؤها على مر القرون. تعاونت بريدنا أن تحضر القديس فيها كل يوم أحد، وتذكرت أن تسلق الدراج وهي طفلة، كان شاقاً كثيراً عليها ونوزع عند بنيتها بقشمان، واحد للقديس بولس إلى اليسار وآخر للقديس يعقوب إلى اليمين، وقد تهاكلا بعض الشيء بفعل الرمن والسيح وغطت الأوراق الجافة الأرض كما لو أن الخريف هو الذي سيحل وليس الربيع

تقع الكنيسة عند رأس التلة، وتستحيل رؤيتها من مكانهم بسبب كثافة الأشجار. جلست أم بريدنا على الدرجة الأولى ودعتها إلى أن تحذو حذوها

«فالت، بدأ الأمر في هذا المكان، عندما قزرت بعد صهر أحد الأيام، لسبب أو لآخر، أن أجيء إلى هنا لأصلي. احتجت إلى الوحدة، وإلى التفكير في حياتي، واعتقدت أن الكنيسة هي المكان المناسب لذلك

«لكنني ما إن وصلت إلى هنا حتى التفتيت رجلاً يجلس حيث كنت الآن، وإلى جانبه حقيبتان بنا صناعاً كئيلاً، وهو يقف بياض صفحات الكتاب الذي في يده. اعتقدت أنه سأتجيب بحث عن صدق، فنوجهت إليه. بل إني شرعت حنى في الحديث معه. طهر، في النهاية، مرتاعاً بعض الشيء، ثم استرخى

«قال إنه ليس تائهاً فهو عالم آثار يقود سيارته شمالاً، حيث تم العثور على بعض الآثار، وقد تعطل محركها وفي انتظار قدوم الميكانيكي قريباً، قرر أن يروى الكنيسة. سألني عن القرية والبلدات الأخرى المجاورة وعن الليالي الليلية

أحسنت فجأة، كما بسحر ساحر، جميع المشاكل التي كنت أتخبط فيها. شعرت بأنني مفيدة، وبدأت أحيره بكل ما أعرفه، وأبشع بار السنوات الطويلة التي قضيتها في المنطقة، بات لها في النهاية معنى. يوجد أمامي رجل درس الشعوب والتجمعات، وقد يحفظ في ذاكرته، من أجل ميمعة الأجيال المقبلة، كل ما سمعته واكتشفته وأنا صممة. جعلني ذلك الرجل الجالس على الدرج، أدرك أنني مهمة للعالم ولتاريخ بلدي. شعرت بأجمل ما يمكن الكائن البشري أن يملكه، وهو أنني ضرورية.

انتهيت من إخباره عن المكينة، لكننا مضينا في الحديث عن أمور أخرى. أبلغته كم أنني فحورة بقرينتي، ورد ببعض العبارات لكاتب لا أذكر اسمه الآن، تنحلت عن أن إدراك المرء قرينه يساعد على إدراك العالم.

أجابتها بربنا، إنه تولستوي.

لكن والدتها كانت لا تزال مسافرة في الرمن، تماماً كما فعلت هي في يوم من الأيام، إلا أن أمها لم تتطلب كاتدرانيات هائلة في التسع، ومكتبات تحت الأرض، أو كتب أكلها الغبار، بل نطّبت فقط ذاكرة بعد ظهر ذلك اليوم الربيعي، ورجلاً جالساً على الدرج ومعه حقيبتان.

تحدثنا لبعض الوقت. كانت لدي فترة بعد الظهر لفضلتها معه، لكنني قررت، وقد يصل اليكاسيك في أي لحظة، أن أستخدم من كل ثانية إلى الحد الأقصى. فسألته عن عائلته، والحفريات الأثرية، وتحديات قصص حياته وهو يبحث عن الماضي عبر الحاضر وحديثي هو عن الحاربيين والحكماء، والفراسة ممن سكنوا بلادنا في السابق.

وقيل أن أستيقظ، كانت الشمس قد انخفضت في الأفق. لم يسبق في حياتي قط أن مر الوقت بمثل هذه السرعة. أحسست بأنه شعر بالأمر ذاته. واصل طرح الأسئلة علي لإبقاء الحديث مستمراً، وكلي لا يمنحني الوقت لأقول إنه علي أن يغادر تحدث من دون توقف. أخبرني عن كل تجاربه، وأراد أن يعرف كل شيء عني أيضاً. لمكني أن أرى في عيني أنه يرغب في بقوة، ورغم أنني كنت أبلغ في ذلك الوقت صغفي عمرك الآن.

كان الطقس ربيعياً، والهواء يعبق برائحة رائعة. شعرت بأنني شابة من جديد. توجد رهرة لا تفتح إلا في الخريف، وقد شعرت، في ساعات بعد الظهر ذاك اليوم، بأنني تلك الرهرة. كما لو أن ذلك الرجل ظهر فجأة على الدرج في حريف حياتي، عندما اعتقدت أنني اختبرت كل ما يمكنني احتباره، ليظهر لي أن الشاعر - الحب على سبيل المثال - لا تشيخ مع الجسد. مشاعر تهب على أرواحنا قادمة من جزء من العالم بجهله، ولا يعرفه لكنه عالم لا وجود فيه للزمان، ولا موصلي قدم للمكان فيه، أو للحدود.

صمتت، وبقيت جامدة في مكاني لبرهة، وعيناه لا تزالان شاركتين مسفرتين في ذلك الربيع البعيد.

شعرت أنه شبه بمراهقة في الثامنة والثلاثين، بأن شخصاً يريد وصالي بقوة، ثم يؤذني أن أغادر توقف فجأة عن الكلام، وبطر في عمق عيني، وبتنسم، كما لو أن قلبه أدرك ما أفكر فيه وأراد أن يقول لي إنه صحيح، وإنني مهمة جداً له. صمت لبعض الوقت عن أي كلام، ثم ونعسي وودعته والميكاسيك لي يصل بعد.

تساءلت: طوال أيام كثيرة، إذا كان هذا الرجل موجوداً فعلاً، أم أنه ملاك أرسله الله ليعلمني الدروس السرية للحياة. فزرت في

النهاية أنه رجل حقيقي، شخص أحبني ولو لساعات بعد ظهر يوم واحد، وأعطاني كل ما احتفظ به لنفسه طوال حياته: كفاحاته، أفراحه، مصاعبه، وأحلامه. وأنا أيضاً منحته نفسي كاملة في بعد الظهر ذاك اليوم. كنت رفيقته، زوجته، المستمعة إليه، عشيقته وقد اختبرت في بصع ساعات فقط حب حياة كاملة.

تطلعت الأم إلى الابنة، وهي تأمل أنها قد فهمت، لكنها شعرت في أعماقها بأن بريد تعيش في عالم لا مكان فيه لهذا النوع من الحب.

وإنتهت إلى القول، «لم أسكن قط عن حب والديك ولو ليوم واحد فلطالما وقف إلى جانبي بادلاً ما في وسعي، وأريد أن أبقى معه إلى النهاية لكن القلب غامض، وأنا في الحقيقة لا أزال لا أفهم ما الذي جرى بعد ظهر ذلك اليوم. ما أعرفه أن لقائي هذا الرجل تركني أشعر بأنني أكثر ثقة، وأظهر لي لا ريت أملك القدرة على أن أحب وأحب، وعلمني أمراً آخر لن أنساه أبداً، لا يعني العثور على أمر مهم في الحياة، التخلص عن جميع الأمور المهمة الأخرى، ولا التسكّر لها.

لا أزال أفكر فيه أحياناً. أود لو أعرف مكانه، وهل لا يزال حياً، أم أن الله قد استعاد روحه. أعرف أنه لن يعود أبداً. ولهذا، يمكنني أن أحبه يمثل هذه القوة وهذا اليقين، لأنني لا أستطيع أن أفقد. فهو، بعد ظهر ذلك اليوم قد وهبني نفسه بكلبتها.

بهضت الوالدة، وقالت، «من الأفضل أن نذهب إلى المنزل وننتهي من تحضير ثوبك».

أجابته بريد، «أعتقد أنني سأبقى هنا لبعض الوقت».

نوخته إلى ابنتها وقبلتها بحبة

شكراً لاستماعك إلي. لها المرة الأولى التي أخبر فيها هذه القصة لأحد. لطالما حمت أن أموت قبل أن أفعل ذلك، فتمحى القصة عن وجه الأرض إلى الأبد. وها أنت الآن ستحتفظين لي بها.

قالت في نفسها، أنا ساحرة، وهي تكافح ضد اللقاعة متنامية لدحول الكنيسة. فكيفستها باتت اليوم حكمة مختلطة. ولو أنها دخلت من هذه الأبواب فستلخص المكان وتلخص هي أيضاً برغم أن الله الذي تبحث عن حقيقته للطفة هو نفسه واحد أحد.

أشعلت سيجارة وحنفت إلى الأفق وهي تحاول ألا تهجس في هذه الأمور، وفكرت بدلاً من ذلك في أمها. شعرت بالحاجة إلى العودة راکصة إلى السرل، ويطوبق عبقها بذرعها، وبأن تقول لها إنها، بعد يومين، ستلقر الأسرار الكبرى للسحر، وقد قامت برحلات عبر الزمن واختبرت قوة الجنس، وفي إمكانها الآن أن تحزر ما يوجد في واجهة متجر باستخدامها تقنيات حكمة القمر تسمى بو تخبرها بأنها تحتاج إلى الحب والتمهم لأنها هي أيضاً تعرف قصصاً لا يمكنها أن تروها لأحد.

توقفت الأرفع عن العرف، وتباهت إلى سمع بريدا من جديد أصوات القرية، وغناء الطيور، وحميف الهواء الذي يحرك الأغصان ويشرع بعون الجميع سمعت صرير باب يفتح ويخلق في الجهة الخلفية للكنيسة معلناً مغادرة أحدهم. وللحظة، شاهدت نفسها هي يوم أحد من ذاكرة طمولتها الخصبة، نقف حيث هي الآن، وتشعر بالحرق لأن القدس استغرق وقتاً طويلاً جداً، وسرق ساعات جميلة من يوم الأحد، وكانت ستخصصها لاستكشاف الحفول.

يجب أن تدخل. ربما مكان في وسع والدتها أن تنهم شعورها، لكها بعيدة الآن. وها إن أمامها كنيسة فارغة، وهي لم تسأل ويحكا قط عن دور المسيحية بالتحديد في كل ما حدث. أحست بأنها إذا دخلت من ذلك الباب، فستخون كل شقيقاتها اللواتي أحرقن على العمود.

ثم قالت في سرها، الكني أنا أيضاً أحرق على العمود.

صعدت بريدا الدرج ووقفت خارج الكنيسة، هذا المبنى الصغير، المستدير، الذي يشكل محبرة المنطقة إنه واحد من أهم أماكن العبادة المسيحية في إيرلندا، وأقدمها، ويأتي الباحثون والسياح سنوياً لزيارته لم يبق شيء من البنية الأساسية التي تعود إلى القرن الخامس سوى بعض الأطلال الأثرية هنا وهناك. كل تدمير كان يعفو عن مكان سليم بما يسمح للزائر بتقصي تاريخ الأساليب المعمارية المختلفة التي تشكل الكنيسة.

وقفت بريدا خارجاً تستمع إلى موسيقا أرفع يعرف في الداخل كل شيء مخطط بوصف شديد في تلك الكنيسة، فالمكان موجود بالتحديد في مكانه المخصص، ولا يحتاج كل من يدخل أبوابها الشرعة للمؤمنين، إلى القلق من أي شيء لا توجد قوى غامضة في الأعلى، ولا، ليالي ظلمة، تدعو المرء إلى الإيمان من نور إدراك. فلا كلام على إحراق الناس على العمود، ويعيش رجال دين العالم معاً كما لو أنهم حلماء، رابططين الناس مرة أخرى بالله. لكن جريرتها لا تزال تشكل استثناء لهذا النعاش السلمي. ما زال الناس في الشمال، يقتلون بعضهم البعض باسم الدين، لكن ذلك سيتوقف في النهاية. يكاد يتم التبرؤ من الله فهو والدنا الكريم، وجميعنا سنخلص

وتذكرت الصلاة التي تلتها وبكا في يوم ذكرى استشهاد الساحرات، وأشارت فيها إلى يسوع ومريم. فالحب يسمو على كل ما عنده، ولا يوجد حقد فيه، بل خطأ طرفي فقط. وربما قزّر البشر عند حد ما، أن يصنعوا من أنفسهم ممثلين عن الله، ولتركبو بالتالي أخطاء، الله براء منها كلها

دخلت الكنيسة في النهاية. لم يكن أحد في الداخل. بنا من بعض الشموع المحترقة أن أحدهم قد كلف نفسه ذلك الصباح عاء تجديد عهده مع القوة التي يمكنه الشعور بها هنا، وهكذا اجتاح الجسر الذي يربط بين العالمين المظلم واللامبهور. أسعت للأفكار التي راودتها قبل دخول الكنيسة. فهذا أيضا، ما من شيء له تفسير. وعلى الناس المحاطرة والغوص في «ليل ظلمة الإيمان» وها إن الإله البسيط في الظاهر موجود أمامها وقد بسط ذراعيه

ليس هي استطاعته مساعدتها فهي في قرارها وحدها، وليس في مقدور أحد أن يعيها في ما هي فيه. عليها أن تتعلم ركوب المخاطر، هي التي لا تملك المواهب ذاتها، التي للمصلوب أمامها، الذي عرف ماهية رسالته كونه ابن الله. وهو لم يرتكب أي خطأ قط لم يدرك مطلقا الحب الإنساني العادي، بل حب والده وكل ما وجب عليه القيام به هو الكشف عن حكمته، وتعليم البشر الطريق الحقيقية إلى السماء.

هنا، إذا، كل ما في الأمر؟ تذكرت صف التعليم الديني في يوم أحد، كان الكاهن فيه ملهما أكثر من المعتاد وكان هد الجراء من الدرس يتعلق بيسوع الذي يرشح دما وبصلي إلى الله لينفع عنه الكأس التي أجبر على تجرّعها

وسأل الكاهن، «لماذا يفعل، إذا كان يعرف بالفعل أنه ابن الله؟». وأجاب، «هذا لأنه عرف ذلك في قلبه فقط. فلو أنه تأكد من الأمر

على نحو مطلق لا كان لرسالته معنى، إذ يصبح عندها إنسانيا بالكامل. لأن كون المرء إنسانياً يعني أن تتنابه الشكوك، ويواصل، برغم ذلك طريقه.

نظرت من جديد إلى الصورة، وشعرت للمرة الأولى في حياتها بأنها أكثر قربا منها. فهنا، ربعا، رجل خائف ووحيد، يواجه الموت ويسأل، «هنا، هنا، لماذا تركتني؟». وهو يقول ذلك لأنه، حتى هو، غير متأكد إلى أين هو ذاهب. ركب المحاطرة وخاص، على غرار جميع البشر، في «ليل الظلمة»، مدركا أنه لن يعرف الجواب إلا في نهاية رحلته. وهو أيضا اضطر إلى المرور في حالة الغلق التي تسبق اتخاذ القرار بتركه والده وأمه وقريته الصغيرة ليمضي في البحث عن أسرار الإنسان وكنهه الشريعة

ولا بد، باحتيازه ذلك كنه، من أنه عرف الحب، برغم أن الناجيل لا تشير إلى ذلك أبدا. يصعب تبادل مشاعر الحب بين الناس، وهي عصبية على العهد أكثر من حب الحكائن الأعظم إلا أنها تتذكر أنه عندما قام من الموت، ظهر أولا على المرأة التي رافقت له حتى النهاية.

بلت الصورة الصامتة وكانها توافق معها. فقد عرف هو الناس، والبيد، والخبر، والحفلات، وجميع جمالات العالم. ويستحيل أنه لم يعرف أيضا حب امرأة، وقد رشح دما على جبل الزيتون لأنه صعب عليه، لكونه عرف حب شخص واحد، أن يخاطر الأرض وبصخي بنفسه، محبة لجميع البشر

اختبر كل ما يمكن للعالم أن يقنمه. وبرغم ذلك واصل مسيرته، عارفا أن «ليل الظلمة» سينتهي على الصليب، أو على كومة مشتعلة من الحطب.

«ربي، جميعنا موجودون على الأرض لركوب مخاطر تلك الليلة الصلحاء. أخاف الموت، وأخشى أكثر أن تذهب حياتي هدرًا. أخاف أن يلزمنا الحب بأمور تتجاوز إدراكنا صحيح أنه يشع نوراً وضياء على درجة كبرى من التألق، لكن الطلال التي يطرحها ترعيتي.

أدركت فجأة أنها تصلي. وذلك الإله الصامت، البسيط، ينظر إليها، ويبدو أنه يفهم كلامها ويأخذه على محمل الجد.

جلست لفترة تنتظر جوابه، لكنها لم تسمع صوتاً أو تر إشارة فالجواب هنا أمامها، في ذلك الرجل المسمر على الصليب الذي قام بدوره، وأظهر للعالم أنه هو الذي لكل واحد دوره لا وجب على أحد أن يتألم. فقد عانى هو الألم نيابة عن جميع أولئك الذين امتلكوا الشجاعة للقتال في سبيل أحلامهم.

وجدت بريداً نفسها تمتحب بصمت، ورغم أنها لم تعرف السبب.

النهار مكتمل. لكنها لم تمطر. عاش لورنس لسنوات صويلة في تلك اللجينة ويعرف غيومها بهص. ومضى إلى المصباح ليعد بعض القهوة. انصمت إليه بريداً في الوقت الذي أخذت فيه المياه بالعليان.

قال، «أويت إلى الفراش في وقت متأخر جداً الليلة الماضية».

لم تجب

تابع، «اليوم هو اليوم الفرر، وأعرف مدى أهميته لك. أحب أن نكون معك هناك».

قالت بريداً، «إنها حفلة».

- وماذا يعني ذلك؟

- إنها حفلة، ونحن منذ تعارفنا، نذهب إلى الحفلات معاً أنت مدعو أيضاً.

رمن هراقهما، وأنه معجب بها أكثر من أي امرأة أخرى في العالم،
بأسئناء بريدا، لأن بريدا هي قوام روحه.

وستشعر ويككا بمنطقها بالسعادة، لكونها امرأة حكيمة

فكر قائلاً، لا بد من أنني أتقدم في السن، وأشرع في تخيل
الحادثات، ثم تنأى إليّ أن الأمر ليس مسألة عمر فحسب، فهذه
هي الطريقة التي طالما تصرف بها الرجال الذين وقعوا في الحب.

خرج الجوسي ليري إذا كان شتاء اليوم السابق قد أصر ببياناته
الاستوائية إنها بخير انفسهم في قرارة نفسه يبدو أن قوى الطبيعة
تتعاون أحياناً

فكر في ويككا فهي لن تتمكن من رؤية هالتي البور، أنه لا
يمكن إلا لتوأمي الروح المعسفين أن يرباها، لكنها ستلاحظ
بانتاكيد الطافة السبقة من إشعاعات البور المنقلة بينه وبين
رببتها، فالساحرات نساء قبل كل شيء.

نصف حكمة الغمر الأمر بأنه «رؤيا الحب»، وهذا قد يحدث
أحياناً بين أناس ليسوا، ثوانم أرواح، لكنهم هانمون في العشق إلا
أنه تخيل أن هذا سيملاها حقاً، حتى النساء الذي شعرت به حالة
ذات الرداء الأبيض، التي لم يسعها أن تسمح لامرأة أخرى بأن تكون
أكثر جمالاً منها

لكن ويككا معلمة، وستترك على الفور مدى عبثية مشاعر
الحق، إلا أن لون هالتي سيككون عند ذلك قد تغير

حيثما، سيتوجه صوبها، يقبلها على حلقها، ويقول إنه استطاع أن
يدرك أنها غيرة. ستعفي الأمر، ويسألها حيثما عن سبب غصبتها

ستقول إنها امرأة، ولا تحتاج إلى تفسير مشاعرها. وسيهينها مزة
أخرى على حلقها، لأن ما قاله صحيح. سيخبرها كم اشتاق إليها

سُررت وبكا لأن الطر توقف، وانقشعت الغيوم قبل هبوط الليل
فالطبيعة تحتاج إلى أن تكون على وفاق مع سيرورة حياة
الكائنات البشرية

اتخذت جميع الخطوات الضرورية لعب مكل واحد دوره، وأصبح
مكل شيء في مكانه

مضت إلى المذبح وابتهلنت إلى معلمها طلبت إليه الحضور في
تلك الليلة التي يجب فيها تلقين ثلاث ساحرات جديدهات، الأسرار
الكبرى، وهي تتحمل وحدها مهمة تعليمهن.

ثم مضت إلى المطبخ لتحضير بعض القهوة، عصرت بعض
البرتقال، وتماولت قليلاً من الخبز المحمص والخبز الهش وهي لا تزال
لهنم بمظهرها لأنها تعلم مدى جمالها ولا تحتاج إلى إهماله لتثبت
أنها ذكية أيضاً، وقادرة.

حركت قهونها بنهم شارد وهي تتذكر اليوم الشبيه بهذا
النهار منذ سنوات بعيدة، عندما ختم معلمها قدرها بالأسرار
الكبرى، وحاولت للحظة أن تتخيل الشخص الذي كانته حينذاك.
وماهية أحلامها، وماذا أرادت من الحياة.

وقالت بصوت مرتفع، لا بد من أنني أتقدم في السن، وأجلس ها
هنا ممكورة في الماضي شربت قهونها وبدأت في تحضيراتها لا
ترال ثمة أمور يجب القيام بها وهي تعرف أيضاً أنها لا تنقدم في
السن لأنه لا وجود للوقت في عالمها

ذهشت بريدنا لعدد السيارات المتوقفة إلى جانب الطريق، وقد حنت
سواء صافية محل غيوم الصباح الثقلة، وأحد آخر أشعة شمس الغيب
فيها بالتلاشي إنه يوم الربيع الأول، برغم البرد القارس في الجو

طلبت الحماية من أرواح الغابة، ثم تطلعت إلى لورنس الذي ردد
الكلمات داتها على نحو أحرق بعض الشيء، لكنه بدا سعيداً
كثيراً لوجوده هناك ينبغي لكل منهما، إذا بقيا معاً، أن يخطر
في واقع الآخر، من وقت إلى وقت، إذ يوجد بينهما أيضاً جسر بين
العالمين المصطنع واللامصطنع والسحر موجود في كل عمل من

سائر ممرهم عبر الغابة حتى بلغا القسعة. باتت بريدنا الآن
مستعدة لما تراه رجال وساء من جميع الأعمار، ومن حيز واسع من
المن بلا شك، وقد اتفقوا في مجموعات، يتحدثون ويحاولون جعل
الحديث كله يبدو وكأنه أكثر الأمور طبيعية في العالم. إلا أنهم
يشعرون، في الواقع، بالدرجة داتها من الحيرة التي تشعر بها هي
ولورنس.

سأل لورنس، وهو لم يتوقع وجود مثل هذا الحشد، هل جميع
هؤلاء الناس جزء من الاحتفال؟

شرحت بريدنا أن البعض ضيوف مثلها، وأنها ليست متأكدة
بالضبط ممن سيشارك، وأن كل شيء سيكشف في وقته

احتارا راوية يصعان فيها حاجياتهما، بما في ذلك الكيس الذي يحمله لورنس، وفي داخله ثوب بريدا وثلاث رجاجات نبيذ. فقد أوصت ويكا بأن يأتي كل شخص، من المشاركين والصيوف برجاجة نبيذ كبيرة. وسبق للورنس أن سأل بريدا عن الصيف الآخر قبل مغادرتهم للبرل، فأبلغته أنه الجوسي الذي ذهبت لزيارته في الجبال، وبم يعط لورنس المسألة مريدا من الاهتمام.

سمع امرأة إلى جانبه تعلق، «تخلوا، تخلوا ما سيفوله أصدقائي إذا عرفوا أنني أشرك في اجتماع ليلى سزي للساحرات».

«اجتماع ليلى سزي للساحرات. لقد بدا هذا الاحتفال من إرفاقه الدم، والسيران، وعصر العقل، والنسيان. حاول لورنس استعادة روعه ففي النهاية يوجد أكثر من الأشخاص مثله هنا لكن فشعربرد اعترته عندما شاهد حكومة من الحطب في وسط المسحة».

كانت ويكا تتحدث مع الآخرين، لكنها حين رأت بريدا جاءت لإلقاء التحية وسألها إذا كانت بخير. شكرتها بريدا على لطفها وعرفت أنها حينها بلورنس.

قالت، «لقد دعوت شخصا آخر أيضا».

نظرت إليها ويكا مذهشة، ثم ابتسمت ابتسامة عريضة، فتأكدت بريدا من أنها عرفت من تعني.

قالت ويكا، «أنا سعيدة. فهذا في النهاية احتفاله هو أيضا لقد مر زمن طويل لم أر فيه ذلك الساحر العزيز. وربما تعلم بعض الأمور».

وصل الريد من الناس ولم تتمكن بريدا من التمييز بين الدعويين والمشاركين. وبعد نصف ساعة، وقد أصبح عند المجتمعين باهر اللمعة، تحدثت ويكا بهيئة ودعت إلى الصمت.

قالت، «إنها مراسم، لكنه أيضا احتفال. ولا يمكن أي احتفال أن يبدأ بدون أن يملأ الجميع كؤوسهم».

فنهت رجاجة النبيذ التي تحملها، وملأت كأس الشخص الذي إلى جانبها. وسرعان ما أخذ النبيذ في الانسياب والأصوات في الارتفاع. لم تشأ بريدا الشرب، فلا يرال حفل الفصح الذي أراها في الرجل المعابد السرية لحكمة القمر، ماثلا في ذهنها. ثم إن الصيف الذي تنتظره لم يصل بعد.

شرع لورنس، من جهته، يشعر باسترخاء أكبر، وأخذ يتحدث مع الناس من حوله.

وقال لبريدا، وهو يبتسم، «إنها لحظة عن حق»! فقد جاء إلى هنا متوقفا أمرا فوق العادة، فتبين أنه مجرد حفل أكثر متعة من الحفلات التي يفهمها رفاقه العلماء».

وعلى مسافة بعيدة بعض الشيء، وقف رجل ذو لحية بيضاء عزفه على آلة أستاذ في الجامعة، لم يعرف ما الذي يفعله في الحقيقة هنا. لكن الأستاذ تعرف إليه أيضا بعد فترة، ورفع كأسه مرخبا

شعر لورنس بالراحة. لم تعد الساحرات عرضة للمطاردة، ولا المتعاطفون معهم أيضاً

سمعت بريدا أحدهم يقول، «الأمر أشبه بنزهة»، نعم، إنه أشبه بنزهة، وهو ما جعلها تشعر بالحق، لأنها توقعت أمرا أكثر شعائرية، وأكثر شيئا بالحفلات الليلية السرية التي شككت وحباً لغويا، وسار - سايس، وبيكاسو والتقطت حينها الرجاجة التي إلى جانبها وشرعت في الشرب.

حفلة يتم عبور الجسر بين العالمين لتطور واللامنطور بوساطة

حصل. أرادت بريدنا أن تعرف كيف يمكن لأي شيء مقنن أن يحدث في مثل هذا المناخ الديبوي.

الليل يهبط سريعاً والناس يواصلون الشرب وما إن أوشك الطلام يغمر كل شيء، حتى أوقد بعض الموجودين من الرجال النار، من دون ممارسة أي شعائر محددة. هكذا كان الأمر في الماضي، لأن النار لم تكن إلا مجزء مصدر للصوء قبل أن تصبح عنصرًا قويًا في شعائر السحر. وهو صوء تجمعت النساء من حوله للحديث عن رجالهن، وتجاربهن السحرية، ولقاءتهن مع الطوائف والجنيات اللواتي يصاحب الرجال في المنام، وهن شياطين الجنس الأكثر إثارة للخوف في القرون الوسطى. هذا ما كان عليه الأمر في الماضي، حفلة، مهرجان شعبي صخم، احتفال سعيد بالربيع والأمل في عصر شككت فيه سعادة المرء تحذيا للمقاوم لأن أحدًا لا يستطيع أن يمتنع نفسه في عالم مصنوع فقط لتجربة الصعيف. نظر سادة الأرض، المروون في قصورهم المطلمة، إلى السيراف في الغابات، وشعروا بأنهم يتعرضون للسرقة. هؤلاء الملاحون منشوقون إلى السعادة، ولا يمكن لأي ممن اختبرها أن يشعر أبدًا بالاستئناس مع الحر. وعندها سيتوقع الفلاحون أن يكوون سعداء على منار السنة، وهو ما سيشكل تهديدًا لكامل البطومة السياسية والدينية.

استشى أربعة أو خمسة أشخاص من السكر، وشرعوا في الرقص حول النار، وهم يحتمل أنهم يقلنون الاجتماع الليلي السري للساحرات. رأت بريدنا بين الراقصين مبتدئًا ممن التفتهم في الاحتفال الذي نظمته ويكا في ذكرى استشهاد الأخوات صممت لأنها اقترعت أن أتباع حكمة القمر سينصرفون على نحو أكثر

التراماً بقضية المكان. تدكرت الليلة التي أمضتها مع الجوسي وكيف أن الشراب أعاق التواصل بينهما في خلال رحلتها الهبولة.

سمعت أحدهم يقول، سيموت أصنقائي حسناً لن يصنفوا أبداً نبي كنت هنا.

لا طاقة لها على احتمال ذلك، وتحتاج إلى الابتعاد قليلاً لتفهم تماماً ما يحدث. ولتقاوم رغبة قوية في الفائرة والعودة إلى المنزل قبل أن يخيب أملها كلها بكل ما ما آمنت به منذ ما يقارب السنة حتى الآن. بحثت عن ويكا، ورأيتها تتحدث وتصحك مع بعض المدعوين. وقد أخذ عدد الراقصين حول النار يتزايد مع الوقت، البعض يصفق ويغني، وأخرون من المحافظين يرافقون الغنن على الإيقاع بالصرب على الرجاجات العارغة بالعبدان أو بالمهايح. قالت للورنس: «أحتاج إلى أن أتمشى».

كان قد تحلق حوله عدد من الناس وقد أخذوا بما يخبرهم به عن الحجوم القديمة ومعجرات الفيرباء المعاصرة. لكنه توقف فجأة عن الكلام، وسألها: «أترغبين في أن أجيء معك؟».

«لا، أفصل أن أكون وحدي».

تركزت المجموعة وسارت عبر الغابة. أخذت الأصوات تصبح أكثر صخبًا، واختلط كل شيء في رأسها، الكسر، التعليقات، الناس حول النار الذين يتبعون أنهم سحرة وساحرات. لقد انتظرت هذه الليلة طويلاً ليتبين أنها ليست سوى وحدة، شبيهة بتلك التي تحييها الجمعيات الخيرية ويتناول فيها الناس الطعام ويسكرون ويخبرون المكات، ويلقون من ثم الحطابات عن الحاجة إلى مساعدة اليهود في نصف الكرة الجنوبي، أو عجول البحر في القطب الشمالي.

بدأت في السير عبر الغابة وقد أبقت النار دوماً في مجال رؤيتها سارت عبر طريق وفّرت لها منظرًا من فوق الصخرة المحورية. إلا أن المنظر من فوق كان أكثر إثارة للخيبة: وبكا منشغلة في السجوال بين مختلف المجموعات، تسأل إذا كان كل شيء على ما يرام، وأناس يرقصون حول النار، وبعض الأرواح يتبادلون أولى قبلاتهم الناتجة عن السكر. لورنس يتحدث بحماسة مع رجلين ربما عن أمور من الجيد مناقشتها في إطار حانة ماء، لكن ليس في احتمال كهذا. وكان أن دخل قادمٌ حديثًا الغابة، غريب اجتنبه الضجيج يبحث عن بعض المتعة.

عرفته من طريقه في المشي.

إنه المجوسي.

هبت مريدا وشرعت تركض عائنة عبر الطريق. أرادت بلوغه قبل أن يصل إلى الحفلة فهي تحتاج إلى أن يساعدها كما فعل من قبل، لأنها تريد أن تفهم معنى ما يحدث هناك.

ظن المجوسي، وهو يقترب أن وبكا لا بد أنها تعرف كيف تنظم اجتماعا ليليا سرّيا للساحرات. تمكّن من رؤية المبعص الخالص للطاقة بين الأشخاص الوجوديين، والشعور به. فالاجتماع السري، في هذه الرحلة من الشعائر، يشبه أي جملة أخرى. فمن المهم ضمان أن يصبح الوجوديون على الواجهة ذاتها وهو، في اجتماعه السري الأول، شعر بصدمة شديدة من جراء ذلك كله وتذكر أنه استدعى معلمه وسأله عما يجري.

سأله معلمه وقد انزعج من مقاطعة المجوسي لحديثه المهم، أنه يسبق لك أن حصرت حفلة من قبل؟.

أجاب المجوسي بأنه فعل ذلك بالتأكيد.

وما الذي يجعل من الحفلة احتفالاً جيداً؟.

أن يمنع الجميع أنفسهم.

قال معلمه، «معد الأيام الأولى لهم في الكهوف والبشر يقيمون الحملات. إنها الشعائر الجماعية الأولى التي تعرف بها، وقد حلت حكمة الشمس على نملها إبقاء هذه الشعائر حية تبقى الحفلة الجيدة أذهان جميع المشاركين فيها، وهو أمر تحقيقه صعب جداً. فالأمر لا يتطلب سوى بضعة أشخاص لإفساد المراج العام. ويعتقد هؤلاء أنهم أكثر أهمية من الآخرين، ويصعب إرضاؤهم لأنهم يعقلون أنهم يهدرون وفيهم لأنهم لا يستطيعون التواصل مع أي

يكن. وينتهي بهم الامر، في العلة، صحايا شكل غامض من أشكال العلة الشاعرية، فيميلون إلى الغادرة وقد نافوا تحب البرقات الهيولية الخارجية من أولئك الناس الذين استطاعوا الانحام مع الآخرين. فنذكر أن الطريق الأولى إلى الله هي الصلابة والآخرى هي المرح.

مزت سنون كثيرة على ذلك الحديث مع معلمه. وشارك المجوسي من يومها، في اجتماعات سزية كثيرة، وهو يعرف أن ذلك مثل نم تدبره بمهارة كبيرة، إذ إن مستوى الصافة الجماعية يتزايد طوال الوقت.

بحث عن بريدا وسط الجمع الكبير من الناس، وهو غير المعتاد على الحشود. يعلم بأنه يحتاج إلى المشاركة في تلك الطاعة الجماعية، وهو على أنه الاستعداد لذلك، لكن تعورده أولا بإعداد تعويد نفسه. وفي وسعها أن تساعد، وهو يشعر باطمئنان كبير حين يحتر عليها

إليه مجوسي، ويعرف في شأن حالة النور وكل ما يحتاج إليه هو تبديل مشاعره. وستظهر هذه الهبة وسط جميع هؤلاء الناس لقد بحث لسنوات عن ذلك النور، وهو هنا على مسافة أمتار منه

بذل المجوسي حالة مشاعره. ويظهر من جديد إلى الأشخاص المجتمعين هناك، لكن هذه المرة بإحساس مختلف. فاستطاع رؤية حيز واسع من الهالات المختلفة الألوان، وكأنها تأخذ في الانتقال إلى ما هو أكثر قرباً من اللون الذي سبهم على تلك الليلة

فكر من جديد، إن ويحكا معلمة ممتازة. وهي تعمل بسرعة كبيرة جداً. فسرعان ما ستهتز الهالات كأنها وتذبذبات لطافة إلى

تحيط بكل جسم حي، كأنها واحدة. وعندها يمكن البدء بالجراء الثاني من الشعائر

تطلع يمنة ويسرة إلى أن حشد أخيراً مكان حالة النور، فقرر أن يقاومها، واقتراب من دون أن يصدر صوتاً

قال، «بريدا،

همس أحد الشبان بتهذيب، لقد ذهبت تنمشي

للحظة بدا أنها نامت دهرأ، نظر المجوسي إلى الرجل الواقف أمامه.

لا بد من أنك المجوسي الذي أخبرني بريد الكثير عنه، قال لوريس. «انضم إلينا. فهي لن يتأخر.

لكن بريدا كانت قد وصلت، فوقفت قبالة الرجلين، تنفّس بصعوبة، وعيناها جاحظتان.

أحسن المجوسي بشخص ما يرافق من الجانب الآخر من النار يعرف تلك المطرة، وهي من تتممكن من رؤية هالات النور، لأن توائم الروح وحدها تتعرف بعضها إلى بعض. إلا أنها بطرة عميقة وقديمة، بطرة من يعرف حكممة القمر وقلوب الرجال والنساء.

استلار المجوسي في مواجهة ويحكا. فابتسمت له من الجانب لآخر للنار، فهي قد أدرجت كل شيء في جزء من الثانية

سمرت بريدا كذلك عينيها بالمجوسي وقد أنصاءهما السرور لجينه قالت، «أود أن أعرفك بلوريس. لقد أصبحت الحفلة فجأة ممتعة، وهي لم تعد في حاجة إلى أي شروحاته

يقي المجوسي على تلك الحالة من الشعور المتبدل. وشهد حالة

بريدا تتحول سريعاً وبقترب من اللون الذي احتارته ويحكا. فهي
مسرورة وسعيدة لجيئه، ويمكن لا يقوله أو يفعله أن يخرب
لغيتها في تلك الليلة. وعليه أن يسيطر على مشاعره بأي ثمن.

قال للورنس، «شررت بالتعزف إليك، فما رثيك في أن تصب لي
كأساً من النبيذ؟»

ابتسم لورنس وناولته الزجاج. وقال، «أهلاً بك في المجموعة، فـ
مؤكد من أنك ستستمتع بالحفلة».

أشاحت ويكا بنظرها وأطلقت تهيدة ارتياح فبريدا لم تلاحد
شياً وهي تلمع حيلة، وستكره ويكا أن تخرجها من حقل
التفكير الليلة بسبب فشلها في اتحاد أبسط الخطوات، وعدم الانصياع
إلى حفل الانسراح العام.

وفي وسعه أن يهتم بنفسه، لأن وراء الجوسي سنوات من العمل
والانقطاع، وسيتمكن من السيطرة على مشاعره، على الأقل :
يحكمي من الوقت لاستبدالها بفهرها وهي تحترم عمله الشدي
وعناده، وتشعر ببعض الخوف من قوته الخارقة

حدثت بعض مدعويها الآخرين، لكنها لم تتمكن من تجاوز
دهشتها لما رآته للفتو هذا هو إذا السبب في إعارته هذا القدر من
الاهتمام لبريدا التي هي في النهاية ساحرة مثل أي ساحرة أخرى
أمضت مختلف تجسدها تتعلم حكمة القمر

فبريدا توام روحه.

لا يد من أن جنسي المسائي لا يعمل كما يجب. فهي
تصورت كل شيء إلا السبب الأكثر بدهة. وعزت نفسها

بالتعكير هي أن فصولها كأنه عاد بنتيجة إيجابية على الأقل:
إنها الطريق التي احتارها الله ليتمكنها من إعادة اكتشاف
تلميذتها

www.newvity.com
By Dalyia

ارتفع صوت التصفيق، وها إن ويكا هي التي تحدد الإيقاع الآن.
إليه إيقاع ملح ومتنظم. تسفرت أعين الجميع في النار لم يشعر أحد
بالبرد، بدا كما لو أن الصيف قد حل بالفعل. فشرع الناس
للتحلفون حول النار في مزرع ثيابهم.

فلعننا قالت ويكا. وغنت مرات عدة أغنية مؤنعة من بيتين
يسيطرين من الشعر، وسرعان ما أخذ الجميع يرددونها معها قلة من
الناس أدركت أنها كلمات الساحرات المقدسة، حيث ما يهم هو
جرس الكلمات وليس معناها. إليه صوت اتحاد الوهب، ويمكن أن
وهبوا الرؤية السحرية - مثل الجوسي وغيره من المعلمين الحاضرين -
رؤية خيوط النور تجمع بين مختلف الناس.

ضجر لورنس أخيرا من الرقص، وأراد الانضمام إلى الموسيقيين.
وبتعد آخرون عن النار، بعضهم لأنه تعب وآخرون لأن ويكا
طلبت إليهم المساعدة على إبقاء الإيقاع مستمر وحدهم الملحنون
لاحطوا ما يجري، وعرفوا أن الحفلة أخذت تدخل في المجال المقدس.
وسرعان ما بقيت نساء حكمة القمر والساحرات الدواتي سيتم
تلقيهن الليلة، يرفضن وحدهن حول النار.

حتى ثلامدة ويكا الذكور توقفوا عن الرقص، لأن شعائر تلقين
الرجال مختلفة، وتحدث في تاريخ آخر. أخذت الطاقة النسائية،
طاقة التحول، تدور وتدور في الحبر الهبولى فوق النار مباشرة.
هكذا هو الأمر منذ الأزل.

بلغت بريدا تشعر بحز شديد. لا يمكن أن يكون المبيد السبب،
لأنها لم تشرب سوى القليل منه. ربما كان وهج النار. شعرت
برغبة كبيرة في خلع قميصها، لكنها شعرت بإحراج أخذ يفقد

لح في الحشد شخص يعرفه، فاعتذر للحظة للذهاب والتحدث إليه.
أحسّت بريدا بالغبطة، وقد استمتعت بوجوده قريبا، لكنها حذرت
فكرة أن تتركه يذهب. أنبأها حنسا النسائي بأن من الفصل ألا
يقضي هو ولورنس الكثير من الوقت معا، فقد يصبحان صديقين،
ومن الأفضل لرجلين يحبان المرأة نفسها، أن يكره أحدهما الآخر،
من أن يصبحا صديقين، فلو حدث ذلك لانهى بها الأمر إلى
خسارتها معا.

تطلعت إلى الناس المتحلفين حول النار. شعرت فجأة بالرغبة في
الرقص هي أيضا. طلبت إلى لورنس الانضمام إليها، فترند للحظة
ثم استجمع شجاعته ووافق. استمر الناس في الدوران والتصفيق
يشربون البيرة، ويضبطون الإيقاع بالفرقة بالعيدان والفانج على
الرجاجات الفارغة. وكان الجوسي، كلما مزت راقصة من أمامه،
يبتسم ويرفع لها كأسه. إنها واحدة من أفضل ليالي حياتها.

انصمت ويكا إلى حلقة الراقصين، حيث يشعر الجميع
بالاسترخاء والفرح. وها إن المدعوين، القلقين بعض الشيء مما قد
يحدث، والمشغلي البال حيال ما قد يرون، يندمجون الآن بكنيتهم
هي روح الليل. لقد حل الربيع، وهم يحتاجون إلى الاحتفال ومل،
أرواحهم الإيمان بأيام مقبلة تديرها الشمس، وليسوا، بأسرع ما
يمكن، الأمسيات الكئيبة وليالي الوحدة التي أمضوها في المنزل.

بالتدريج ككل معنى، وهي نصفق وتبشد تلك الأغنية البسيطة وترقص حول النار. تسفرت عيناها الآن في اللهب وأخلت أهمية العالم لتتصائل باطراد. إنه شعور مشابه كثيراً لما أحيرته عندما كشفت لها أوراق الحط عن نفسها للمرة الأولى.

«سأدخل في غيبوبة ذهبية، نكها لم تهتم، وهمست في سرها، وإن يكن، فهذه الحملة ممتعة!»

«يا للموسيقا العربية، شرع لورنس يفكر، وهو يحافظ على الإيقاع صارباً على الرجاجة لاحظت أنه، انتزبة على الاستماع إلى وقع جسده، أن إيقاع التصفيق وحزس الكلمات بهترن في وسط صدره تماماً، كما يحدث عندما يسمع الطبل الأعظم في حفل موسيقي كلاسيكي. والغريب في الأمر هو أن الإيقاع يتحكم على ما يبدو في خفقان قلبه أيضاً

أخذ يتردد في الخفقان حيث سزعت وبكا الإيقاع لا بد من أن الأمر ذاته يقع للجميع.

أساء عقله أن المرید من الدم يمسب إلى رأسه، لكنه يشارك في شعائر ساحرات، وليس الوقت مناسباً للتفكير في مثل هذه الأمور، وفي وسعه التحنن عن الأمر لاحقاً مع بریدا

وقال بصوت مرتفع، «إنها حفلة، وأريد أن استمتع». وصاح أحدهم قربه، «سمع، اسمع!» وقد ازبالت سرعة بریدا في التصفيق بعص الشيء

«أنا حزة. وفخورة بجسدي لأنه علامة الله في العالم المتطور». لم

تعد حرارة النار نطاق. فقد بدا لها العالم بعيداً جداً، ولم تعد نهالي بالأمور السطحية. إنها حبة، والدم يهتر هي سرايبها، وسأمت بكليتها، جسداً وروحاً، إلى بحثها فالرقص حول النار ليس بجديد عليها، لأن الإيقاع ليقت ذكريات نائمة لرمز كانت فيه معلمة حكمة الرمان. وهي ليست وحدها، لأن الحملة هي إعادة لقاء مع ذاتها ومع الحكمة التي حملتها عبر حيوات كثيرة وقد شعرت باحترام عميق لنفسها

فها هي مزة أخرى في جسد جميل، حارب للابن السنين من أجل البقاء في عالم معاد. عاش في البحر، وزحف على الأرض، وتسلق الأشجار، ومشى على القوائم الأربعة، وهو الآن يقف باعتزاز وقدماء راسخين في الأرض. يستحق هذا الجسد الاحترام على كفاحه الطويل. ولا توجد أجساد جميلة أو بشعة، لأنها جميعها تبعث السار ذاته، وهي كلها الجزء المتطور للروح التي تسكنه.

شعرت بالاعتزاز الشديد بجسدها

وخلعت قميصها

إنها لا ترتدي حمالة صدر، لكن هذا لا يهم. نعم، هي فخورة بجسدها وليس بمقتور أحد أن يستفدها على ذلك؛ حتى لو كانت في السبعين من العمر، لأن الروح تستطيع أن تقوم بعملها من خلال جسدها

ولم يهم أيضاً أن المساء الأخريات حول النار فعلن الأمر ذاته

حلت أخيراً حرام سرواتها ووقفت هناك عارية. شعرت بأنها أكثر حزبة من أي وقت مضى في حياتها فليس لا تقوم به من سبب. تفعل ذلك لأن العري هو الطريقة الوحيدة، في تلك اللحظة، بإظهار مدى حزبة روحها. ولا يهم وجود أناس آخرين يرتدون

ثيابهم ويتفرجون، فكل ما نرغب فيه هو أن يشعروا حيال
أجسادهم بما تشعر به حيال جسدها. وفي وسعها الرقص بحرية
بلون أن يعرقل أي شيء حركاتها. فكل نزة من جسدها تلامس
الهواء، والهواء سخّي جلب معه من بعيد عطوراً سزية تكسوها من
رأسها إلى أخمص قدميها

لاحظ الرجال والمدعوات الأخريات الذين يضربون على رجالات
المبهد، أن النساء حول النار عاريات، فصعقوا، أو أمسكوا بأيديهم
وغنّوا. أحيانا بلطافة وأحيانا بجموح. لم يعرف أحد من الذي
يصبب الإيقاع، أهم الناس الذين يطرقون على الرجالات، م
التصفيق، أم الموسيقى بدوا جميعهم مدركين ما يجري، حتى لو أن
أحدهم امتلك في تلك اللحظة ما يكفي من الشجاعة لكسر
الإيقاع، لما أمكنه ذلك. وبواجه المعلمون في هذا الوقت من الشعائر
واحدة من أكبر مشكلاتهم، وهي التأكد من عدم إدراك أحد أنه
في حالة غيبوبة ذهنية يحتاجون إلى الشعور بأنهم يسيطرون على
الأمر ولو لم يكوّنوا كذلك. ولا تمنحك وبكا القابوس الوحيد، وهو
عدم التلاعب بإرادة الآخرين، وهو أمر إن كسر تعاقب عليه
الحكمة بشدة استثنائية، لأن الجميع يعرفون أنهم موجودون في
اجتماع ليلى سزي للساحرات، وأن الحياة تعني، بالنسبة إلى
الساحرات، مباحة الكون.

ولن يخبر أي من هؤلاء الناس عما رآه عندما أصبح هذه الليلة، في
وقت لاحق، مجزّد لتكرري ليس ما يمنعهم من ذلك سوى أنهم
شعروا جميعهم بأنهم في حصرة قوة عظيمة، قوة غامضة
ومقننة، وفائقة الحد، قوة لن يجروا أي بشري على تحذيرها

طلبت إليهن المرأة للتشحة بالثوب الأسود أن يستدرن وهي المرأة

الوحيدة التي لا ترال ترتلي كامل ثيابها، بينما الأخريات جميعهن عاريات ويرقصن ويصفقن ويتمايلن.

وصع رجل كومة من الثواب قربها ثلاثة سيتم ارتداؤها للمرة الأولى، واثنان متشابهان تماماً من حيث الطراز هؤلاء هم الأشخاص الذين يتمتعون بالوهبة نفسها التي اتخذت شكلها المادي في الثوب الذي خلعت به كل امرأة.

لم تعد وبكا في حاجة إلى التصفيق الآن، فالآخرون استمروا في ذلك، كما لو أنها هي التي لا ترال تحافظ على الإبقاء ركعت. صغلت بابها مينا على رأسها وشرعت في أعمال القوة.

إن قوة حكمة القمر، حكمة الرمان، موجودة هناك وهي قوة على درجة كبيرة من الخطورة، قوة يمكن للساحرة استحصارها حين يصبح معلومات وتعرف وبكا كيفية استخدامها، إلا أنها طلبت برغم ذلك الحماية أولاً من معلمها

في تلك القوة نسكر حكمة الرمان. هناك الأقعي، الحكيمه والبارعة وحدها العذراء تستطيع أن تخصع الأقعي بأن تسحق رأسها تحت عقبها لذلك صلت وبكا أيضاً للعذراء مريم، طالبة إليها صفا، الروح وبقائها، وثبات اليد، وحماية رداثها بحيث يمكنها إيراد تلك القوة على النساء أمامها من دون أن تخوي أب مهن، أو تسيطر عليها رفعت وجهها صوب السماء، وبلت بصوت ثابت ووثق، كلمات القلجس بولس.

فاندي يفسد هيكل الله يفسد الله، لأن هيكل الله مقتس، وهو أنتم.

لا يخدعن أحد نفسه. إن طن أحد بيسكم، في هذا الدهر، أنه حكيم، فليصز جاهلاً ليصير حكيماً

لأن حكمة هذا العالم جهالة عند الله. فقد كتب، أنه يصطاد الحكماء بخدعتهم.

ونصاء، إن الرب يعلم أفكار الحكماء أنها باطلة،
لأنه فلا يعتخرن أحد بمشرو، لأن كل شيء هو لكم.

أبطال ويكا إيقاع التصفيق بحركات قليلة من يدها أحد الأشخاص الذين يصربون على رجاجات السبذ يفعلون ذلك ببطء أكبر، وكذلك شرعت النساء في إبطاء تعابلهن ودوراهن تبقي ويكا القوة تحت السيطرة، وعلى الأوركسترا كلها أن تعمل جيداً من البوق الأعلى صوتاً إلى أهدأ مكان. احتاجت، لتحقيق ذلك، إلى مساعدة من القوة، لكن من دون أن تستسلم لها فعلاً

صفقت بيدها محلثة ما يكفي من الضجة، فتوقف الجميع تدريجاً عن العرق والرقص. اقتربت الساحرات من ويكا والتقطن اثوابهن، وبقيت ثلاث نساء فقط عاريات. وكأنتم في مركز سكت هن الحد، ساعة ونعاس وعشرون دقيقة من الصوت المتواصل. كان جميع الموجهين في حالة من الشعور التبدل، لكن لم يهتفوا منهم، في ما عدا النساء الثلاث العاريات، إدراكهم مكان وجودهم. أو ما يقومون به.

أما النساء الثلاث فكان في حالة من الغيبوبة الذهنية فأمسكت ويكا بخنجرها الشعائري ووجهت كل قوته المركزة صوبهن.

ستظهر مواهبهن سريعاً. وهي طريقتهم في خدمة العالم، فها هن قد بلغن أخيراً منتهى الطرافات الطويلة والمثوية التي سلكنها وكل منهن جليرة بما حققتنه، بعدما اختبرها العالم بكل

طريقة ممكنة وسوف تدبج حياتها اليومية وامتلاك مواضع ضعفها العهود، وتمارس أفعالها المعتادة بما فيها من نضافة وقسوة. وستواصل عنديات نفسها وفرحها، بما كما هو أمر كل من يشكّل جزءاً من عالم يعيصر دائماً وستعلم أيضاً، في الوقت المحدد، بأن كل كائن بشري يحمل في داخله أمراً أكثر أهمية من ذاته الخاصة، هو موهبته الخاصة تحديداً، لأن الله استودع في يد كل شخص موهبة، وهي الأداة التي يستخدمها ليظهر نفسه للعالم ويساعد الإنسانية، قاله قد اختار الكائنات البشرية لتساعد في الأرض.

والبعض يترك موهبته من خلال حكمة الشمس، والبعض الآخر من خلال حكمة القمر، لكنهم، في مال الأمر، يعرفون جميعهم ما هي مواهبهم، حتى لو تطلب منهم ذلك تجسّدات

وقعت ويكا فوق الحجر العظيم الذي وضعه الكهنة الكلتيون هناك. وقد تحلقت الساحرات بثيابهن السوداء في نصف دائرة من حولها تطلعت إلى النساء العاريات الثلاث، وكأبت أعينهن تلمع. اقتربن.

سارت النساء إلى وسط الدائرة البصفية، وطلبت ويكا إليهن الاستلقاء، ووجوههن إلى الأرض وأيديهن مبسطة على شكل صليب.

شاهد المجوسي بربدا تستلقي على الأرض. وحاول التركيز في هالنها. لكنه رجل، والرجل يهبط دوماً إلى جسد المرأة.

لم يرد أن يتذكر. لم يخش أن يفكر هل هو يتألم أم لا. أدرك

أمراً واحداً فقط، هو أن مهمته مع توأم روحه التي إلى جانبه قد انتهت.

من المؤسف قصاء مثل هذا الوقت القصير معها. لكن لا يسعه التفكير على هذا السؤال. لقد تشاركنا، في فترة زمنية ما، في الجسد نفسه، وشعرا بالألم نفسه، والمثلثات نفسها. وربما سارا في غابة تشبه هذه الغابة، ونظرا إلى سماء الليل التي تنالا فيها النجوم المشرقة بنفسها وابتسم لدى تفكيره في معلمه الذي جعله بمضي تلك الفترة الطويلة في الغابة، لا شيء، إلا ليفهم لقاء توأم روحه

هكذا هي الأمور في حكمة الشمس، حيث نجبر كل شخص على تعلم ما يحتاج إلى تعلمه وليس ما يريد تعلمه. سببنا قلبه الرجولي لفترة طويلة، لكنه يشعر في قلبه الجوسي بالرهو وبالشكر للغابة.

نطرت ويكا إلى النساء الثلاث الممدات عند قدميها، وشكرت الله على تمكيناها من مواصلة القيام بالعمل نفسه عبر هذا القدر من الحيوانات الكثيرة، فحكمة القمر معين لا يصب. كرس الكهنة الكلتيون تلك المسحة في الغابة في زمن دخل طلي السيار منذ وقت بعيد، ولم يبق الكثير من شعائره إلا الحجر الذي نفف أمامه وهو حجر هائل الحجم، كبير، إلى درجة أن الأيدي البشرية لم تتمكن من نقله إلى هنا فالملامى عرفوا كيف ينقلون مثل هذه الحجارة بوسائل سحرية. لقد بنوا الأهرامات، والمراصد، ومنذ بكاملها في جبال أميركا الجنوبية، مستخدمين القوى التي تعرفها حكمة القمر. ولم يعد الإنسان في حاجة إلى مثل هذه المعرفة، فمحيت من الزمن لنلا نستخدم لحايات تدميرية. إلا أن

ويكا تود لو أنها عرفت، ولو من باب المصول الحص، كيفية قيامهم بذلك.

رخببت بالأرواح الكلتية الحاضرة. وهذه الأرواح هي من العلماء الذين توقموا عن التجسد وبناتوا يشككون الآن جزءا من حكمة الأرض السزية، ولولاهم، ولولا قوة معرفتهم، لعمد الكوكب وجهته منذ زمن بعيد بطلعو أولئك العلماء الكلتيون في الهواء فوق الأشجار إلى يسار المسحة، أجساماً هبلية محاطة ببور أبيص حاد. وهم الذين أخذوا، على مز العصور، يأنون إلى هنا في كل اعتدال ليتأكدوا من الحفاظ على التمايل. وقالت ويكا ببعض الصخر، إنه لا يزال يتم، بالتأكيد، الاحتفال بالاعتدالات حتى بعد احتفاء النفاة الكلتية من التاريخ الرسمي للعالم. فلا أحد، إلا يد الله، يستطيع تدمير حكمة القمر

راقبت الكهنة لبعض الوقت، وتساءلت. مانا بمقدورهم أن يفعلوا بالناس اليوم؟ هل يشعرون بالحنين إلى الأيام التي أموا فيها الحجى إلى هذا المكان عندما بدأ الاتصال بالله أكثر بساطة ومباشرة؟ وفكرت ويكا، لا، وقد صلق حننها فالانفعالات البشرية هي التي تبني حنقة الله، وعلى الناس، لتحقيق ذلك، أن يعيشوا زمنا طويلاً، في عصور مختلفة، وقد تبثوا، في الأغلب، عادات مختلفة وينبع الإنسان، على غرار بقية الكون، طريقة الشونية، فيصبح في كل يوم تفصل من اليوم السابق، حتى لو سبي أمثولات اليوم السابق، أو اشتكى زاعماً أن الحياة غير عادلة

فملكوت السماء يشبه الررع الذي يبنره الإنسان في الحقل، فهو ينام ويستيقظ، ليلا ونهاراً، وتسمو البدور برغم أنه لا يعرف كيف

حضرت هذه الامثولات في روح العالم وهي موجودة لمائدة الإنسانية بأسرها. ولهم هو أنه لا يرال يوجد أناس مثل أولئك الموجودين في الاحتفال، لا يخافون، ليل ظلمة الروح، وحكماء مثل القديس يوحنا الصليبي الذي أعطى وصفاً لذلك. فالجسد البشري يحصل بأجمعه من جديد مع كل خطوة، ومع كل فعل إيمان. وسيستمر العالم في سلوك طريق النور ما دام يوجد أناس يعرفون أن حكمة الإنسان كأنها ليست إلا منتهى الحماقة في عين الله

شعرت بالمخدر بتلاميذها، رجالاً ونساء، ممن أثبتوا أنهم قادرين على التصحية برفاهة عالم من التفسيرات اللطيفة والنفقة لمواجهة تحدي اكتشاف عالم جديد.

نصرت مزة أخرى إلى النساء العربيات الثلاث المستشفيات على الأرض. وحاولت أن تكسوهن من جديد بالألوان الهائلة التي تسبق منهن. وهن هن يسافرن الآن عبر الزمن حيث يلتقين كثيراً من توثم الروح الصالين. وسيبعمسن، من الليلة فصاعداً، في مهمة تستطرحهن منذ ولادتهن وقد جاورت إحداهن الستين، لكن ليس للعمر أي أهمية. فما يهم هو أنهن قد أصبحن في النهاية وجهاً لوجه مع القدر الذي استطرحهن بطول صبر، وهن، من الآن فصاعداً، سيستخدمن مواهبهن للحفاظ على بعض السمات المهمة جداً في حديقة الله وصلت كل واحدة منهن إلى هنا لسبب مختلف، من قصة حب مخفية، إلى الإحساس بالسأم من الروتين، أو ربما بحثاً عن السلطة واجهر الخوف، والقصور اللاتي، والكثير من الخيبات التي نهال على من تتبع منهن طريق السحر لكن الواقع هو أنهن بلغن المكان الذي يجب عليهن بلوغه. لأن يد الله ترشد دوماً من يسلكون طريقه بإيمان.

فكر الجوسي وعبيده لا تزالان مسفرتين في بريندا، في أن حكمة القمر قاتنة بمعلميها وشعائرها، لكن توجد حكمة أخرى أيضاً. وقد شعر ببعض الخيرة من ويكا لأنها ستنقى إلى جانب بريندا لوقت طويل. والحكمة الأخرى أكثر صعوبة لأنها بسيطة، ذلك أن الأمور البسيطة تبدو دوماً شديدة التعقيد. ويعيش معلمو هذه الحكمة في العالم، وهم لا يدركون دوماً أهمية ما يفعلونه، إذ غالباً ما يبدو الحافر إلى المعلم مجرد حافر عيني وهم بخارون، وشعراء، وعلماء رياضيون، وأناس من جميع ألهم ومشارب الحياة، يعيشون منتشرين في شتى أنحاء العالم أناس شعروا فجأة بالحاجة إلى الحديث مع أحد ما، وإلى شرح شعور لا يمكنهم فهمه تمام الفهم، لكن يستحيل أن يبقوه لأنفسهم. وبهذه الطريقة أبقت حكمة الشمس معرفتها حية، لأنها حافظت الخلق.

وحيثما يوجد أناس، يوجد دوماً أثر ما من آثار حكمة الشمس. وتكون هذه الآثار في بعض الأحيان منحوتة، وأحياناً أخرى طاولة، أو بصمة أليات من قصيدة تميزها مجموعة معينة أو قبيلة ما من جبل إلى جبل. فالدين تحللت حكمة الشمس من خلالها، أناس كخبرهم من الناس، نظروا في صباح واحد وفي أمسية واحدة إلى العالم، وشعروا بوجود شيء أعظم. وارتموه من غير علم، في بحر مجهول، وغالباً لم يعاودوا القيام بذلك من جديد. فكل واحد يمتلك سر الكون، أقله مرة واحدة في كل تجدد.

وجدوا أنفسهم للحظة، وقد انغمسوا في ليل الظلمة، إلا أنهم نادراً ما عادوا إلى هذا الليل لافتقارهم إلى الإيمان اللاتي الكافي. ووجد القلب الأقدس، الذي غنى العالم بالمحبة والسلام والنكرس، نفسه وقد أحيط مزة أخرى بالأشواك.

شررت بريندا لأنها معلمة حكمة القمر، وكل من جاء إليها

تشوق إلى العمل، بينما يعيش معظم أتباع حكمة الشمس في هروب دائم مما تعلمهم إياه الحياة.

وفكرت وبكا في أنه، ليست للامر أهمية، لأن عصر العجرات في طريق العودة، ولا يمكن لأحد الاستمرار في اللامبالاة حيال التعابير التي شرع العالم في اختيارها وستظهر قوة حكمة الشمس نفسها بكل إشرافتها في غصون سموات قليلة. وسيشعر جميع الذين لا يتبعون طريقهم الخاصة بعدم الرضا عن أنفسهم، وسيضطرون إلى القيام بخيار؛ فإما أن يقبلوا وجودا تطغي عليه الحبيبة والألم، وإما أن يدركوا أن كل شخص ولد ليكون سعيدا. ولن يبقى أمامهم إلا ذلك من خيار سوى أن يتغيروا، وسهبتا عندها الكفاح العظيم، الجهاد.

رسمت وبكا بحركة تامة من يدها المسكة بالخنجر، حلقة غير منطلوقة في الهواء، رسمت فيها النجمة الخماسية السحرية، وهي رمز العناصر الخمسة التي تعمل في الجسم البشري، وبات في إمكان النساء المستلقيات على الأرض أن يتصلن الآن عبرها بعالم النور

قالت وبكا، «أغمض أعينكن». فاصنعت النساء الثلاث.

ومارست وبكا بخنجرها الحركات الشعائرية فوق رأس كل منهن.

وقالت، «افتحن الآن أعين لرواحكن».

- لكن، لماذا؟

- لتتمكنني من رزع حليفة الله.

فقلت بريدنا، «حياتي أمامي، وأريد أن أعيشها تماماً كالآخرين
أريد أن أتمكن من ارتكاب الأخطاء، أن أكون أنانية، وأن أتمتع
بنواقصي».

ابتسم المعلم وظهر في يده فجأة وشاح أزرق.

- لا يمكنك أن تكوني قريبة إلى الناس، إلا إن كنت واحدة
منهم.

تغير الشهد من حولها فهي لم تعد في الصحراء، بل معجسة في
بوع من السائل الذي تسبح فيه كائنات غريبة مختلطة

قال المعلم، «تتعلق الحياة بارتكاب الأخطاء، فقد استمرت الخلاص
في التوالد بالطريقة نفسها للأبوين السيين إلى أن ارتكبت إحداها
خطأً فاندخلت التغيير في دائرة التكرار التي لا تنتهي».

تفرست بريدنا في البحر مملهشة. لم تسأل كيف يمكن
الانعس فيه لأن كل ما أمكها سماعه هو صوت المعلم، وكل ما
أمكها التفكير فيه هو رحلة مشابهة انطلقت بها من حفل
القمح.

قال المعلم، «الخطأ هو ما جعل العالم يتحرك، فلا تخافي أبداً
ارتكاب الخطأ».

- لكن آدم وحواء طردا من الجنة.

- سيعودن إليها في يوم من الأيام، وقد أتركنا معجزة السماوات
وكل الأرض. عرف الله ما يفعله عندما نيهما إلى شجرة معرفة

فتحت بريدنا عيني روحها، وإذا بها في صحراء بليت مكلأ مألوفاً
جداً. تذكرت أنها جاءت إلى هناك من قبل، مع الجوسي.

تطلعت من حولها، ولم تتمكن من رؤيته. لم نشعر بالخوف،
بل بهنو، وسعادة أنها تعرف من هي وأين تعيش، تعرف أن الحفلة
تنور في مكان آخر من الرمس. وكل ذلك لا يهم لأن المسطر
الطبيعي المائل أمامها أكثر جمالاً بكثير الرمال، والجبال في
البعيد، والصخرة الضخمة.

رخب بها أحد الأصوات قائلاً، «أهلاً بك». ووقف قريباً مني
ثياباً تشبه الثياب التي ارتداها جدنا

«أنا معلم وبكا وعندما تصبحين أنت معلمة سيلتقي تلاميذك
وبكا هيا، وهكذا دواليك، إلى أن تظهر روح الأرض نفسها في
النهاية».

أجابت بريدنا، «أنا أشرك في طقس للساحرة في اجتماع ليلى
سزي».

فصحك المعلم.

لقد وجدت طريقك وفلة هم الناس الذين يمتلكون الشجاعة
للقيام بذلك، لأنهم يمشلون اتباع طريق ليست طريقهم يختارون
عدم رؤية الموهبة المعطاة لهم. أما أنت فقبلت بموهبتك ولقاؤك
معها هو لقاءك مع العالم.

الخير والشر. فلو لم يرد منهما أن يأكلا منها لما جاء على ذكرها أبداً.

- وبنّا فعل ذلك إنّا؟

- ليجعل العالم يتحزك.

تغير المشهد وعاد إلى الصحراء والصحرة إليه الصباح وقد أخذ اللافق يتضرج باللون الزهري. اقترب المعلم منها حاملاً الوشاح.

أنا أكرسك الآن، في هذه اللحظة. موهبتك هي أداة الله، ولنبرهن على أنك أداة مفيدة.

التقطت ويكا الثوب العائد إلى صفري النساء الثلاث وأمسكته بيديها الاثنين، ثم قامت بتقدمة رمية إلى الكهنة الكلتيين الذين يشاهدون، بشكهم الهبولى، كل شيء من فوق الأشجار ثم استلارت صوب الشابة.

وقالت، قمي.

وقفت بريدنا وترافقت ظلال النار على جسدها العاري. ذهب هذه أهلك في السابق جسماً آخر، لكن ذلك الرمز قد ونى.

أرفعي ذراعيك.

هرفعت بريدنا ذراعها وأبستها ويكا الثوب.

لقها المعلم بالوشاح فقالت، كنت عارية ولم أشعر بالحجل.

- لولا الحجل لما اكتشف الله أبداً أن آدم وحواء أكلتا التفاحة.

أخذ المعلم يراقب شروق الشمس، بدا ناهلاً، إلا أن بريدنا عرفت أنه ليس كذلك.

وقال، لا تشعرني بالحجل أبداً. أقبلي ما تقدمه إليك الحياة، وحاولي أن تشربي من كل كأس. يجدر بالمرء تذوق جميع أنواع النبيذ، فبعضه يحجب ارتشافه، وفي البعض الآخر عليك شرب الزجاجة كلها.

- وكيف أميز بينها؟

- من خلال التذوق. فلا يمكنك أن تعرفي مدى جودة النبيذ ما لم تذوقي السين منه.

أدبرت ويكا بريدنا في مواجهة النار، واستقلت من ثم إلى منطقة التالية. طاعة موهبتها وأمكنها تبيانها لها وكانت بريدنا عند تلك اللحظة، تشاهد أحد شروقات الشمس، تلك الجمرة السماوية الالهية، التي ستضيء من الآن فصاعداً، ما بقي من حياتها.

وما إن أشرقت الشمس، حتى قال المعلم، عليك الذهاب الآن.

أبلغته بريدنا أنها ليست خائفة من موهبتها، فأنا أعرف مقصدي وما الذي سأفعله. كما أعرف أن ثمة شخصاً ساعدني في الوصول إلى هنا.

لقد جئت إلى هنا من قبل، ووجدت لناساً يرقصون ومعبداً سزياً شديد للاحتفال بحكمة القمر.

لم يقل المعلم شيئاً، واستدار صوبها وصنع إشارة بيده اليمنى.

تم قبولك. ولكن طريقك طريق سلام في زمن السلم،
ومعركة في أيام العارك. فلا تحلطي بينهما أبداً.

أخذ وجه العلم في التلاشي ومعه الصحراء والصخرة وحدها
الشمس بقيت، لكنها أختت تصبح أمراً واحداً مع السماء. ثم
احلوتكت السماء وصارت الشمس أشبه بالسدة النار

ها إنها قد عادت لتذكر كل شيء الآن الصحيح، التصديق،
الرقص والغيبوبة الذهبية تذكرت أنها خلعت ثيابها أمام جميع
هؤلاء الناس، وأختت تشعر ببعض الإحراج. لكنها تذكرت أيضاً
لقاءها المعلم. حاولت السيطرة على شعورها بالخجل والقلق اللذين
سيرافقها دائماً، ويجب أن تألفهما.

طلبت ويكاً من المتلفيات الثلاث الوقوف في منتصف الحلقة
التي شكلتها النساء ونماسكت الساحرات بالأيدي وشكلن دائرة.

غنيين أغاني لم يجرؤ أحد على ترناتها، ونسابت الألحان من
شماهن شبه الطيقة، مطلقاً نبرات غريبة أختت حللتها في
الارتفاع إلى أن شابهت صراخ بعض الطيور وقد جنّ جنوبها وهي،
في مرحلة ما من المستقبل، ستتعلم كيف توذي هذه الأصوات.
وستتعلم أموراً كثيرة أخرى إلى أن تصبح هي أيضاً معنمة تلقن
رجالاً ونساء آخرين حكمة القمر.

لكن ذلك لن يحدث إلا في الوقت المحدد له ولديها الوقت كله
الآن، وقد وجدت قنرها من جديد، وثمة من يساعدها، وأمامها
الأيدي

بدا لبرندا أن ألواناً غريبة تحيط بالجميع، وشعرت بأن الأشياء
ملتبسة عليها بعض الشيء، وهي التي أحببت العالم كما كان من
قبل.

توقفت الساحرات عن الغناء.

قالت ويككا، أصبح تلقين القمر مبعزاً وتاماً. ها إن العالم يصبح حقلاً، وعليكم بالعمل للتأكد من الحصول على حصاد جيد.

وقالت واحدة من المتلقينات، أشعر بالغريبة، وكل شيء مغشٍ.

- ما تربيه هو حقل الطاقه، أو هالته كما نسميها، وهي تحيط بكل فرد. إنها الخطوة الأولى في طريق الأسرار. وسرعان ما سيتلاشى هذا الإحساس، لكنني سأعلمكم لاحقاً كيف توقطه من جديد.

ثم رمت خبجها الشعائري في الأرض بحركة سريعة ورشيقة فانفرز سريعاً، وقبضته تهتز بقوة من شدة الارتطام.
وقالت، انتهت المراسم.

توجهت بريدا صوب لورنس الذي شقت عيناها، وقد شعر بمنى لفتحاره بها وحبها له فهي وسعتهما النمو معا، وابتكار طريقة جديدة في الحياة، واكتشاف كامل الكون الممتد أمامهم، وهما ينتظران أناساً شجاعاً مثلهما

لكن ثمة رجلاً آخر أيضاً. وقد اتخذت قرارها، وهي تتحدث مع معلم ويككا، لأن ذلك الرجل الآخر سوف يكون بمقدوره أن يمسك بيدها في الأرمية الصعبة، ويرفدها بخبرة ومحبة عبر ليلة الإيمان الطلما، سنتعلم أن تحبه، ويككون حبها له كبير بقدر الاحترام الذي نكبه له فكلاهما يسير في درب المعرفة بمسها، وهي لم تبلغ المكان الذي هي فيه الآن إلا بفصله. ومعه سنتعلم حكمة الشمس في يوم من الأيام.

تعرف الآن أنها ساحرة لقمت فن أعمال السحر عبر قرون كثيرة، وقد عادت إلى حيث يجب أن نكون. ومن هذه الليلة فصاعداً ستصبح الحكمة والمعرفة الأمرين الأكثر أهمية في حياتها

قالت للورنس، هي وسعنا الآن الغادرة. هاخذ يحنق إلى هذه المرأة الغارقة في السواد. لكن بريدا عرفت أن المحوسي سيراهما وقد ارتفعت الأوراق.

ناولته الكيس الذي يحتوي على ملابسها الأخرى وقالت،

«اسبقني وانظر إن كان في وسعك أن تؤمن لنا وسيلة تقلنا، فأنا
أحتاج إلى الحديث مع شخص ما».

أخذ لورنس الكيس، لكنه مضى بعيداً بعض الشيء صوب
الطريق الذي يقطع الغابة. فقد انتهت المراسم، وعادوا إلى عالم البشر
بحبهم، وغيبتهم، وحروبهم من أجل السيطرة.

وعاد الخوف أيضاً، لأن بريدا أخذت تتصرف بغرابة.

فقال للشجر من حوله، «لا أدري إذا كان الله موجوداً. لكن لا
يمكنني التفكير في ذلك الآن، لأنني أنا أيضاً أفق في مواجهة
السز الغامض».

شعر بأنه يتكلم بطريقة مختلفة، وبثقة غريبة لم يعرف أن
يملكها من قبل. كما أنه شعر في تلك اللحظة أيضاً بأن الأشجار
تستمع إليه.

«قد لا يفهمني الناس الموجودون هنا، وقد يزدرون جهودي في
السعي إلى الله برغم أنني لا أؤمن به. وهو إله الشجعان، هذا إذا
وجد».

لاحظ لورنس أن يديه ترتجفان بعض الشيء. فقد انقضت الليلة
ولم يفهم شيئاً مما دار فيها. وكل ما عرفه هو أنه دخل في حالة
من الغيبوبة الذهنية. لكن لا علاقة لارتجاف يديه المتواصل
بالانغماس في «بل الظلمة»، كما تسميه بريدا.

رفع نظره إلى السماء. كانت لا تزال مملوءة بالغيوم المنخفضة.
قاله هو إله الشجعان، وسيتفهمه لأن الشجعان هم من يتخذون
القرارات برغم خوفهم، والذين «يلوئعهم الشيطان في كل خطوة
من خطواتهم في الطريق، ويتملكهم القلق حيال أي عمل من
أعمالهم، ولا يكفون عن التساؤل إذا كانوا على خطأ أم على

صواب. وبرغم ذلك، فإنهم يتصرفون. يفعلون ذلك لأنهم أيضاً
يؤمنون بالعجزات كالساحرات اللواتي رقصن في تلك الليلة حول
النار».

ربما حاول الله العودة إليه من خلال تلك المرأة التي تسير الآن
مبتعدة صوب رجل آخر. وهي إن رحلت، فربما يرحل الله هو أيضاً
إلى الأبد. فهي تشكل فرصته، لأنها تعرف أن الحب هو الطريقة
الوحيدة لانغماس الذات في الخالق. ولم يرد أن يخسر فرصة
استردادها.

أخذ نفساً عميقاً، متنشقاً هواء الغابة البارد والنقي في رنتبه،
وقطع على نفسه عهداً مقنناً.

قاله هو إله الشجعان.

سارت بريدا متوجهة صوب الجوسي، فالتقيا عند النار. لم تخرج
الكلمات إلا بصعوبة.

وكانت هي التي «كسرت الصمت»

«نحن في الطريق ذاتها».

هز برأسه موافقاً.

«فلنسلكها معاً».

أجاب الجوسي، «لكنك لا تحبينني».

«بل أحبك. أنا لا أعرف بعد حبّي لك، لكنني أحبك. أنت توأم
روحي».

ظل الجوسي محتفظاً بنظرة متباعدة في عينيه. فهو يفكر
في حكمة الشمس، وكيف أن الحب يشكل واحداً من أهم

دروس هذه الحكمة. إنه الجسر الوحيد المعروف بين العالم المنظور والكون اللامنظور، واللغة الفعالة الوحيدة لترجمة الدروس التي يلقنها الكون يومياً للكائنات البشرية.

قالت: «لن أذهب إلى أي مكان، وأنا باقية معك».

أجابها الجوسي: «خليك ينتظر، وأنا أبارك حبك».

نظرت إليه بريدا وقد التبس عليها الأمر.

فقال متابعاً: «لا يملك أحد مغيب شمس كذلك الذي شاهدناه تلك الليلة، تماماً كما لا يمكن لأحد أن يملك بعد ظهر من الطر الذي يطرق على النافذة، أو سكينه طفل نائم، أو اللحظة الساحرة التي يتكسر فيها الموج على الصخور. لا يمكن لأحد أن يملك أشياء هذه الأرض الجميلة، لكن يمكننا أن نعرفها ونحبها. وفي أوقات كهذه يظهر الله نفسه للبشر».

«نحن لسنا سادة الشمس، أو بعد الظهر، أو الموج، أو حتى رؤيا الله، لأننا لا نستطيع أن نمتلك ذواتنا».

ومن الجوسي يده إلى بريدا وأعطاه زهرة.

«عندما التقينا للمرة الأولى، أظهرت لك «ليل الظلمة»، برغم أنني عرفت ذلك أنني لا أستطيع أن أتذكر العالم قبل ذلك. أردت أن أرى كيف ستواجهين قصورك الذاتي. عرفت أنك توأم روحي، وأنت ستعلميني كل ما أحتاج إلى معرفته، وهذا هو سبب تقسيم الله بين الرجل والمرأة».

لمست بريدا الزهرة. بدت لها كأنها الزهرة الأولى التي تراها منذ أشهر. فقد حل الربيع.

«يقدم الناس الأزهار هدياً لأنها تحتوي على المعنى الحقيقي

للحب وعلى كل من يحاول امتلاك زهرة أن يشاهد جمالها ينوي. لكنك ستحتفظين بها إلى الأبد، إذا اكتفيت بالنظر إليها في الحقل، لأنها جزء من السماء، ومن غياب الشمس، ومن رائحة الأرض الرطبة، ومن الغيوم في الأفق».

بدت بريدا تنظر إلى الزهرة، فأخذها الجوسي من يدها وأعادها إلى الغابة.

اغرورقت عيناها بالدموع، وهي فخورة بتوأم روحها.

«ما علمتني إياه الغابة هو أنك لن تكوني لي أبداً، لذلك لن أخسرك أبداً. لقد كنت أمني في أيام وحدتي، وهني في لحظات شكّي، وبقيني في أوقات إيماني».

«كزست نفسي وأنا أعرف أن توأم روحي ستأتي في أحد الأيام لتتعلم حكمة الشمس. وشككت معرفتي لوجودك سببي الوحيد في الاستمرار في الحياة».

لم يعد في وسع بريدا إخفاء دموعها.

ثم جنت وفهمت الأمر كله. انتهت لتحررتني من العبودية التي توجدها لنفسي، ولتخبريني بأنني حر في العودة إلى العالم وأموره. وها أنا أدرك كل ما احتجت إلى معرفته، وأحبك أكثر من جميع النساء اللواتي عرفتهن، وأكثر من حبي للمرأة التي نفتني إلى الغابة عن غير معرفة منها. وسأتذكر الآن، إلى الأبد، أن الحب حزية. وتلك هي الأمثلة التي استغرقتني سنوات لتعلمها، والتي أرسلتني إلى المنفى، وتطلقني حراً من جنيد».

فرقع لهب النار، وأدارت قلة من الوافدين حديثاً في الوداع. لكن بريدا لم تستمع إلى أي مما يدور من حولها.

سمعت صوتاً واحداً يتناديها من بعيد: «بريدا»

فقال المجوسي: «ها هو ينظر إليك» يا صغيرتي. وهي عبارة اقتبسها عن فيلم قديم سبق له أن شاهده. أحس بالسعادة لأنه قلب صفحة مهمة أخرى من حكمة الشمس. شعر بحضور معلمه الذي اختار تلك الليلة لتلقيه الجديد.

«سأذكرك يوماً، وستتذكريني تماماً كما ستتذكر الأمسية، والطر على التوافق، وجميع الأمور التي ستكون لنا دائماً لأننا لا نستطيع امتلاكها..»

وناقى لورنس من جديد: «بريدا»

فقال المجوسي: «امضي بسلام، وجففي تلك الدموع، أو فولي له إن دخان النار دخل في عينيك. لا تنسني أبداً».

عرف أنه لا يفترض به قول ذلك، لكنه قاله على أي حال.

لاحظت ويكا أن بعض الناس خلّفوا بعضاً من مقتنياتهم وستنصل بهم هاتفياً وتطلب إليهم الجيء لأخذها.

وقالت: «ستخمد النار قريباً».

بقي صامتاً. لا يزال يوجد بعض الذهب، وعيناه ما يرحنا مسّرتين فيه.

بادرت ويكا إلى القول: «لست أسفة على أنني أغرمت بك يوماً».

«وكذلك أنا، أجاب المجوسي».

شعرت برغبة هائلة في التحدث عن بريدا، لكنها لم تقل شيئاً وأوحت عينا الرجل الموجود قريبها بالاحترام والحكمة.

أضافت: «من المؤسف أنني توأم روحك، كنا لنصبح زوجين مناسبين».

لكن المجوسي لم يسمع إلى ما تقوله بريدا. فأمامه عالم واسع وأمور كثيرة يفعلها. عليه أن يساعد في زراعة حديقة الله، وأن يلقن الناس كيف يحلمون أنفسهم. سيلتقي نساء أخريات، ويقع في الحب مرات جديدة، ويعيش هذا التجسد بقدر ما يمكنه من قوة الشعور. لقد أكملت تلك الليلة مرحلة من مراحل وجوده، وأمامه «ليل ظلمة» جديد، لكن الرحلة المقبلة ستكون أكثر متعة وفرحاً بكثير، وأكثر قرباً مما يحلم به. عرف ذلك بفضل الأزهار

والغابات، ويفضل امرأة شابة وصلت في أحد الأيام تفودها يد الله
غير عارفة لئهما هناك من أجل تحقيق قدرها. عرف ذلك بفضل
حكمة القمر وحكمة الشمس.

REUNITEY.COM
enjoy it
By Dalyia